سلسلة كلمات وتعليقات سماحة الشيخ (٢)

حديث الصباح

من كلمات وتعليقات ومحاضرات

سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

(١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ)

تقديم معالي الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

جمعه واعتنى به

صلاح الدين بن عثمان بن أحمد

أمين مكتبة سماحته

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار التوحيد للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ إلى الأخ المكرم الشيخ صلاح الدين بن عثمان أحمد وفّقه الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

تجدون برفقه مسودة كتاب «**حديث الصباح من المحاضرات والتعليقات**» الذي قمتم بالاعتناء به، ويحتوي بعضًا من دروس ومحاضرات وكلمات سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطلبكم الإذن بطباعته.

نفيدكم بمناسبة الكتاب للطباعة، وذلك بعد أن تم تعديل ما لوحظ عليه وبرفقه مسودة الكتاب المذكور أعلاه. وفقكم الله ونفع بكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء
وإدارة البحوث العلمية والإفتاء



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

من عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ إلى الأخ المكرم الشيخ / صلاح الدين بن عثمان أحمد وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد :

تجدون برفقه مسودة كتاب [حديث الصباح من المحاضرات والتعليقات] الذي قمتم بالاعتناء به ، ويحتوي بعضاً من دروس ومحاضرات وكلمات سماحة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – وطلبكم الإذن بطباعته .

نفيدكم بمناسبة الكتاب للطباعة ، وذلك بعد أن تم تعديل ما لوحظ عليه وبرفقه مسودة الكتاب المذكور أعلاه . وفقكم الله ونفع بكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات

رقم المعاملة: ٣٤٠٠٢٨١٦٥
التاريخ: ١٤٣٥٫٠٥٫٠٥
المرفقات: مسودة كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فقد منَّ الله ﷻ على هذه الأمة بعلماء ربانيين، وأئمة مصلحين، هم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى.

بذلوا لخدمة هذا الدين وأهله الغالي والنفيس، فنفع الله الأمة بعلمهم، واستفاد العباد من فقههم.

وإن من أعظم العلماء المعاصرين الذين تركوا علمًا نافعًا غزيرًا الإمام العلامة العابد الزاهد عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى.

ولقد سخر الله لعلم الشيخ طلابًا محتسبين، فجمعوا علمه ونشروه، ومن هؤلاء الفضلاء الشيخ صلاح الدين بن عثمان بن أحمد، حيث جمع وفّقه الله عددًا من دروس سماحة الشيخ، واعتنى بها وخرّج أحاديثها، وأخرجها في كتاب سماه **«حديث الصباح»**.

فأسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الجهد الطيب، وأن يجزي الشيخ صلاح خير الجزاء على ما قدم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عضو هيئة كبار العلماء

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب معالي الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ
رقم المعاملة: ٣٤٠٠٠٧٧٢
التاريخ: ١٤٣٤/٠١/١٤
المرفقات: كتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد منَّ الله عز وجل على هذه الأمة بعلماء ربانيين، وأئمة مصلحين، هم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى.

بذلوا لخدمة هذا الدين وأهله الغالي والنفيس، فنفع الله الأمة بعلمهم، واستفاد العباد من فقههم.

وإن من أعظم العلماء المعاصرين الذين تركوا علما نافعاً غزيراً الإمام العلامة العابد الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله تعالى.

ولقد سخر الله لعلم الشيخ طلابا محتسبين، فجمعوا علمه ونشروه، ومن هؤلاء الفضلاء الشيخ صلاح الدين بن عثمان بن أحمد، حيث جمع وفّقه الله عدداً من دروس سماحة الشيخ، واعتنى بها وخرج أحاديثها، وأخرجها في كتاب سماه (حديث الصباح).

فأسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الجهد الطيب، وأن يجزي الشيخ صلاح خير الجزاء على ما قدم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عضو هيئة كبار العلماء

محمد بن حسن بن عبدالرحمن آل الشيخ

الرقم: ٣٤٠٠٠٧٧٢ التاريخ: ١٤ / ١ / ٣٤ ١٤هـ المشفوعات: كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ وبعد:

فيطيب «لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع الموسوم بـ«حديث الصباح» الذي اشتمل على كلمات وتعليقات ومحاضرات كان يلقيها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بعد الفجر في مواسم الحج وغيرها من المناسبات، قام بجمعها ونقلها من مسموعات إلى مكتوبات، وتخريج أحاديثها الأخ صلاح الدين عثمان أحمد «أمين مكتبة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بمنزله»، وقد قرأها وقرّظ لها معالي الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ «عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» ـ حفظه الله ـ، وأشرف على مراجعتها وتصحيحها صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم «عضو اللجنة العلمية بالمؤسسة» ـ وفقه الله وسدده ـ.

نسأل الله أن ينفع بهذا الجمع مُعدّه، وقارئه، وكل من عمل على إخراجه، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فيطيب ((لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية)) أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع الموسوم بـ ((حديث الصباح)) الذي اشتمل على كلمات وتعليقات ومحاضرات كان يلقيها سماحة الشيخ / عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ بعد الفجر في مواسم الحج وغيرها من المناسبات، قام بجمعها ونقلها من مسموعات إلى مكتوبات، وتخريج أحاديثها الأخ / صلاح الدين عثمان أحمد " أمين مكتبة سماحة الشيخ ـ رحمه الله ـ بمنزله"، وقد قرأها وقرظ لها معالي الشيخ / محمد بن حسن آل الشيخ "عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء" ـ حفظه الله ـ، وأشرف على مراجعتها وتصحيحها صاحب الفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم "عضو اللجنة العلمية بالمؤسسة" ـ وفقه الله وسدده ـ .

نسأل الله أن ينفع بهذا الجمع مُعدّه، وقارئه، وكل من عمل على إخراجه، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة ما مَنَّ به عليها من العلماء الرَّبانيين الذين هم ورثة الأنبياء يحملون العلم في صدورهم، ويَعملون به، ويُعلِّمون الناس، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

والعُلماء هم أخشى الناس لله، وهم أعبد الناس لله تعالى، كما قال تعالى مادحًا إياهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وهم الأعلام على طريق الهدى، والنجوم التي يهتدي بهم الناس في معرفة أحكام دين الله وشرعه، ولذا لهم فضل ومزيَّة على سائر الخلق حتى على العُبَّاد؛ كما قال ﷺ في فضلهم: «**فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، برقم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم، باب في فضل الفقه على العِبادة، برقم (٣٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٢٣).

(٢) هو جزء من الحديث السابق.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «**مَثَل العالم في الناس كمَثَل النجوم في السماء يُهتدى بها**»[1].

وإنَّ من العلماء الرَّبانيين في هذا الزمان، الإمام الفقيه المحدث، الورع الداعية الزاهد، بقية السلف، سماحة الشيخ العلامة الأثري عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة، أشهر علماء وفقهاء عصره الذي تلقى الناس علمه وفتاواه ورسائله بالقَبول، وتتلمذ على يديه المئات من الطلاب، فقد كرَّس حياته للعلم، ونفع الله بعلمه الناس في مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد مَنَّ الله عليَّ بالعمل في منزله أمينًا لمكتبته ومرافقًا له في سفره وإقامته، وذلك من تاريخ [١/ ٣/ ١٤٠٦هـ] إلى وفاته رحمه الله في ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ، وفي خلال هذه الفترة قمت بتسجيل بعض دروسه وبرنامجه المشهور «**نور على الدرب**»، وكذلك بعض دروسه المعتادة التي كان يلقيها بعد صلاة العصر في الجامع الكبير، ومسجد اليحيى بالرياض، وفي مسجده في الطائف، وفي مسجد التوعية بمكة المكرمة، وأخيرًا بمسجده بجوار منزله.

وقد تميزت هذه التعليقات بما عُرف من طريقة الشيخ رحمه الله في إيصال المعلومة بأسلوب سهل، وعبارات دقيقة موجزة.

ولأهمية هذه التعليقات وما لها من فوائد عظيمة، ولحاجة عامة المسلمين وطلبة العلم خاصة لهذه التعليقات، فقد قمت بتحويل مسموعها إلى مكتوب من الأشرطة ورتبتها، واعتنيت بها ضبطًا وتخريجًا، وسمَّيت هذه المجموعة بـ «**حديث الصباح من كلمات وتعليقات ومحاضرات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله**».

واشتمل هذا الجمع:

---

(١) أخرجه الآجري في أخلاق العلماء (١٧).

١ - على تفسير آيات مختارة من كتاب الله ﷻ مرتبة على حسب ورودها في المصحف.

٢ - وعلى شرح أحاديث مختارة من الصحيحين وغيرهما من الكتب.

٣ - وعلى تعليقات سماحة الشيخ على كلمات الدعاة بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة.

٤ - إضافة إلى التعليقات يشتمل على محاضرات مفيدة.

هذا؛ وقد قمت بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في هذا الجمع مما ذكره الشيخ أثناء الشرح مع الالتزام بالطريقة التي كان يرتبها سماحته في حياته، وذلك بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، كذلك قمت بتوثيق بعض نقولات سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولعلّي بهذا العمل أكون قد وضعت بين يدي طلاب العلم قدرًا يسيرًا من علم شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليستفيدوا من منهجه وطريقته، وينهلوا من علمه ويتعلموا من مدرسته في التدريس والتعليم والتربية.

ومهما يبذل الإنسان من جهد لإخراج أي عمل على الوجه المطلوب إلا أن الخطأ يكون واردًا، وقد بذلتُ وُسعي وقدر جهدي، وأملي أن أصل فيه إلى ما رجوت لخدمة عالم جليل له فضل علينا جميعًا، فإن أصبت فمن الله وبتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك وأتوب إليه.

وأرجو من القُراء الأكارم عند وجود أي ملحوظة أو خطأ مطبعي أو توجيه أو مقترح أو نصيحة، أن لا يبخلوا عليَّ بها ولا يترددوا في مراسلتي على بريدي الإلكتروني، أو عن طريق المراسلة على صندوق البريد، وسأتقبل ذلك بصدر رحب وأُذن صاغية، وأكون شاكرًا لهم ومثنيًا عليهم سلفًا.

وفي ختام هذا التقديم: أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء لإشرافه المباشر على إخراج علم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما أشكر صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة لِلإفتاء الذي بذل جهده رغم كثرة مشاغله في قراءته وتقريظه.

وكذلك أشكر صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم لإشرافه على تصحيح المادة وسماع أصولها بتوجيه من سماحة المفتي فله مني خالص الشكر والتقدير.

ثم الشكر موصول لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية ممثلة في أمينها ومديرها وكافة العاملين بها، وأخص بالذكر في الشكر الأخوة الأكارم في الإدارة العلمية على تعاونهم وتوجيهاتهم السديدة.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل مباركًا وخالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ وفي ميزان حسنات من سجل هذا ومن أخرجه ومن نشره آمين.

وفي البدء والختام الشكر كله لله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صلاح الدين بن عثمان بن أحمد
ص.ب. ٣٤١٩١٩
الرياض ١١٣٣٣
salah50511@gmail.com

نبذة عن حياة سماحة الشيخ(١)

أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله آل باز.

ولدت بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ. وكنت بصيرًا في أول الدراسة، ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ. فضعف بصري بسبب ذلك.. ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ والحمد لله على ذلك، وأسأل الله جل وعلا أن يعوضني عنه بالبصيرة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، كما وعد بذلك سبحانه على لسان نبيه محمد ﷺ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة.

وقد بدأت الدراسة منذ الصغر وحفظت القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأت في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض من أعلامهم:

١ ـ الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله.

٢ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (قاضي الرياض) رحمهم الله.

---

(١) تفضل سماحة الشيخ عبد العزيز بإملاء نبذة عن حياته وقُرئت عليه بعد كتابتها فأقرّها، ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وإعداد معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر حفظه الله (١/ ٩ ـ ١٢).

٣ - الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ - الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ - الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رَحِمَهُ اللَّهُ، أخذت عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ في مكة المكرمة.

٦ - سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. وقد لازمت حلقاته نحوًا من عشر سنوات، وتلقيت عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رُشِّحت للقضاء من قبل سماحته.

جزى الله الجميع أفضل الجزاء وأحسنه، وتغمَّدهم جميعًا برحمته ورضوانه.

*** وقد توليت عدة أعمال هي:**

١ - القضاء في منطقة الخرج مدة طويلة استمرت أربعة عشر عامًا وأشهرًا، وامتدَّت بين سنتي ١٣٥٧هـ إلى عام ١٣٧١هـ. . وقد كان التعيين في جُمادى الآخرة من عام ١٣٥٧هـ. وبقيت إلى نهاية عام ١٣٧١هـ.

٢ - التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ. وكلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها سنة ١٣٧٣هـ. في علوم الفقه والتوحيد والحديث، واستمر عملي على ذلك تسع سنوات انتهت في عام ١٣٨٠هـ.

٣ - عُيِّنت في عام ١٣٨١هـ نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقيت في هذا المنصب إلى عام ١٣٩٠هـ.

٤ - توليت رئاسة الجامعة الإسلامية في سنة ١٣٩٠هـ بعد وفاة رئيسها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في رمضان عام ١٣٨٩هـ. وبقيت في هذا المنصب إلى سنة ١٣٩٥هـ.

٥ - وفي ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وبقيت في هذا المنصب إلى سنة ١٤١٤هـ.

٦ - وفي ٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء، ولا أزال إلى هذا الوقت في العمل أسأل الله العون والتوفيق والسداد.

ولي إلى جانب هذا العمل في الوقت الحاضر عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية من ذلك:

١ - رئاسة هيئة كبار العلماء بالمملكة.

٢ - رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة المذكورة.

٣ - عضوية ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٤ - رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥ - رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

٦ - عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٧ - عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة.

أما مؤلفاتي؛ فمنها:

١ - الفوائد الجلية في المباحث الفرضية.

٢ - التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة «توضيح المناسك».

٣ - التحذير من البدع، ويشتمل على أربع مقالات مفيدة «حكم الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ أحمد».

٤ ـ رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام.
٥ ـ العقيدة الصحيحة وما يضادها.
٦ ـ وجوب العمل بسُنَّة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها.
٧ ـ الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة.
٨ ـ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.
٩ ـ حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار.
١٠ ـ نقد القومية العربية.
١١ ـ الجواب المفيد في حكم التصوير.
١٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب «دعوته وسيرته».
١٣ ـ ثلاث رسائل في الصلاة:
١ ـ كيفية صلاة النبي ﷺ.
٢ ـ وجوب أداء الصلاة في جماعة.
٣ ـ أين يضع المصلي يديه حين الرفع من الركوع؟.
١٤ ـ حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ.
١٥ ـ حاشية مفيدة على فتح الباري وصلت فيها إلى كتاب الحج.
١٦ ـ رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب.
١٧ ـ «إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صَدَّق الكهنة والعرافين».
١٨ ـ الجهاد في سبيل الله.
١٩ ـ الدروس المهمة لعامة الأمة.
٢٠ ـ فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة.
٢١ ـ وجوب لزوم السُّنَّة والحذر من البدعة.

هذه مؤلفاته التي ذكرها بنفسه.

وله مؤلفات أخرى صدرت له بعد هذه الترجمة أحصى منها (٢٧) كتابًا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة الكريمة»[(١)].

كما أصدرت المؤسسة بعض تعليقات وشروحات سماحته؛ كـ«العقيدة الواسطية والحموية، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام» وغيرها من المؤلفات في العقيدة[(٢)].

وكان لسماحة الشيخ العديد من المخطوطات، حُقِّق منها:

١ ـ التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة.

٢ ـ تحفة أهل العلم والإيمان في الأحاديث الصِّحاح والحسان.

٣ ـ تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان.

٤ ـ الفوائد المتنوعة في العقائد، والتفسير، والحديث، والتاريخ وغير ذلك، قام بتحقيقها صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم.

٥ ـ النكت على تقريب التهذيب، بتحقيق الدكتور عبد الله بن فوزان الفوزان.

* أوصافه الخَلْقية:

إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يمتاز باعتدال في بنيته، فهو ربعة من الرجال، وهو ليس بالطويل البائن، ولا القصير جدًّا، بل هو عوان بين ذلك، مستدير الوجه، حنطي اللون، ناصع الجبهة أقنى الأنف، ومن دون ذلك فم متوسط الحجم، ولحية قليلة على العارضين؛ كثة تحت الذقن، كانت سوداء يغلبها بعض البياض، فلما كثر بياضها صبغها بالحناء، وهو ذو بسمة رائعة تراها على أسارير وجهه إن ابتسم؛ وهو عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين،

---

(١) ينظر: التحفة الكريمة (ص٢٠ ـ ٢٤)، طبعة دار أصالة الحاضر ط١، ١٤٣٠هـ.

(٢) ينظر: مقدمة شرح سماحة الشيخ لكتاب العقيدة الواسطية (ص٦)، طبعة المؤسسة عام ١٤٣٢هـ.

ويمتاز بالتوسط في جسمه، فهو ليس بضخم الكفين ولا القدمين[1].

* صفاته الخُلُقية:

إنه لمن المعلوم المتواتر عند جميع الناس أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ممَّن تميز بالخلال الحميدة والخصال الرشيدة وجميل الأخلاق وطيب الفعال، وعظيم التواضع، وهو ممن يقتدى به في الأدب والعلم والأخلاق، بل هو أسوة حسنة في تصرفاته وسمته وهديه المبني على كتاب الله العظيم، وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ، وخاصة في زهده وعبادته وأمانته وصدقه، وكثرة التجائه وتضرعه إلى الله، وعظيم خشيته لله، وذكاء فؤاده وسخاء يده، وطيب معشره، مع اتباع للسُّنَّة الغراء، وكثرة عبادة ـ زاده الله رحمةً وغفرانًا ـ.

وقصارى القول أن للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ صفات حسنة، وخصال جميلة، وشيم كريمة، ومناقب فذّة عظيمة، جدير بمن تتلمذ على يده أو جالسه وعاشره أن يحذو حذوه[2].

* زوجات سماحة الشيخ:

تزوج سماحة الشيخ أربع زوجات:

قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول زوجة كانت في حياة الوالدة رحمها الله، وقد اخترتُها بواسطتها والعارفين بها، وذلك في عام ١٣٥٤هـ، وكان عمري ٢٤ سنة، وهي ابنة عبد الله بن سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ وبقيت حتى عام ١٣٥٧هـ بعد وفاة الوالدة بسنة طلقتها» ولم تلد له.

ثم تزوَّج هيا بنت عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتيق ـ من آل عتيق؛ من أهل الدِّلَم، وكان قد خطبها قبل قدومه الدلم سنة ١٣٥٧هـ، ودخل بها هناك،

---

(١) الإنجاز في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الرحمة (ص٢٧).

(٢) الإنجاز في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص٤٥).

وولدت منه: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وسارة، والجوهرة، ومضاوي.

وتوفيت أم عبد الله في الثاني من رمضان سنة ١٤٢٥هـ رحمها الله تعالى.

ثم تزوَّج ابنة عمه طرفة بنت محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن باز ـ المشهور بالصويتي ـ ومكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها ولم تلد له.

ثم تزوج منيرة بنت عبد الرحمٰن بن حمد الخضير، وولدت منه: أحمد، وخالد، وهيا، وهند، ونوف، وكان الزواج في بريدة، أوائل سنة ١٣٨٦هـ لما كان سماحته نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة، ولا تزال على قيد الحياة حتى الآن، حفظها الله تعالى[١].

* **عقبه:**

للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أربعة أبناء من الذكور وست من الإناث، مجموعهم عشرة، أسبغ الله عليهم النعم ومنعهم من شرور النقم، وأكبرهم: عبد الله وبه كان يكنى، ثم يليه في الترتيب عبد الرحمٰن، وثالثهم: أحمد وهو من طلبة العلم وقد تخرج من كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعمل معيدًا بها ونال درجة الماجستير في الفقه من الجامعة، وكان مرافقًا لوالده رَحِمَهُ اللَّهُ في السفر والحضر، وكان يقرأ عليه في الجامع الكبير كتاب عمدة الأحكام بعد العصر، وكتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية للشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان هذا في صباح يوم الخميس وانتهى من الجزء الأول وشرع في الثاني ولم يُكمل، ورابعهم: خالد وهذا أصغرهم تخرج من جامعة الملك سعود، حفظهم الله جميعًا ووفقهم للبر بوالدهم وأصلحهم الله ونفع بهم[٢].

---

(١) ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن قاسم والشيخ محمد زياد بن عمر التكله حفظهما الله (ص٢٣).

(٢) الإنجاز في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص٣٤).

* وفاته:

وكانت وفاة سماحة الشيخ قبيل فجر الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف بعد أن ختم حياته وعمله من التسبيح والذكر وقيام الليل، والنوم على طهارة، وصلة الرحم، والوصية بالكتاب والسُّنَّة وتقوى الله، وفتيا الناس، وحل مشكلات المسلمين، وبناء للمساجد، والصدقة، والاستبشار، فسبحان من جمع له كل ذلك في الساعات الأخيرة من عمره، كما أنه كان حديث عهد بعُمرة، ثم كان ما كان من جنازته العظيمة[١].

* مشاهد من جنازة الشيخ:

وقد تولى تغسيله وتجهيزه صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن حمود أمد الله في عمره على طاعته، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن الغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقام فضيلة الشيخ الوهيبي بربط جثمان الشيخ بالنعش حتى لا تسقط عند حملها مع تدافع الناس.

وتولى تجهيز القبر الأخ المكرم الشيخ محمد صادق السيلاني.

وتولى دفن الشيخ وإنزاله في قبره الشيخ خالد الشريمي والشيخ عبد العزيز الشعلان وشخص ثالث لا أعرفه، وذكر لي فيما بعد الشيخ خالد الشريمي أنه عند فك الأربطة من النعش وإذا بصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز حفظه الله وأمد في عمره على طاعته، يأخذ برأس سماحة الشيخ ويقبله وهو يبكي، مع العلم بأن سموه كان آخر من زار سماحة الشيخ بالمستشفى العسكري بالطائف.

فرحم الله سماحته رحمة واسعة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

---

(١) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رواية الشيخ محمد الموسى وإعداد الشيخ محمد الحمد (ص٥٨٧) ط١، دار ابن خزيمة، ١٤٢٣هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

نصيحة موجهة لشعوب العالم

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فإن الواجب على المسلمين أينما كانوا أن يعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتواصوا بالحق والصبر عليه، كما قال الله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال سبحانه في كتابه العظيم: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

أبان سبحانه أن الواجب على المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يحذروا التعاون على الإثم والعدوان، وأخبرهم سبحانه أنه شديد العقاب؛ يعني: لمن خالف أمره وارتكب نهيه، وبيَّن في سورة العصر أن الناس في خسران ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ هؤلاء هم الرابحون.

وأقسم على هذا سبحانه بالعصر، والعصر هو الزمان من الليل

---

(١) نصيحة موجهة من سماحته لشعوب العالم في ٢٤/ ٣/ ١٤١٢هـ.

والنهار، والله سبحانه يقسم من خلقه بما يشاء، كما أقسم بالعصر أقسم بالسماء ذات البروج، وبالليل إذا يغشى، والشمس وضحاها، والنجم إذا هوى، والطور وكتاب مسطور، إلى غير ذلك؛ لما في هذه المخلوقات من الدلائل على قدرته العظيمة، وأنه سبحانه هو الخلّاق العليم، وأنه المستحق للعبادة دون كل ما سواه جلَّ وعلا، أما المخلوق فليس له أن يحلف إلا بربِّه، الإنسان ليس له أن يحلف إلا بالله ﷻ، ليس له أن يحلف بالمخلوقات لا بالأنبياء ولا بغيرهم، لقول النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»**[1]، وقوله ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»**[2].

وبيَّن في سورة العصر ﷻ أن الرابحين هم الذين اتصفوا بالصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، هؤلاء هم الرابحون السعداء الذين آمنوا بالله ورسوله، آمنوا بأن الله ربهم ومعبودهم الحق، وأنه سبحانه الخلّاق العليم، الرزاق لعباده، وأنه مستحق للعبادة، وآمنوا بأنه سبحانه الكامل في أسمائه، وصفاته وأفعاله لا شريك له ولا شبيه له، ولا كفء له ﷻ، وآمنوا بالرسول ﷺ، وأنه بلَّغ عن الله رسالته، وأدى الأمانة ونصح الأمة، كما آمنوا بجميع الرسل، وجميع الكتب، وبكل ما أخبر الله به ورسوله، ثم حققوا هذا الإيمان بالعمل الصالح بأداء فرائض الله وترك محارم الله، ثم حققوا ذلك وكملوا بالتواصي بالحق والتناصح والتعاون على الخير، وبالتواصي بالصبر على ذلك، هؤلاء هم السعداء، هؤلاء هم الرابحون.

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله ؓ، أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، برقم (٢٦٧٩)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، برقم (١٦٤٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٤).

فوصيتي لجميع الولاة وجميع الشعوب في الصومال، وفي الحبشة، وفي مصر، وفي السعودية، وفي كل مكان، وصيتي للجميع أن يتقوا الله، وأن يتواصوا بالحق والصبر عليه، وأن يتناصحوا فيما بينهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى.

* النصيحة لولاة الأمور:

ونصيحتي لولاة الأمور أن يتَّقوا الله، وأن يحكِّموا شريعته بين عباده، كما قال الله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾؛ يعني: النبي ﷺ: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فالواجب على جميع ولاة أمر المسلمين أن يتقوا الله، وأن يحكِّموا شريعة الله، وأن يجتمعوا عليها، وأن يتناصحوا، وأن يَدَعوا النزاع والاختلاف الذي يضرهم ولا ينفعهم، يجب أن يجتمعوا على الحق ويعتصموا بحبل الله وأن يتناصحوا فيما بينهم، وأن يذروا النزاع ويتركوا النزاع، وأن يجتمعوا على الحق، وأن يتعاونوا مع ولاة أمرهم على طاعة الله ورسوله.

وعلى ولاة الأمر في كل دولة مسلمة عليهم أن يحكِّموا شرع الله، وأن يُلزموا شعوبهم بشرع الله، وأن يكونوا قدوة صالحة لشعوبهم في الخير، وطاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله ورسوله، وأن يقيموا

المحاكم الشرعية، للحكم بين الناس بما أنزل الله، وأن يقيموا مؤسسات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ، بهذا أُمروا؛ ولهذا خُلِقوا، خلقوا ليعبدوا الله، وأُمروا بذلك.

وتحكيم الشريعة من أهم الفرائض وأعظمها، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفرائض وأعظمها؛ فلا بد من تحكيم شريعة الله في عباد الله؛ ولا بد من أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر ودعوتهم إلى الله، وإرشادهم إلى الخير، وتحذيرهم من الشر حتى يفوزوا بالعز في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

والله جلَّ وعلا خلق الثقلين الجن والإنس ليعبدوه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأمر الناس بذلك بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وأرسل الرسل لذلك جميعهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والعبادة هي طاعة الله ورسوله، هي توحيد الله والإخلاص له، هي اتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، هذه العبادة التي خلقوا لها أن يوحدوا الله ويخصُّوه بالعبادة بصلاتهم وصومهم، ودعائهم ونذرهم، وسائر العبادات، وأن يحكموا شرع الله في عباد الله، ويقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة، ويصوموا رمضان، وحج البيت، وينفذوا أوامر الله ورسوله، وأن ينتهوا عن كل ما نهى الله ورسوله، هذه هي العبادة، وهذا هو الإسلام، وهذا هو الإيمان، وهذه هي التقوى التي أُمرنا بها.

فالتقوى، والإيمان، والإسلام، هو طاعة الله ورسوله، هو الاستقامة على دين الله، تصديق الأخبار، وتنفيذ الأوامر، وترك النواهي، هذا هو الإسلام، الإيمان بالله ورسوله، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الآخرة، والجنة والنار، وأمر الرسل وتبليغهم

لأممهم دعوة الله إلى غير ذلك مما كان وما يكون؛ لا بد من الإيمان بالله ورسوله، ولا بد من الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله؛ ولا بد من توحيد الله والإخلاص له، وترك الإشراك به، ولا بد من تنفيذ أوامر الله وترك نواهيه هذا هو الإسلام، وهذا هو الإيمان، وهذا هو الهدى، وهذا هو التقوى.

فوصيتي للجميع، جميع المسلمين في كل مكان، في السعودية، في الصومال، في الحبشة، في جميع أفريقيا، في أوروبا، في آسيا، في أمريكا، في كل مكان، وصيتي للمسلمين جميعًا أن يتقوا الله ويتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتناصحوا فيما بينهم، وأن يبذلوا وسعهم في تحكيم شريعة الله في كل شيء.

أسأل الله ﷻ، أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم، وأن يولي على المسلمين خيارهم، وأن يعيذهم من شرارهم، وأن يمنحهم التوفيق لما يرضيه، ويصلح لهم القول والعمل والبطانة، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(1):

فيقول الله جل وعلا في كتابه المبين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

هذه صفة المؤمنين الكمَّل، هذه أخلاق المؤمنين الكمَّل، هذه الأخلاق العظيمة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ يعني: الكُمل الذين تم إيمانهم: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إذا ذكروا الله تحركت قلوبهم خوفًا من الله، وتعظيمًا له عند ذكره، ذكروه، أو ذكره غيرهم، وجلت قلوبهم، خوفًا منه، وتعظيمًا له، وإجلالًا له، واعترافًا بعظمته وكبريائه، وقدرته على كل شيء جلَّ وعلا، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، إذا سمعوا القرآن زادهم إيمانًا.

الإنسان يحاسب نفسه عند قراءته كلام الله، وعند سماعه كلام الله، هل يزداد إيمانه، هل يقوى إيمانه، هذه من علامات كمال الإيمان:

(١) من دروس سماحة الشيخ في مخيمه بمنى في يوم ٨/ ١٢/ ١٤١٠هـ.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، زادتهم يقينًا، وتصديقًا بأن الله ربهم، ومعبودهم الحق، وبأن دينهم الحق، وبأن ما جاء به رسوله هو الحق عليه الصلاة والسلام، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾؛ يعني: يعتمدون عليه مع أخذهم بالأسباب، هم يأخذون بالأسباب، ويعتمدون على الله ليس عليها، وهو يعمل ويكدح، ويأتي بالتعوذات الشرعية، ويتقي الشر؛ ولكن مع هذا عمدته على الله، يعلم أن هذه الأسباب بيد الله، إن نفع الله بها نفعت وإلا لم تنفع، أكله، وشربه، ولباسه، ودواؤه، خروجه، ودخوله، وكل ذلك كله بيد الله، إن شاء الله نفع به، وإن شاء سلبه المنفعة.

فالمؤمن يأتي بالأسباب، ويعتني بالأسباب؛ ولكنه مع هذا لا يتكل عليها، بل يعتمد على الله، ويتوكل عليه ﷻ؛ لأنه مسبب الأسباب، ومنفذها، والقادر على جلب ما هي أسباب له، وعلى عدم ذلك ﷻ.

ثم من صفاتهم العظيمة إقامة الصلاة، والمحافظة عليها في الجماعة، وأداؤها كما شرع الله بالطمأنينة، والخشوع، والعناية بإقامتها وإكمالها يؤدونها كاملة، تامة، بخلاف ضعفاء الإيمان فقد ينقرونها، قد يتساهلون فيها، وقد يتخلَّفون عن الجماعة إلى غير ذلك من أسباب النقص، أما الكُمَّل من المؤمنين، هم يقيمونها كما شرع الله، في وقتها، وبفعلها، ومع الجماعة كما شرع الله، عندهم عناية بها كاملة لأنها عمود الإسلام، من حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ أهل نفقة، وجود، وكرم، ليسوا بخلاء، يؤدون الزكاة، وينفقون من أموالهم في وجوه الخير، يعلمون أن الله جلَّ وعلا يخلف النفقة، ويُثيب عليها: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

في الحديث القدسي يقول الله جلَّ وعلا: «**أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[1].

وفي الصحيح يقول ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[2]؛ يعني: فيه الحث على النفقة ولو قليل، «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، الذي ما عنده كثير ينفق قليلًا، «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

في الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[3]، ويقول ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**»[4]، بسبب

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم (٥٣٥٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، برقم (٩٩٣).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾، برقم (١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، برقم (١٠١٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٩٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم (١٠١٦).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، برقم (١٤١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٤).

قَبول الله لها؛ لكونها من كسب طيب، وأنفقها صاحبها يرجو ما عند الله؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③﴾، وقال في أهل الجنة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ⑯ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

فأنت يا عبد الله مأمور بالصدقة بالإنفاق ولو قليلًا حسب الطاقة، إذا رأيت المحتاج، السائل، الجار المعروف بالحاجة غيرهم من ذوي الحاجة، ترحم، وتعطف، **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**(١)، **«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»**(٢)، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»**، **«ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»** فإذا تصدقت بقليل عن رحمة، وعن إخلاص قبله الله منك، وعوضك عنه الكثير.

في الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: جاءتني امرأة تسأل ومعها ابنتان لها فالتمست لها شيئًا فلم أجد في البيت إلا ثلاث تمرات فأعطيتها إياها فأعطت كل بنت تمرة، ورفعت الثالثة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها التمرة الثالثة فشقتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته فقال: **«إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»**(٣) بهذه الرحمة.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو في كتاب الأدب، باب في الرحمة، برقم (٤٩٤١)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس، برقم (١٩٢٤)، وقال حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٢٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁؛ أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم (٢٣١٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (٢٦٣٠)، =

فالصدقة، والإحسان، والجود، والكرم، والإنفاق في سبل الخير من أسباب رحمة الله، ومن أسباب دخول الجنة، ومن أسباب النجاة من النار، ومن أسباب الخلف الجزيل، قال جل وعلا في هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]؛ يعني: الذين هذه صفاتهم، هم المؤمنون حقًّا، ذكر نموذجًا من صفاتهم، وهم مع هذا يؤدون ما أوجب الله من بقية الأمور، ويَدَعون ما حرم الله؛ هذه أهم صفاتهم، الإيمان بالله ورسوله، والوجل عند ذكر الله، وزيادة إيمان عند تلاوة آيات الله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، مع إقامتهم الصلاة، وإنفاقهم ما رزقهم الله هذه أعظم صفاتهم وأعلاها، ويتبع ذلك صوم رمضان، والحج، والجهاد، وغير ذلك من أعمالهم الطيبة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

* * *

= وهذا لفظه بتمامه عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».

تفسير قوله تعالى:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

الله جلَّ وعلا يبتلي عباده بالسرَّاء والضرَّاء، والشدة والرخاء، والخصب والقحط، فالواجب على أهل الإيمان شكر الله عند الرخاء، والصبر عند البلاء، فعند البلاء والشدة والجدب، المؤمن صبور، يسأل الله الفرج ويصبر؛ وهكذا عند المرض عند الشدائد، وعند الرخاء والنعمة يشكر الله، ويسارع إلى مراضيه ويبتعد عن مساخطه، وتكون أعماله الطيبة أكثر، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله؛ هكذا المؤمن صبور عند البلاء شكور عند الرخاء.

كَانَ النبي ﷺ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»[2]، وكان إذا

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث عائشة رضي الله عنها (٦/ ٤١ و١٩٠ و٢٢٢).

رَأى مخيلة في السماء أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ[1] ودخل وخرج وتغيَّر وجهه، فإذا أمطرت سُرِّيَ عنه فسُئل عن هذا فقال: إن قومًا رأوا السحاب فظنوه ممطرًا لهم فصار فيه هلاكهم وهم قوم عاد أهلكهم الله بسبب كفرهم وضلالهم، وكان عليه الصلاة والسلام، إذا نزل المطر حسر ثوبه حتى يصيبه المطر ويقول: «**لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى**»[2].

وأخبر ﷺ أن الله جلَّ وعلا يقول: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[3].

فالواجب عند النعم شكر الله، ومنها المطر والغيث، وهو ﷻ ينزل الغيث للعباد رحمة لهم، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨].

فالواجب شكره عند النعم، والصبر عند البلايا والمحن.

ونسأل الله أن يجعل ما أنزل خيرًا وبركة، وأن ينفع به المسلمين، وأن يصلح القلوب والأعمال، وأن يرزقنا وإياكم شكر النعمة، والسلامة من أسباب النقمة.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨] برقم (٣٢٠٦)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ من الريح والغيم والفرح بالمطر برقم (٨٩٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم (٨٩٨).

(٣) متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني؛ أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم (٨٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان من قال مطرنا بالنوء، برقم (٧١).

المؤمن دائمًا على خير، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، يقول النبي ﷺ: **«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**[1].

وهذه الدار، هي دار الابتلاء، والامتحان، فالمشروع لك أيها المؤمن دائمًا، المسارعة إلى الخيرات، والجد في الطاعات، والشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، شكورًا عند النعم، صبورًا عند المحن أينما كنت، ومن نعم الله نزول المطر، حصول الخصب، الصحة، العافية، الأمن، إلى غير هذا من نعم الله، فالواجب عليك أن تعرف قدر هذه النعم، وأن تشكر الله على نعمته بطاعته، بأداء حقه والمحافظة على الصلوات، بأداء الزكاة، بصوم رمضان، بحج البيت، ببر الوالدين، بصلة الرحم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير هذا من وجوه الخير، مع الحذر من سائر المعاصي، هذا هو الشكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالشكر هو أداء الحقوق، هو ترك معاصي الله، هو الحفاظ على حدود الله، وحقوق الله، هذا هو الشكر، أداء الفرائض، وترك المحارم، والإكثار من ذكر الله، والثناء عليه؛ هكذا المؤمن دائمًا، ومع هذا فهو يحاسب نفسه دائمًا، يحاسبها في جميع الأوقات، فيتوب إلى الله من تقصيره، ومعصيته، ويسارع إلى مراضي الله، وأداء حقه، حتى يلقى ربه، وهو في جهاد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالغفلة ليس من صفات المؤمن، الغفلة من صفات الهالكين.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩).

أما المؤمن من صفته الخشوع لله، والمسارعة إلى مراضيه، وإدامة ذكره، هكذا المؤمن، يقول الله في أهل النار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعـراف: ١٧٩]، نسأل الله العافية، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

فالمؤمن يترفع عن هذا، ويجتهد دائمًا في جميع أوقاته، في ذكر الله، والمسارعة إلى مراضيه، والتعاون مع إخوانه على البر والتقوى، والحذر من سائر المعاصي، وعند حصول النعمة الخاصة، أو العامة يبادر بالشكر، يشكر الله بأداء حقه والإكثار من ذكره، والثناء عليه، وعند وجود بعض المصائب، من مرض، أو قحط، أو غير هذا خاص أو عام، يصبر ويحتسب، ويرجو ثواب الله، وهو يعلم أن ربه رحيم حكيم عليم يبتلي بالسراء والضراء، حتى يثيب عبده عند الشكر، ويثيبه عند الصبر.

وفق الله الجميع لما يرضيه ورزقنا وإياكم الاستقامة، والشكر عند النعم، والصبر عند البلاء والمحن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

❃ ❃ ❃

تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد قال الله ﷻ، في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

يبيِّن سبحانه في هذه الآيات الكريمات مصير عباده المؤمنين الذين آمنوا به سبحانه، واستقاموا على إيمانهم وطاعتهم له حتى لقوه سبحانه، حتى ماتوا، يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ يعني: قالوا إلـٰهنا الله ومعبودنا، وخالقنا ورازقنا، ومدبر أمورنا هو الله وحده ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾، على هذا الإقرار، وهذا الإيمان، فأطاعوا أمره وتركوا نهيه، ووقفوا عند حدوده، وسارعوا إلى مراضيه، عن رغبة ورهبة، هكذا تكون الاستقامة، المستقيم هو الذي يسير إلى الله على الطريق الذي رسمه لعباده، قولًا، وعملًا، وعقيدة،

---

(١) من دروس سماحة الشيخ في مسجد التوعية في مكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ، شريط رقم (٢٠٧).

لم يمل هكذا، وهكذا، ولم ينحرف؛ بل استقام على الطريق حتى وصل إلى ربه؛ المعنى: حتى قبضه الله إليه، حتى توفاه الله، أكثر الخلق ليس عنده استقامة؛ بل هو منحرف إما إلى الترك، والإعراض، والغفلة، وعدم رفع الرأس بما خلق له، وبما جاءت به الرسل، وهذا هو حال الأكثرين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

والطرف الثاني غالٍ مشدد قد اخترع دينًا لم يأذن به الله، وأتى بشرائع يتعبد بها لم يشرعها الله، فهذا أيضًا ليس بمستقيم، وإنما المستقيم هو الذي سار على الطريق فلم ينحرف يَمنة ولا يَسرة، لم ينحرف يمينًا ولا شمالًا، ليس مع أهل الجفا والإعراض والغفلة، وليس مع أهل الغلو والبدعة؛ ولكنه سار على نهج الرعيل الأول، على نهج أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان، سار على طريقهم في عبادة الله وحده، والإنابة إليه، وتعظيم أوامره ونواهيه وامتثال ما أمر به، وترك ما نهى عنه ولم يحد عن ذلك؛ بل سار على هذا الطريق معظمًا لأوامر الله، فاعلًا لها، منقادًا لها، تاركًا لنواهي الله، محذرًا منها، مبغضًا لها، واقفًا عند حدود الله، يرجو ثواب الله، ويخشى عقاب الله، فهو حافظ ما وكل إليه، وما أُمر به، مستقيم عليه، يدعو إليه، ويوالي عليه، ويعادي عليه، فهذا له الجنة والكرامة، والعاقبة الحميدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

المعنى: عند خروج الروح عند الموت تقول لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾؛ يعني: لا تخافوا مما أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾، التي وعد الله بها عباده المؤمنين المتقين: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ﴾ تقول لهم الملائكة:

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا﴾؛ يعني: في الآخرة في الجنة: ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣١]؛ يعني: ما تطلبون، ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢] هذه حالهم وهذا مصيرهم، في الدنيا على استقامة، وطمأنينة، وراحة ضمير، يعبدون الله وحده، ويعظمون أوامره، ونواهيه، وينقادون لشرعه، ويوالون أولياءه، ويعادون أعداءه ويحبون فيه ويبغضون فيه، وقلوبهم مرتاحة في غاية الراحة والنعمة، وإن كانوا فقراء فهم في غاية الراحة والنعيم نعيم الروح، نعيم القلب بسبب تلذذهم بتوحيد الله وإخلاصهم له وطاعتهم إياه، وإقبالهم عليه، وإعراضهم عما سواه، فهم مقبلون على طاعته مستقيمون عليها، مواظبون عليها، يوالون عليها، ويعادون عليها؛ لم يشغلهم حاجتهم إلى ما يحتاجون من الدنيا؛ لم يشغلهم ذلك عما أمروا به؛ ولم تشغلهم صحبة الناس عمَّا أمروا به؛ ولم يشغلهم ما يحتاجون إليه من الشهوات والمتاع العاجلة عن طاعة ربهم فهم قائمون بأمره، محافظون على حقه راغبون فيما عنده؛ ولم ينسوا نصيبهم من الدنيا؛ بل كسبوا من الدنيا ما يعينهم على طاعة الله من طريق الحلال، وصرفوا ما عندهم من فضل فيما يرضي الله ويقرب لديه، فهم مع المتقين، ومع المحسنين، قد اتقوا الله واستقاموا على أمره، وقد أحسنوا الأجر إلى عباده فيما يستطيعون بدعوة وتوجيه، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، ومواساة وإحسان، وسد حاجة الفقير، وشفاعة لمظلوم، إلى غير ذلك من وجوه الخير، فهم لم ينسوا هذا، ولا هذا؛ بل قاموا بهذا وهذا، هذه حال أولياء الله المستقيمين، هذه حال أولياء الله المتقين، وهذا مصيرهم إلى الجنة والكرامة والسعادة.

وصح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: إن المؤمن إذا حضره أجله نزلت عليه الملائكة تبشره برحمة الله ورضوانه، ويحب لقاء الله، ويحب الله لقاءه، والكافر بعكس ذلك، إذا نزل به أجله، جاءته الملائكة تبشره بغضب الله ومقته، وعذابه فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه؛ ولهذا صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَنْ

أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»(١) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

هذا شاهد لما دلت عليه الآية الكريمة، وأن المؤمن المستقيم على طاعة الله يبشر عند الموت، بهذا الخير العظيم، ويقال له: لا تخف، ولا تحزن، وأبشر بما يسرك: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وفي آية الأحقاف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

فالواجب على المؤمن: أن يلزم الطريق، وأن لا يحيد عنه، حتى يلقى ربه، فهذه الدار، دار الخطر، ولا سيما في هذا العصر، فالمغريات كثيرة، والدعاة إلى الباطل كثيرون، والعلم قليل، وعواصف الهوى كثيرة؛ فالواجب على المؤمن أن يلزم الطريق، وأن يستقيم، ويسأل ربه الثبات على الحق، وأن يحذر صحبة الأشرار، وأن يجتهد في صحبة الأخيار، لعله يموت على حالة ترضي ربه، فيفوز كل الفوز، ويسعد كل السعادة.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وأعاذنا وإياكم من أسباب الخزي والندامة، وحفظنا وإياكم من كل سوء، وتوفَّانا وإياكم على دينه، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

---

(١) متفق عليه من حديث عباده بن الصامت؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، برقم (٦٥٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، برقم (٢٦٨٣ و٢٦٨٤).

تفسير قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠].

الله جلَّ وعلا في كتابه الكريم يخاطب المؤمنين، في مواضع كثيرة من القرآن، يأمرهم بالتقوى؛ لأنها دين الله؛ لأنها توحيده وطاعته؛ لأنها امتثال أوامره، وترك نواهيه؛ لأنه يتقي بذلك غضب الله، وعقابه.

وفي بعض الآيات، يأمر الناس جميعًا، فيقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٧هـ.

يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، فجميع العباد مأمورون بالتقوى، وهي عبادة الله، التي خلقوا لها وأمروا بها، لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، خلقوا ليعبدوا الله، وهذه العبادة هي تقوى الله، هي توحيد الله، وطاعته، هي الإسلام، والإيمان، والهدى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهذا الإسلام هو الهدى؛ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، وهو الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

ويقول النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

فالواجب على كل مكلف، من الرجال والنساء، من الجن والإنس، من العرب والعجم، أن يتقي الله، وأن يعبد الله كما أمره الله، وذلك بتوحيده والإخلاص له، وتخصيصه بالعبادة، فلا يدعو إلا ربه؛ ولا يستغيث إلا به؛ ولا يذبح إلا له؛ ولا يصلي إلا له؛ ولا ينذر إلا له؛ ولا يسجد إلا له؛ ولا يصوم إلا له.

العبادة حقه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، برقم (٣٥).

ويقول سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، القطمير اللفافة التي على النواة، اللفافة التي على النواة يقال لها القطمير: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ما بين ميت، وصنم، وغائب؛ لا ينفعك، العبادة حق الله، ارفع حاجتك إليه جلَّ وعلا، واسأله من فضله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فالواجب عليك، يا عبد الله، التقوى، وهي توحيد الله وطاعته، أن تتقي غضبه وعقابه، بفعل أوامره، وترك نواهيه، سمَّى الله دينه تقوى؛ لأن المتقي يقي نفسه عذاب الله، المتقي بطاعته لله، وتوحيده لله، واتباعه شرع الله، يقي نفسه عذاب الله، يعيذها من غضب الله، يسبب لها دخول الجنة والنجاة من النار، بهذه التقوى.

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ يعني: اعبدوا الله، وعظموه، وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة، وانقادوا لشرعه، واتبعوا رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام، هذه التقوى، أن تخص الله بالعبادة، وأن تؤمن به وبرسوله محمد ﷺ، وأن تؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله، عما كان وما يكون، صادقًا يطابق قلبُك لسانَك، ولسانُك قلبَك، ثم تعمل فتؤدي حق ربك، تقيم الصلاة، تؤدي الزكاة، تصوم رمضان، تحج البيت، تبتعد عن الشرك كله قليله وكثيره، تبتعد عن محارم الله، من الزنى، والربا، والعقوق، وقطيعة الرحم، والغيبة، والنميمة، وشرب المسكرات، إلى غير ذلك؛ هكذا المؤمن، يؤدي ما أوجب الله، ويبتعد عما حرم الله، يرجو ثواب ربه، ويخشى عقابه؛ هكذا المتقي لله؛ هكذا

المؤمن لله، هكذا المسلم حقًّا، هو الذي ينقاد لشرع الله، ويبتعد عن محارم الله، ويخص الله بالعبادة، دون كل ما سواه.

ورأس هذا الأمر، شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا هو أصل هذا الدين، ورأس هذا الأمر، أن تشهد أنه لا إلـه إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، وأن تشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله، إلى الناس عامة، إلى الجن والإنس، وختم به الرسل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو رحمة للعالمين جميعهم، جنهم، وإنسهم، عربهم، وعجمهم، ذكورهم، وإناثهم، فقيرهم، وغنيهم، هو رحمة للجميع، إذا استقاموا على دينه، إذا اتبعوا شرعه، إذا وقفوا عند الحدود التي حدَّها، فهو لهم رحمة، وإذا خالفوا، صاروا إلى النار، نسأل الله العافية.

يقول جلَّ وعلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وإن أهم شيء بعد الشهادتين، هذه الصلاة، عمود الإسلام، يقول فيها النبي ﷺ: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»**[1]، والله يقول فيها: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول فيها سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ويقول فيها جلَّ وعلا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ويقول فيها سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

(١) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله.

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

علينا أيها الإخوة العناية بهذه الصلاة، والمسارعة إليها، والمحافظة عليها في الجماعة، في الأوقات الخمسة، الفجر، الظهر، العصر، المغرب، والعشاء، يجب المحافظة عليها في الجماعة، على كل رجل، أما الأنثى فعليها أن تحافظ في البيت، عليها أن تصلي في البيت هو خير لها وأفضل لها، وإن صلَّت في المسجد فلا بأس؛ لكن بيتها خير لها وأفضل وأصون.

والواجب التناصح في هذا، والتواصي، كثير من الناس يتساهل في الصلاة، وربما صلَّاها في البيت، وربما تركها، هذه مصيبة عظيمة، يجب التواصي بذلك.

المنافقون من شأنهم إضاعتها، والكسل عنها، فلا ينبغي؛ ولا يجوز للمسلم أن يتشبه بهم، يقول سبحانه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ويقول النبي ﷺ: **«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا»**؛ يعني: من الأجر **«لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»**(١).

كثير من الناس اليوم يتشبه بالمنافقين، في التأخر عن صلاة الفجر، وصلاة العشاء، في صلاة العشاء يشتغل بأصحابه أو أكله أو غير هذا، والفجر بالنوم، هذه مصيبة، تشبُّهٌ بأعداء الله.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، برقم (٦٥٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، برقم (٦٥١).

فالواجب التواصي بهذه الصلاة والمحافظة عليها وأدائها في الجماعة في جميع الأوقات ولا سيما الفجر، والعشاء، ليحذر التشبه بأعداء الله المنافقين.

الواجب على الأب، على الأم، على الأخ الكبير، على جميع الجيران، التعاون في هذا، الله يقول سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، لا بد من التواصي والتعاون، ويقول جلَّ وعلا: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، الواجب الحذر، من التشبه بأعداء الله، يقوم الرجل على أولاده، والمرأة كذلك، على إخوانه، على من تحت يده من خدم وعمال؛ هكذا، لا بد من العناية، لا بد من الصبر، من الجد والصدق؛ وهكذا مع جيرانه ينصحهم، ويتفقدهم، ويلاحظ جيرانه، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»**(١).

من أعظم الإكرام أن تنصح له، وأن تعينه على طاعة الله: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»**(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، برقم (٤٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي شريح الخزاعي ﷺ في كتاب الإيمان، باب الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الإِيمَانِ، برقم (٤٨).

من أعظم الإحسان، أن تنصحه، وأن توجهه إلى الخير؛ وهكذا مع جلسائك، مع زملائك، تنصحهم، توجههم، تعينهم على الخير، ولا سيما الصلاة، أداؤها في الجماعة، في جميع الأوقات؛ وهكذا الزكاة؛ هكذا صوم رمضان؛ هكذا حج البيت مع الاستطاعة؛ هكذا بر الوالدين، صلة الرحم إلى غير هذا من وجوه الخير، عيادة المريض، اتباع الجنائز، إلى غير هذا من وجوه الخير، المؤمنون يتناصحون، يتواصون بالخير كله، ويتواصون بترك ما حرم الله، أينما كانوا؛ هكذا المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٧١].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، ونسأل الله أن يعيننا وإياكم على أداء الواجب، ونسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ومن مضلات الفتن، ونسأله سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، ويجعلنا وإياكم وإياهم من الهداة المهتدين.

كما أسأله سبحانه أن يصلح أحوال جميع المسلمين في كل مكان، أسأل الله أن يصلح أحوال جميع المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، وأن يعيذهم من كل ما يغضبه سبحانه، إنه سبحانه ولي ذلك، والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

فضل التذكير بالله

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فيقول الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ويقول جل وعلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، فالرسل بعثهم الله مذكرين ومنذرين، وهداة للحق ودعاة للخلق، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وهكذا أهل العلم والبصيرة هم خلفاء الرسل وهم دعاة الحق مبشرون ومنذرون، يجب عليهم أن يبلغوا عن الله وعن رسوله ما أنزل على عباده من توحيده وطاعته وترك معصيته، والترغيب فيما شرع الله، والتحذير مما نهى عنه.

يقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] فلا بد من النذارة والتحذير مما حرم الله، ولا بد من الدعوة إلى ما أوجب الله وشرع الله، وهكذا الرسل بشروا وأنذروا وبلغوا، فقامت الحجة وانقطعت المعذرة ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وعلى

أهل العلم والبصيرة أن يبلغوا عن الله دينه وأن ينشروا العلم ويحذروا الناس مما نهى الله عنه، ويحثُّوهم ويرغِّبوهم فيما شرعه الله لهم، قال جل وعلا: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١)، وقال النبي ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(٢)، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالله جل وعلا شرع لعباده الدعوة وأوجب على رسله البلاغ، وعلى أهل العلم وهم خلفاء الرسل عليهم البلاغ، قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والناس دائمًا في أشد الحاجة إلى البلاغ والبيان في كل عصر وفي كل مصر، وفي كل مكان، لكن تفاوت البقاع، فيكون بعضها أشد حاجة وأشد ضرورة إلى البلاغ لقلة العلم وأهله فيه، ونحن في زمن الغربة في القرن الخامس عشر أغلب البلاد وأغلب البقاع خَلت من العلم النافع والعلماء الصالحين، فتعين على أهل العلم والبصيرة أينما كانوا أن يبلغوا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سُنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، برقم (١٨٩٣).

عن الله وأن ينشروا العلم وأن يبلغوا الناس دين الله ﷻ، وأهم ذلك بيان معنى شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهما أصل الدين وأساس الملة، ثم بيان ما أمر الله به، وما نهى الله عنه بعد ذلك.

فتوحيد الله هو أساس الملة، توحيد الله بالعبادة والإخلاص له، لا يدعى إلا الله، لا يستغاث إلا به، لا يتوكل إلا عليه، لا يذبح إلا له، لا يسجد إلا له، فهو سبحانه المستحق العبادة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث الصحيح، يقول ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١)، وحديث ابن عمر: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(٢).

ولما بعث عليه الصلاة والسلام معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ**»(٣)؛ يعني: عندهم علوم، وفي اللفظ الآخر: «**فَادْعُهُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام... برقم (٢٩٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلـٰه إلا الله، برقم (٢١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، برقم (٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس... برقم (٢٢) وكلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٥) في كتاب الإيمان، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة، برقم (٢٢).

إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»[1]، وفي اللفظ الآخر: **«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»**، وفي لفظ: **«فادعهم إلى أن يوحدوا الله»**، المقصود أن يبدأهم بالتوحيد ويبدأهم بتوجههم إلى الإخلاص لله والإيمان برسوله محمد عليه الصلاة والسلام قبل كل شيء، فالدعوة إلى شهادة لا إلـه إلا الله دعوة إلى توحيد الله والإخلاص له ﷻ، والإيمان برسوله محمد ﷺ، هذا هو أصل الأصول، وهذا هو أصل الدين، وهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، أن تشهد أن لا إلـه إلا الله عن إيمان وعن صدق وعن إخلاص لله وعن محبة، وتشهد أن محمدًا رسول الله أيضًا عن صدق وإيمان، ثم تؤدي ما أوجب الله من صلاة وغيرها وتنتهي عما نهى الله عنه من سائر المعاصي.

وكثير من الناس يجهل هذا الأصل العظيم وهو أصل التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا يقع من الناس من الشرك الأكبر ما هو معلوم عند القبور وعند من يسمُّونهم بالأولياء، أو يظنون أنها من قبور الأنبياء، أو عند قبر النبي ﷺ في المدينة من كثير من الحجاج الذين يجهلون حقيقة التوحيد، فالواجب على أهل العلم أن ينشروا هذا العلم ويبلغوا الناس وأن يحذروا الناس من ضده، وهو الشرك الأكبر، وضد كماله الشرك الأصغر، وهكذا من سائر المعاصي.

هكذا الرسل دعوا إلى الله وإلى توحيده وإلى ترك الإشراك به، كما دعوا أيضًا إلى فعل ما أوجب الله وترك ما حرم الله، فخلفاؤهم ـ وهم

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، برقم (١٤٩٦) و(٧٣٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

العلماء ـ يجب أن يكونوا هكذا، يجب أن يدعوا إلى توحيد الله والإخلاص له، وإلى الإيمان به وبرسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يحذِّروا الناس من الشرك دقيقه وجليله، وأن يدعوا الناس أيضًا إلى أداء ما أوجب، وإلى الوقوف عند حدود الله يرجون ثواب الله ويخشون عقاب الله، وهكذا من كان عنده علم في بيته من رجل أو امرأة في بيته ومع جلسائه مع زملاءه ينشر العلم مع أهله، المرأة ذات العلم تتكلم مع أهلها وبناتها وأخواتها وغيرهن، والرجل كذلك ينشر العلم بين أهله وبين زملائه وبين جلسائه يرجو ما عند الله، فإذا اجتهد العالم في إبلاغ العلم ومن كان عنده علم بين زملائه وإخوته، والمرأة مع أهلها وأهل بيتها وجلسائها على ما عندها من العلم انتشر الخير، وليس خاصًّا بزيد وعمرو.

الواجب على من عنده علم أن يبثه وأن ينشره وهو العلم الصحيح المتلقى عن كتاب الله وعن سُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، فينشره بين أهله وبين جلسائه على حسب علمه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

الذي عنده علم في التوحيد يتكلم في التوحيد مع زملائه، وإخوانه ومن يسمع منه، ومن يرجو أن ينتفع بذلك، وإذا كانت المسألة تحتاج إلى أخذ إذن أُخذ من الجهة المسؤولة حتى يبلِّغ، وهكذا المرأة مع أهل بيتها، ومع زميلاتها ومع جلسائها، وهكذا المسلم الذي عنده بعض العلم لا يبخل ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾.

فهناك أمور ما تحتاج إلى مزيد علم، كونه يحذِّر من التهاون بالصلاة، هذا أمر معلوم بين المسلمين عند العامة والخاصة، فرض الصلاة وأداؤها في الجماعة، فرض الزكاة، فرض صيام رمضان، فرض حج البيت على المستطيع، تحريم الزنى، تحريم الخمر، تحريم الربا، تحريم الغيبة والنميمة، هذه أمور معلومة عند عامة المسلمين، فيجب

التواصي بفعل ما أوجب الله والتواصي بترك ما حرم الله، ومن كان عنده علم وبصيرة بكل ما شرع الله أو بمعظم ما شرع الله على حسب علمه ينشر العلم بالأدلة الشرعية، قال الله قال رسوله.

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فيكون حريصًا على بذل العلم حسب الطاقة حسب الأصول المتبعة، والتي يشار عليها حتى تقبل منه النصيحة، وحتى تُقبل منه الدعوة، وحتى تبرأ ذمته فيكون عنده العناية بما قاله الله ورسوله.

والتَّحري وعدم العجلة حتى لا يقول على الله ما لا يعلم، وحتى لا يُحل ما حرَّم الله وحتى لا يحرِّم ما أحل الله، فالمؤمن يتحرَّى ويتكلم بعلم وبصيرة حسب طاقته وحسب علمه مع جلسائه ومع إخوانه ومع أهل بيته، ومن كان عنده سعة في العلم تكلم حسب طاقته في المجالس المناسبة في المسجد في غير ذلك، يتقي الله ما استطاع يبلغ عن الله ما استطاع بالطرق التي تيسر سلوكها، التي وجَّهه المسؤولون إلى سلوكها حتى تنشر الحكمة، وينتشر العلم، وحتى يقل الجهل بين المسلمين.

وأسأل الله للجميع التوفيق والهداية، نسأل الله أن يوفق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين والثبات عليه، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه سميع قريب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

✲ ✲ ✲

تفسير سورة التغابن

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

قد سمعنا جميعًا هذه السورة العظيمة، سورة التغابن ما فيه العظة والذكرى لكل من له لب، يقول جلَّ وعلا: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

الله جلَّ وعلا هو المستحق لأن ينزَّه عن كل نقص، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا مِثل له، يسبِّح له أهل الأرض والسماء، ويقدِّسونه، وينزِّهونه عن كل نقص.

المؤمن بلسان المقال، غير المؤمن من سائر المخلوقات بلسان الحال؛ فإنها تشهد لصانعها بأنه الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته ﷻ، هو الحق الذي لا شريك له في ملكه، وتدبيره، ولا شريك له في استحقاقه العبادة؛ ولا شريك له في أسمائه وصفاته جل وعلا، وبيَّن في أثنائها سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التغابن: ٧]، زعموا؛ **يعني**: كذبوا، الزعم؛ **معناه**: الكذب هنا، الزعم يطلق بمعنى قال، ويطلق بمعنى الكذب؛ **يعني**: كذبوا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ يقول للكفرة من قريش وغيرهم من منكري البعث، منكري الآخرة يقولون: ليس هناك بعث؛ ولكنه حياة يموت قوم ويعيش آخرون وهكذا، فأكذبهم الله، وأبان

---

(١) درس سماحة الشيخ بعد الفجر في مخيمه بمنى في يوم ١٤١٠/١٢/٩هـ.

سبحانه أنه لا بد من بعث ونشور، ولا بد من جزاء وحساب، وجنة ونار.

كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وقال جلَّ وعلا هنا: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾، يحلف سبحانه وهو الصادق وإن لم يحلف: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾؛ يعني: قل يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ يأمر نبيه أن يقسم على ذلك: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾؛ يعني: تخبرن ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾؛ يعني: من خير وشر: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقد أقسم في آية أخرى أيضًا، بقوله جلَّ وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، أمر الله نبيه أن يقسم أيضًا في هذا الموضع الثاني، وفي موضع ثالث قال: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]؛ يعني: البعث، والنشور، والجزاء، والحساب.

وفي هذا يقول جلَّ وعلا: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، يقسم ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، هو على كل شيء قدير جلَّ وعلا، ثم قال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]؛ يعني: أيها الناس آمنوا بالله ورسوله، آمنوا بالله ربًا وإلـٰهًا ﷻ، ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام المبعوث إليكم رحمة للعالمين، وصدقوه، واتبعوا ما جاء به ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾، هو ما بعث الله به نبيه من الهدى ودين الحق هو النور، قد جاء بنور ينور الله به للعباد الطريق وأوضح لهم به السبيل، فأمرهم بما أمرهم به، ونهاهم عما نهى عنه، ووعدهم على ذلك الجنة ودار الكرامة، والسعادة الأبدية، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي

﴿أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]، في آية آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، لا تخفى عليه خافية جلَّ وعلا.

ثم قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾؛ يعني: يوم القيامة، يوم الجمع يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين ويجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها كما قال ـ في سورة الواقعة ـ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وفي هذه الآية يقول ـ آية التغابن ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾؛ يعني: يوم القيامة: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾، يوم فيه التغابن، يوم عظيم يوم القيامة، يوم عظيم فيه التغابن؛ معنى: التغابن أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، هؤلاء ناجون، وهؤلاء هالكون.

هذا هو الغبن العظيم، ليس غبن السلع كونها شراها بمائة وهي تساوي ثمانين فغبن، أو شراها بألف وهي تساوي ثمانمائة فغبن، هذا غبن يسير في الدنيا؛ لكن الغبن العظيم أن تساق إلى النار، وأخوك أو خادمك يكون إلى الجنة، هذا هو الغبن العظيم، أن تغبن بخسارة أعمالك، وفساد أعمالك، وعدم قيامك بحق الله، فتكون إلى النار، والآخر الذي تعرفه أخوك، أو أبوك أو عمك، أو خادمك، أو خادمتك، قد قام بأمر الله وصار إلى الجنة، وأنت مغبون صرت إلى النار بأعمالك السيئة، هذا هو الغبن العظيم: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾.

ويوم عرفة هذا اليوم يذكرنا بيوم الجمع، يوم عرفة يذكر بيوم الجمع، يذكر بيوم القيامة، يوم عرفة يجمع الله فيه أممًا كثيرة من أنحاء كثيرة، ومن أقطار متنوعة يجتمعون في هذا اليوم؛ للقيام بين يدي الله، وذكره، ودعائه، ومناجاته يرجون رحمته، ويخشون عقابه ﷻ، قد تجمعوا من بلاد كثيرة، من أقطار كثيرة، من كل فج عميق، يرجون رحمة الله، في زي واحد، أو زي متقارب، وأهل القيامة يوم القيامة كلهم ليس عليهم شيء حفاة عراة غرلًا يوم القيامة، ما عليهم ملابس،

يجتمعون من قبورهم عراة ما عليهم شيء، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. فَقَالَ: «**الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»[1]؛ يعني: الأمر أشد من أن ينظر أحد إلى أحد كل مشغول بنفسه، مشغول بماذا يلقى، هل يكون ناجيًا أو هالكًا؟

ثم أول من يكسى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

ثم قال: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، هذا جزاء من آمن واستقام، آمن بالله ربًّا وإلـهًا، وعبده وحده واستقام على دينه، له الجنة والكرامة، وتكفير السيئات: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾، هذا جزاء من آمن بالله وآمن بالآخرة، واستعد للقاء الله بطاعته واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، أن الله يكفِّر عنه سيئاته، ويدخله الجنة، وينجيه من النار.

أما الذين كفروا بالله وعاندوا أمره، وخالفوا شريعته، فأخبر عنهم ﷻ، بأنهم أصحاب النار، فكيف ترضى لنفسك أن تكون من أصحاب النار، ينبغي لك أن تستعد للقاء الله، ينبغي لك أن تكون على عمل صالح، يجب أن تحذر مغبة سيئاتك وتفريطك.

والمؤمن دائمًا على حذر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، فالمؤمن يحذر سيئاته، ويحذر غفلاته، ويحذر جلساء السوء، ويحذر عدو الله الشيطان ونزغاته، دائمًا في حذر حتى يستعد

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، برقم (٦٥٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم (٢٨٥٩).

للقاء ربه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠]، هذا جزاؤهم، فاحذر أن تكون من أولئك الأشرار، واحرص أن تكون من أهل الإيمان والخير، فالاستقامة على طاعة الله، وتعظيم أمره ونهيه، والمسارعة إلى طاعته والحذر من المعصية، هذا طريق النجاة، هذا سبيل السعادة، والتهاون بأمر الله واتباع الهوى هذا هو سبيل الهلاك.

ثم نبَّه أن المصائب بإذنه، قال جلَّ وعلا بعد هذا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾ [التغابن: ١١]؛ يعني: بمشيئته، وقدره جلَّ وعلا، سواء كان يصيبه مرض، أو عمى، أو صمم في الأذن، أو عطل في اللسان، أو غير ذلك من أنواع المصائب هي بعلمه وتقديره ﷻ، ما جاءت عبثًا وصدفة لا، ما جاءت إلا بإذن الله بمشيئته، له الحكمة البالغة جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ﴾ [التغابن: ١١]، من يؤمن بالله، وأنه سبحانه له الحكمة البالغة، ويتصبر، ويتحمل، له الأجر العظيم، والخير العظيم، والعاقبة الحميدة؛ ولهذا قال: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ﴾؛ يعني: يوفقه، ويثبت قلبه على الإيمان، ولا يزيغ مع الزائغين؛ يعني: يعلم أن الأمر من عند الله، وأنه بقضائه، وأن له الحكمة البالغة سبحانه، جلَّ وعلا فيرضى، ويسلم، ويطمئن، ويرتاح ضميره، فله العاقبة الحميدة على صبره، فقد تزول المصيبة، قد يدعو ربه فيرفع عنه المصيبة، وقد تبقى المصيبة وله فيها الأجر العظيم، والخير العظيم، والفائدة العظيمة، والسعادة الأبدية: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

ثم قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]؛ يعني: على العبد الصبر في المصائب، وعليه طاعة الله ورسوله، يصبر عند المصيبة، ويعلم أنه من عند الله فيطمئن

قلبه، ويقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ويسأل ربه العافية، ويعمل الأسباب التي تدفع المصيبة حسب طاقته، ويلزم الطاعة لله ورسوله، حتى يفوز بالسعادة الأبدية.

ثم بيَّن أن بعض الأزواج، وبعض الأولاد عدوٌّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، بعض أولادك، وبعض الزوجات، وبعض الأزواج أعداء، فاحذر مَن أمرك بمعاصي الله، هو عدو لك في الحقيقة من ولد، أو زوجة، أو زوج؛ لا تطع من أمرك بالمعاصي، ولدك بنت أو ذكر قد يضرك، أو يدعوك إلى الشرك بالله، إلى شرب الخمر، إلى العقوق، إلى القطيعة، إلى غير هذا من المعاصي، لا تطعه وإن كان ولدك، وهكذا أبوك قد يكون سيئًا يأمرك بالمعاصي وهو أبوك؛ لا تطعه في معاصي الله، «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(١).

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]؛ يعني: بعض الأزواج، وبعض الأولاد فاحذره، كن على حذر من أولادك، من زوجتك، والمرأة من زوجها إذا أمرها بمعاصي الله، والزوجة عليها أن تطيعه في المعروف، والكلام في الشيء الطيب؛ لكن إذا أمر بمعصية لا، إذا أمرها بالزنى لا تطيعه فيه بالزنى، أمرها بشرب المسكر لا، أمرها بالتكشف والعري، وعدم التستر والتبرج، لا تطيعه في معاصي الله، إنما تطيعه في المعروف فيما شرع الله، فيما أباح الله، أما المعصية فلا، لا تطيعه في معاصي الله في التبرج وإظهار زينتها لأخيه أو لعمه، أو الكشف له، أو الخلوة به

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث علي رضي الله عنه في كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، برقم (٧٢٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٤٠).

لا، لا طاعة له في ذلك، أمرها بالخمر، بالتدخين، بعقوق أبيها وأمها لا، إنما الطاعة في المعروف، وهكذا إذا أمرته زوجته بما لا ينبغي لا يطيعها في المعصية، لا يطيع زوجته ولا غيرها في المعاصي؛ ولا ولده في المعاصي لا في شرب المسكر، لا في حلق اللحى، لا في التدخين، لا في عقوق الوالدين أو أحدهما، لا في التكاسل عن الصلوات أو عدم الصلاة إلى غير هذا «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

إذا هداه الله ورجع عما فيه من الشر، وتاب إلى الله تعفو وتصفح، عن ولدك، وعن زوجتك، إذا رجع الولد إلى الصواب، رجعت إلى الصواب وهدى الله الجميع وتركوا المعاندة والمخالفة فينبغي لك أن تعفو وتصفح، وتترك الكلام عما مضى بعد التوبة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، الأموال فتنة، والأولاد فتنة، فمن اتقى الله في ماله، وأطاع الله فيه، فله السعادة، ومن اتقى الله في ولده وأمره بطاعة الله ونهاه عن معاصي الله، ولم يطعه في الشر أفلح، فالفتنة الاختبار والامتحان، فاحذر أن تطيع ولدًا في معصية الله، بعض أولادك يجرك إلى الشر ويدعوك إلى الشر فلا تطعه في الشر، من أمرك بالخير أطع، ومن أمرك بالشر احذره، من زوجة أو زوج، أو ولد، أو صديق، أو أخ، أو غير ذلك.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]؛ يعني: اختبار وامتحان، الإنسان يمتحن بماله وولده، هل يطيع الله، أو يعصي الله في هذا المال وهذا الولد، فتنة اختبار وامتحان. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، لمن صبر واحتسب واتقى الله.

ثم يقول بعده: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، في جميع

الأمور: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، مع الزوجة، ومع الأولاد، في الغنى، في الفقر، وفي المرض، وفي غير ذلك: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، الإنسان يسمع ويطيع لولي الأمر في المعروف، ولا ينزع يدًا من طاعة، ولا يشق العصا، ولا يسبب المشاكل، يسمع ويطيع في المعروف، في طاعة الله؛ لا في المعاصي.

ثم يقول: ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، يأمر بالنفقة، يحثهم على النفقة، الصدقات، والإحسان، أنفق ولو ما عندك إلا القليل، يقول النبي ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، ولو بشق تمرة، الذي عنده ملايين، والذي عنده مائة ألف، والذي عنده ألف، والذي عنده مائة ريال يتصدق حسب حاله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ويقول النبي ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»، تقول عائشة رضي الله عنها: جاءتني امرأة تسأل ومعها ابنتان فلم أجد في البيت إلا ثلاث تمرات، زوج النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها قالت: فاعطيتها التمرات الثلاث فأعطت كل واحدة من ابنتيها تمرة، ورفعت الثالثة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها التمرة الثالثة فشقتها بينهما نصفين، ولم تأكل شيئًا، قالت: فأعجبني شأنها فلما جاء النبي ﷺ، أخبرته فقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»(١)، بهذه الرحمة وهذا الإحسان.

ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (٢٦٣٠)، وهذا لفظه بتمامه عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، من وقاه الله شح نفسه وحرصها وبخلها قد أفلح؛ فالجود والكرم، والإحسان من رحمة الله، ومن نعم الله، ومن وقاه الله شح نفسه وبخلها فقد أفلح.

يروى عن عبد الرحمٰن بن عوف الصحابي الجليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة كان يطوف بالكعبة، ويكثر من قول: «ربِّ قني شح نفسي، ربِّ قني شح نفسي»(١)، فقال بعض أصحابه: يا عبد الرحمٰن أكثرت من هذا الدعاء قال: ما سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، إذا وقاني الله شح نفسي أفلحت، إذا وقاه الله بخلها وشحها وحرصها أفلح.

أسأل الله أن يوفقنا وسائر المسلمين، وسائر حجاج بيت الله الحرام، نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يصلح القلوب والأعمال، وأن يمنح الجميع الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل ما فيه رضاه، وأن يصلح بطانتهم، وأن يعينهم على كل خير، وأن يوفق جميع المسلمين في كل مكان لما فيه رضاه، وأن يرزقهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، وأن يكفيهم شر شرارهم، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين والصالحين المصلحين إنه سميع قريب، ونسأله القَبول والمغفرة والعتق من النار، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (سورة الحشر، آية ٩).

تفسير سورة الإنسان

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

قد سمعنا جميعًا لقراءة إمامنا الآن سورة عظيمة بيَّن الله فيها سبحانه مبدأ الإنسان، ومصيره إما الجنة، وإما النار، وبيَّن فيها ما أعده لأعدائه الكفرة، وبيَّن فيها في آيات كثيرات ما أعد لأوليائه، أهل الطاعة وبيَّن صفاتهم، وأخلاقهم العظيمة، وما لهم عنده من الجزاء الحسن، وهي سورة الإنسان: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]، وبيَّن في آخرها إنزال كتابه العظيم على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وختمها بأنه يدخل من يشاء في رحمته، وهم أهل الإيمان والتقوى، وأنه أعد للظالمين عذابًا أليمًا.

فهذه السورة العظيمة فيها عظة وذكرى، وكل القرآن عظة وذكرى، وكله هدى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، قال جلَّ وعلا: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، كله هدى، كله رحمة، كله نذارة، كله بشارة، كله عظة، كله توجيه إلى الخير.

---

(١) درس سماحة الشيخ بعد الفجر في مسجد الأمير منصور بجدة وذلك في يوم ٢/ ١٢/ ١٤١٢هـ.

وهذه السورة سورة الإنسان من أوضح السور في الدعوة إلى الله، وبيان مبدأ الإنسان ونهايته، وبيان صفات الأبرار والأخيار، وصفات الأشرار، ولما فيها من العظة العظيمة شرع الله قراءتها مع السجدة في صلاة الفجر يوم الجمعة كل أسبوع ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة و: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ كان يقرأهما النبي ﷺ، في صلاة الفجر يوم الجمعة[1] لما في هاتين السورتين من العظة والتوجيه العظيم، وبيان مبدأ الإنسان ومصيره ونهايته، وبيان صفات الأخيار ومصيرهم، وبيان صفات الأشرار ومصيرهم، فجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يُعنى بكتاب الله وأن يتدبره ويتعقله حتى يعرف الحق، وحتى يعلم المطلوب الذي هو مطلوب منه، وحتى يعلم ما هو المطلوب الذي نهي عنه، وحتى يعلم مصير الأخيار، ويعلم مصير الأشرار، يقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

أنزل لهذا الأمر؛ للتدبر، والذكرى والعمل.

ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ يعني: للطريقة التي هي أهدى الطرق وأقومها وأسدها وأصلحها، وهي طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، عن إيمان، وعن صدق، وعن إخلاص لله، وعبادة لله وحده، وعن براءة من الشرك وأهله، وعن عناية بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، فالطريقة التي يهدي إليها القرآن، ويرشد إليها، ويدل عليها هي أفضل الطرق، وهي أهدى الطرق، وهي أسدها، وأصلحها، وأنفعها، فالواجب على المكلفين جميعًا أن يأخذوا بها، وأن يستقيموا عليها، وأن يتواصوا بها أيضًا:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري، في كتاب سجود القرآن، باب سجدة (تنزيل) السجدة برقم (١٠٦٨)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة برقم (٨٨٠).

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، وتعانوا على البر والتقوى، فأنت يا عبد الله مطالب، مطالب بتدبر هذا القرآن والعمل به، مطالب بالتواصي مع إخوانك بالحق، والصبر عليه، مطالب بالتعاون على البر والتقوى، مع إخوانك، وأهل بيتك وغيرهم.

لست مهملًا ولا مغفلًا، ولا معرضًا عنه، فأنت مأمور، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ويأمر في هذا ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فعليك أن تعرف هذه العبادة، ما هي هذه العبادة، عليك أن تعرفها، أنت مخلوق لها، مأمور بها، عليك أن تعرفها، وهي توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه هذه هي العبادة، اعرفها، تدبرها، تعلمها، من كتاب الله، ومن سُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام.

العبادة التي خلقت لها مفصلة في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه العبادة التي خلقت لها: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٩].

هذه العبادة فسَّرها في آيات، وينوعها، ويكررها: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ

﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣١].

من ابتغى غير زوجته وملك يمينه فهو العادي الظالم بالزنى أو اللواط، أو نكاح اليد الاستمناء، أو غير هذا كله عدوان ظلم لا يجوز، عليك زوجتك فقط، أباح الله لك الزوجة وملك اليمين، السُّرية التي ملكتها بالسبي أو بالشراء، أو بالإرث ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ زوجاتهم ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾، وهكذا الزوجة ليس لها إلا زوجها أو سيدها الذي ملكها ملكة شرعية يحرم عليها سوى ذلك، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٢ ـ ٣٥]، فالله شرح هذه العبادة ووضحها فسرها في آيات كثيرات من كتابه العظيم.

وفسَّرها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة لما سأله جبرائيل قالَ: يَا مُحَمَّدُ، أخبرني عَنِ الإسلامِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: **«الإسلامُ: أنْ تَشْهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا الله وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبيلًا»**(١).

وهكذا لما سأله في حديث أبي هريرة: سأله جبرائيل عن الإسلام قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: **«الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ**

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه، برقم (٨)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام، برقم (٢٦١٠)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة باب في القدر، برقم (٤٦٩٥)، والنسائي (٨/ ٩٧).

الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»، ولما سأله عن الإيمان قال: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**»، سأله عن الإحسان: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1].

هذا تفسير ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وتفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وتفسير قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا هو الإسلام، طاعة الله ورسوله، الإسلام الانقياد لله، أسلم انقاد، الإسلام الانقياد والذل لله، والطاعة له والخضوع له، المسلم هو المنقاد لأمر الله، المطيع لله التارك للمعاصي هذا هو المسلم، سُمي الدين الإسلام إسلامًا لأنه انقياد لله، طاعة لله، ذل لله، خضوع له ﷻ؛ فالإسلام هو الانقياد لأوامر الله، وترك نواهي الله، هذا هو الإسلام، وأساسه توحيد الله، والإخلاص له، وترك الشرك به، والإيمان برسوله محمد ﷺ، وبجميع المرسلين، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، هذا أساسه أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأن تؤمن برسوله محمد ﷺ، وتصدق بأخباره، تصدق بما قال الله ورسوله، وتؤمن بما قال الله

---

(١) يشير بذلك للحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب «الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**». ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآيَةَ. ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «**رُدُّوهُ**». فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ**». ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٩).

ورسوله، مما كان، وما يكون، وعن الآخرة والجنة والنار، وعن الرسل وأخبارهم، تؤمن بكل ما أخبر الله به، كله داخل في الإيمان، وداخل في توحيد الله، والإيمان به، والإيمان برسوله ﷺ، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم جميع الأوامر والنواهي.

وأركانه خمسة بيَّنها الرسول ﷺ، خمسة فقط، هذه أركانه، عُمُده التي يقوم عليها وهي ما ذكرها لجبرائيل: «**شَهَادَة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَام الصَّلَاةِ، وَإِيتَاء الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْم رَمَضَانَ**».

وذكرها في حديث آخر حديث ابن عمر يقول ﷺ في حديث ابن عمر: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[(١)]. بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ يعني: على خمس دعائم، خمسة أركان: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**».

هذه عُمده والبقية فروعه، وأعماله التي تتمِّمه من الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الدعوة إلى الله، صدق الحديث، بر الوالدين، صلة الرحم، إكرام الجار، ترك ما نهى الله عنه ورسوله من سائر المعاصي. كل هذه متمِّمة للإسلام، وكل هذه بقيته داخلة في عبادة الله التي خُلقت لها، داخلة في عبادة الله التي أمرت بها؛ ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ، برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه في صفحة (٣٦).

هذا الدين كله بضع وسبعون شعبة؛ يعني: خصلة أعلاها وأعظمها شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ومعها أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ لأنها قرينتها لا بد منها، تشهد أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن تشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو خاتم الأنبياء فلا بد من التصديق بهذا، على الرجل والمرأة الإيمان بهذا، الإيمان بأنه لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأنه المعبود بالحق دون كل ما سواه، وأن الآلهة سواه باطلة سواء من حجر، أو من شجر، أو من بشر، أو من جن، أو من إنس، أو من ملائكة، أو غير ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ يعني: نعبدك وحدك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، نستعينك وحدك، ويقول ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

فأصل هذا الدين وأساسه أن تخصَّ الله بالعبادة دون كل ما سواه، وأن تؤمن به وبما أخبر به من الجنة والنار، والحساب والجزاء، وما كان وما يكون، وأن تؤمن برسوله محمد ﷺ، وأنه الرسول حقًّا إلى جميع الثقلين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالمفلحون هم أتباع النبي ﷺ، ومن حاد عن ذلك من جن، وإنس، فهو كافر، خاسر، من يهود، أو نصارى، أو مجوس، أو ملاحدة، أو غير ذلك، كل من حاد عن طريق النبي ﷺ، ولم يؤمن به، ولم يتبع شريعته فهو

من أهل النار كائنًا من كان، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، ويقول ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(٢)، «**بُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**»(٣)، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ليس للعرب، للعالمين الجن والإنس، والعجم والعرب جميع الناس رحمة لهم، إذا اتبعوه وأطاعوه وهداهم الله به صاروا إلى الجنة والسعادة.

وفي هذه السورة يقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، هذا استفهام معناه التقرير، معناه نعم أتى عليهم: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾؛ يعني: قد أتى عليهم، يسميه النحاة استفهام تقرير؛ يعني: أنه أتى على الإنسان دهر ما هو موجود آدم كان قبله دهورًا ما وجد آدم عليه الصلاة والسلام أبونا، وهو الإنسان المذكور ثم خلقه الله من الطين، خلقه الله من تراب من طين: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤]، ثم نفخ فيه الروح لما صوَّره نفخ فيه الروح فقام إنسانًا سويًّا، وأسكنه الجنة، وخلق زوجته منه من جسمه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، من نفسه من

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ المِلَلِ بِمِلَّتِهِ، برقم (١٥٣).

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله في كتاب التيمم، وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٢٥٠).

لحمه ودمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، من أنكر هذا فهو كافر، من قال: إنها لم تخلق منه فهو كافر، كما وقع في بعض الصحف التي ذكرت عن بعض الملحدات إنكار كونها خلقت من آدم، وإنكار عوجها، المقصود أن الله خلق آدم من تراب، وخلق زوجته منه، وجعلها سكنًا له، ثم خلق منهما جميعًا بقية الناس، جميع الناس خلقوا من هذا الذكر والأنثى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، آدم وحواء: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، كان آدم غير موجود: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾، ثم خلقه الله من التراب من الطين، وخلق زوجته منه، ثم جعل منهما الناس بث منهما خلقًا كثيرًا إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ١، ٢]، الإنسان الذي هو ولد آدم، أما آدم نفسه هو من تراب وذريته من ماء مهين، من ماء ضعيف ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]، ماء ضعيف، الماء المني، ماء ضعيف، مَنِيُّ المرأة ومَنِيُّ الرجل.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]؛ يعني: أخلاط ماؤه، وماؤها؛ ولهذا إذا حملت حكم بأنها قد بلغت لأن لها ماء اختلط مع مائه ويكون منه الولد بإذن الله ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾، نختبره، خلق هذا الإنسان ليبتلى ويمتحن، ويؤمر بعبادة الله، يبتلى بطاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فهو خُلق وابتُلي، أُمر ونُهي، أرسل الله له الرسل، نوحًا إلى أهل الأرض، هودًا إلى أهل الأرض وهم قومه، صالحًا إلى أهل الأرض وهم قومه، ثم

انتشر الناس شيئًا بعد شيء، فكل رسول يبعث إلى قومه إلا محمد ﷺ، بعث للناس عامة، كل إنسان من الرسل يبعث إلى قومه وجماعته إلا نبينا محمد ﷺ، فقد أرسله الله إلى الثقلين جميعًا.

خلق الله هذا الإنسان من نطفة أمشاج من ماء مهين ماء الرجل، وماء المرأة وجعله سميعًا بصيرًا يسمع بأذنيه، ويبصر بعينيه، فضلًا منه سبحانه وتعالى لتقوم عليه الحجة ليسمع الآيات والدلائل ويبصر الآيات والدلائل، يرى بعينيه ما خلق الله من الآيات من ليل ونهار، من أرض وسماء، من شمس وقمر، من نجوم، من بحار، من أنهار، من حيوانات، من نباتات، كلها دلائل على قدرة خالقها، وأنه رب العالمين، وأنه الخلّاق العليم، له الخلق والأمر سبحانه وتعالى، تبصر بعينيك هذه الدلائل يقول سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾؛ يعني: خلق الشمس والقمر ﴿وَالنُّجُومَ﴾؛ يعني: الذي خلق النجوم ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ مذلّلات بأمره ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

خلقت هذه الآيات لمصلحتك لحاجتك، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، الشمس لمصلحتك، القمر، النجوم لمصلحتك: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، فأنت يا عبد الله خُلقت لك هذه الدنيا، هذه الأشياء لماذا؟ لتستعين بها على طاعة ربك؛ لتعبده، أنت تعقل تفهم جعل لك عقلًا أنت لست مثل البهيمة، مثل البعير والبقر لا؟ أنت أكرمك الله بالعقل، تعلم واجبك، وتعمل بطاعة ربك، وتنتهي عن مناهيه سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، كل واحد منكم يعرف هذا، الرجل الذي عنده أطفاله وأطفال غيره ماذا يعلم ما عندهم شيء، ما يعلمون شيئًا ثم بعدما يكبرون يعلمون، عندهم سمع، عندهم بصر، عندهم عقل يتعلمون شيئًا فشيئًا قليلًا، قليلًا: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، الأفئدة القلوب التي فيها العقل، البهيمة ليست مثلك لها عقل؛ لكن عقل يليق بها يناسبها، طير كذلك، هذه الحيوانات كلها لها عقول تليق بها، حتى النملة لها عقل يليق بها تهتدي إلى مصالحها وجمع طعامها، وخروجها ودخولها؛ لكن أنت لك عقل ممتاز تعقل الأشياء غير ما تعقلها البهائم، تعقل الذي خلقك، تعقل الرسول الذي أُرسل إليك، تعقل الخير من الشر، تعقل الأوامر والنواهي، تعقل الضار من النافع غير المخلوقات الأخرى، فالواجب عليك أن تستعمل هذه الأدوات في طاعة مولاك الذي خلقها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وفي سورة الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ دلّه السبيل بما أعطاه من العقل، والسمع والبصر: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣]، هو ممتحن مأمور ومنهي، قد أُعطي عقلًا، وسمعًا، وبصرًا، وهداه الله النجدين، وأوضح له الأمرين، طريق الشر، وطريق الخير، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠]، طريقين، طريق الخير والشر، أوضحها الله على أيدي الرسل، وفي الكتب المنزلة، وعلى يد محمد ﷺ، وفي كتابه العظيم القرآن، أوضح السبيل.

فعليك يا عبد الله أن تتقي الله، وأن تنتفع بهذه الآيات وهذه الحُجج التي وضحها الله لك وأرشدك إليها، لماذا؟ حتى تعبده على

بصيرة، وحتى تكون إلى الجنة بعد ذلك والنعيم المقيم أبد الآباد، وإذا أبيت إلا الحيد عن الحق وسلوك طريق الضلالة فلك دار أخرى، وهي دار الهوان، دار الجحيم، دار العذاب والشقاء.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، هذا المعد للكافرين الذين حادوا عن السبيل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، إن كان شاكرًا فله الجنة مع الأبرار، مع المتقين، وإن كان كفورًا فله النار التي قال فيها سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾؛ يعني: هيأنا لهم وأرصدنا لهم: ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾، فاحذر أن تكون من هؤلاء، أنت وضح لك الطريق، ابتُليت اختُبرت وأوضح لك الطريق قامت عليك الحجة، طريقان لا ثالث لهما، طريق الضلالة وهو عصيان الله ورسوله والحيد عن الحق والهدى، طريق السعادة والهدى هو اتباع كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، فأنت بين هذين الأمرين، اختر، لك عقل، لك سمع وبصر، الله قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ طريق الخير، وطريق الشر، أعطاك السمع والبصر والعقل فانظر لنفسك، وتأمل ولا تتشبه بالبهائم يقول جلَّ وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾؛ يعني: أكثر الخلق: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ تظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إن نافية؛ يعني: ما هم ﴿إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] زيادة على الأنعام أضل من الأنعام؛ لأنهم حادوا عن الحق وتابعوا الهوى، تركوا الحق الذي وضح لهم وحادوا عنه إلى الباطل فصاروا شرًّا من الأنعام، البهيمة البقرة، والشاة، والناقة، إذا هديت إلى منفعتها قبلت تقاد إلى علفها تأكل، تقاد إلى محل مناسب تنخيه، أما بعض بني آدم وهم الأكثرون يقال لهم الحق، ويقادون إليه ويأبون إلا النار، إلا العصيان والمكابرة، وترك الهدى، هذه المصيبة العظيمة يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ

بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، غافلون، معرضون.

لا تكن من هؤلاء، احذر احذر، استعمل عقلك وسمعك وبصرك، واحضر مجالس العلم تدبر القرآن، تدبر السُّنَّة، اسأل أهل العلم، يقول سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، يقول ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١).

ومن الطرق حضور هذا المسجد للصلاة، سماع العظات، سماع حلقات العلم، وهكذا المساجد الأخرى، هكذا المدارس، هكذا الجامعات بقصد العلم، كله من الطرق، هكذا السفر من بلاد إلى بلاد، أو من قرية إلى قرية، أو من قبيلة إلى قبيلة للعلم؛ لطلب العلم، أو للدعوة إلى الله، هذا من طرق الجنة، «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»، إذا خرجت من بيتك إلى حلقة العلم أو إلى الصلاة فقد سلكت طريقًا إلى الجنة، وهكذا إذا خرجت من بيتك لعمل صالح؛ لعيادة مريض؛ لتشييع الجنازة؛ للدعوة إلى الله؛ لإنكار المنكر، للدعوة إلى الخير، أنت في طريق الجنة.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]، لماذا أُعدت لهم، لأنهم حادوا عن الحق، حادوا عن السبيل، ما انتفعوا بالذكرى، ما انتفعوا بما جاء به هذا القرآن العظيم، فعليك أن تعلم أن تتدبر هذا الكتاب: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ [ص: ٢٩]، ليس ليقرؤوا فقط، القراءة ما تكفي، القراءة وسيلة؛ لكن يجب التدبر، والتعقل، والعمل، ويقول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ**

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة؛ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ برقم (٢٦٩٩).

وَعَلَّمَهُ»[1]، تعلَّم وعلِّمه الناس للعمل ليس لمجرد التلاوة، ويقول ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»[2]، حجة لك إن عملت به، حجة عليك إن ضيعته ولم تعمل به.

ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٨] إلى آخر الآيات يذكر فيها صفات الأبرار أعمالهم الطيبة، الأبرار هم المطيعون لله التي برَّت أعمالهم، برَّت أقوالهم، استقاموا فالأبرار هم الذين أطاعوا الله ورسوله، استقاموا على دين الله، ويدخل فيهم السابقون لأنهم أبرار.

* طبقات الناس:

والناس طبقات ثلاث: كفار، ومقتصدون، ومسابقون للخيرات، وقد يجعلون أربع طبقات أيضًا: الرابعة، الكفار، بأنواعهم وأشكالهم من اليهود والنصارى وغيرهم ممن لم يتبع الرسل، والمسلمون ثلاثة أقسام كما قسمهم الله في سورة فاطر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه العاصي، مقتصد الأبرار المطيعون لله، المستقيمون على طاعته وترك محارمه، السابق للخيرات هو الذي جمع بين أداء الفرائض وترك المحارم مع المسارعة للخيرات، مع الجد في أنواع الطاعات، مع الاستكثار من الخيرات، فهو من

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتاب فضائل القرآن، باب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري في كتاب الطهارة، باب الوضوء، برقم (٢٢٣).

السابقين، فاحرص أن تكون من هؤلاء الأخيار، احرص أن تكون من الأبرار والسابقين، واحذر أن تكون من الظالم لنفسه، واحذر أكبر من ذلك أن تكون من الكافرين الضالين؛ لا تكن مع الكافرين والعياذ بالله، ولا مع الظالمين لأنفسهم بالمعاصي. احذر جاهد نفسك؛ لعلك تَسْلَم؛ لعلك تكون من المقتصدين أو من السابقين للخيرات من الأبرار أصحاب النعيم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

فعليك يا عبد الله أن تتدبر هذا المقام، جعله سبحانه قسمين هنا: كيف؟ كفار، وأبرار ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ أرصدنا وهَيَّأنا ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ تجعل في أعناقهم وأيديهم ﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ سلاسل وأغلالًا ﴿وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] عذاب شديد عده عذابًا شديدًا ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ المطيعين لله ولرسوله ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] شرابًا طيبًا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ إذا نذروا الطاعات أوفوا بها، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٦، ٧] يوم القيامة، هذه حالهم ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] يطعمون وينفقون مع حب المال يخرجون المال طاعة لله ومحبة له ﷻ.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] أعطوهم وأحسنوا إليهم ما أرادوا منهم مكافأة أعطوهم لله يرجون ثوابه، وإحسانه ﷻ وخلفه، فأنت يا عبد الله احرص أن تكون من هؤلاء، تأمل صفاتهم في هذه السورة وغيرها، من صفاتهم قال الله عنهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]، كل يخافه، احذر هذا اليوم ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ هو يوم القيامة خافوا فأعدوا له، أعدوا له العدة، فعليك يا عبد الله أن تنظر في هذه الآية وأشباهها حتى تستعد كما استعدوا، وحتى تعمل كما عملوا قال في حقهم:

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، جزاهم بما صبروا على طاعته وترك معصيته جنة وحريرًا دار النعيم، والملابس الحسنة الجميلة اللينة في الآية الأخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١] الفائزون بالنعيم، وفي الآيات الأخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وفي آية أخرى يقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم﴾؛ يعني: على أهل الجنة [الرعد: ٢٣، ٢٤]، يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم؛ يعني: بسبب صبركم نلتم هذه المنزلة العظيمة ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ تهنئهم تسلم عليهم الملائكة في بيوتهم ومنازلهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾؛ يعني: بسبب صبركم دخلتم الجنة وصرتم في هذه المنازل العظيمة: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ نعم العاقبة العظيمة لأهل الإيمان والتقوى.

هذه السورة العظيمة فيها عظة، وهكذا القرآن كله، كله عظة وذكرى فيه الهدى والنور، فيه الدلالة على كل خير، يقول جلَّ وعلا في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قال سعد بن هاشم بن عامر: أتيت عائشة رضي الله عنها فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ[1]؛ يعني: يتدبر القرآن ويعمل بالقرآن هذا خلق النبي ﷺ، يتخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن ودعا إليها ومدح أهلها، ويحذر الأخلاق التي ذمها القرآن ونهى عنها وعاب أهلها، فأنتَ يا عبد الله، وأنت يا أمة الله، كونا كذلك تدبرا القرآن، تدبرا كتاب الله وخذا بالأخلاق، ودعا الأخلاق الذميمة، كل واحد منه هكذا يتدبر، يتعقل، يقرأ في بيته، في الأوقات المناسبة يتدبر، غيبًا أو من المصحف يتدبر في بيته، في المسجد، في أي مكان يتدبر؛ لا يقرأ هكذا كأنه لا يفهم، يقرأ ويتدبر، يعرف ما هو مراد الآيات، يتدبر

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٩١ و١٦٣ و٢١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ١١٥).

الآيات أكثرها واضحة وإذا أشكل عليك تراجع كتب التفسير، تسأل أهل العلم الحمد لله.

المقصود التدبر والتعقل يقول الله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] هذا أحد يجهله؟ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ صَلِّ صلاة تامة، أقمْها، صلِّ مع الناس مع إخوانك صلاة تامة مقامة ما فيها نقص، لا تنقرها، ولا تدخل فيها بقلب غائب بل بقلب حاضر، واركع مطمئنًا، واسجد مطمئنًا، وارفع مطمئنًا، واجلس مطمئنًا وهكذا، أقمها مع إخوانك مع الجماعة في بيوت الله ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أعطوها سلموها للمحاويج، الأمر واضح ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٢٠] افعلوا أوامر الله واتركوا نواهي الله، يقول سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، يصلي وقلبه في كل مكان لا يبالي بالصلاة كالمنافقين، لا، صلِّ وأنت حاضر القلب مطمئن، أقبل على صلاتك أدِّها بخشوع لله وإقبال عليه ﷻ، وأدِّها وأنت مخلص لا مُراءٍ، هكذا في الآيات الأخرى تأمل الآيات تعرَّفها، تعرف معناه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، هذا يحتاج إلى تفسير؟ ما يحتاج إلى تفسير: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ما يحتاج إلى تفسير واضح، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، ما يحتاج إلى تفسير، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، الآيات: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، هذه آيات واضحة، وهكذا كل القرآن إن تدبرته فالأمر فيه واضح؛ لكن يحتاج إلى قلب يحتاج إلى إصرار وعناية، يحتاج إلى إخلاص لله مع رغبة في الحق، وما أشكل عليك فالحمد لله عندك كتب التفسير: ابن جرير، ابن كثير، البغوي وغيرهم، طالع تأمل مع إخوانك مع زملائك، اسأل أهل العلم عما أشكل عليك، وهكذا المرأة تتدبر تقرأ، وتعتني، تعمل بكتاب الله، تجتهد في أداء حق الله عليها، وحق زوجها ووالديها وأقاربها، تعمل كالرجل، كلٌّ مكلف، تسأل أهل العلم تراجع كتب التفسير والحديث، كل من الرجل والمرأة عليه واجبه من العناية والتدبر، ومراجعة الأحاديث وكتب التفسير فيما أشكل عليه، سؤال أهل العلم.

واليوم بحمد الله ميسر يمكن سؤال أهل العلم وأنت في مكانك بالهاتف وأنت في مكانك في بلد بعيد بينك وبين العالم الأيام والليالي الكثيرة بالهاتف، بالبرقية، بالمكاتبة، تسمع برنامج نور على الدرب برنامج مفيد فيه فوائد كثيرة أوصي بالعناية به والاستماع له، والاستفادة منه، وإذا أشكل عليك اسأل صاحب البرنامج عما أشكل عليك من كلامه أو من كلام غيره، اسأل أهل العلم الآخرين، احرص على أهل العلم المعروفين بالاستقامة واتباع أهل السُّنَّة والجماعة حتى تسألهم عما أشكل عليك.

والمقصود أن كتاب الله أنزل للعمل للتدبر والتعقل لا لمجرد التلاوة، وهكذا سُنَّة رسول الله ﷺ، بيَّنها الرسول ﷺ، ونقلت عنه للعلم والعمل جميعًا، الصحيحان والسنن وغيرها من كتب الحديث بلوغ المرام

ملخص من الكتب، عمدة الحديث، الأربعين النووية وتتمتها لابن رجب، رياض الصالحين، منتقى الأخبار، هذه كتب كلها جمعت جملة من الأحاديث يستفيد منها طالب العلم يغيبها يحفظها، يحفظ ما تيسر منها يستفيد يراجع الشروح يراجع كتب التفسير، يراجع كتب الحديث، يراجع أهل العلم، إذا أشكل شيء لا يسكت عن الجهل، يسأل ويتبصر حتى يعمل على بصيرة ويدع على بصيرة.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن ينصر من نصره ويخذل من خذله، وأن يوفق جميع المسلمين في كل مكان للفقه في دينه، والثبات عليه وأن يصلح قادتهم، وأن يولي عليهم خيارهم، وأن يوفق ولاة أمر المسلمين للتوبة إليه والاستقامة على دينه وتحكيم شريعته في كل شيء، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة ويجعلهم من الهداة المهتدين، ويجعلنا وإياكم من أعوانهم في الخير إنه سميع قريب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

الأسئلة

س١: يقول السائل: إذا كان المسلم يتهاون بكبيرة من كبائر الذنوب ويصرُّ عليها وهو يعلم أنها محرَّمة، فهل يخرجه هذا من الملة؟

ج: إذا أصرَّ على الكبيرة يكون عاصيًا ولا يخرج من الملة، هذا قول الخوارج يكفرون بالذنوب لا عند أهل السُّنَّة والجماعة. ولو أصر ما يكون كافرًا إذا كان لم يستحله، لو أصرَّ على شرب الخمر أو العقوق لوالديه، أو الزنى والعياذ بالله ما يكون كافرًا يكون عاصيًا، وهذا الإصرار من أسباب عدم تكفير سيئاته وعدم انتفاعه بالصلوات والزكاة والحج في تكفير السيئات؛ لأن الرسول يقول ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»[1].

والله يقول سبحانه في كتابه العظيم: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فشرط تكفير السيئات باجتناب الكبائر، فإذا أصر عليها حرم تكفير السيئات وصار على خطر من دخول النار إذا مات على ذلك؛ لكن لو دخلها لا يخلد فيها أبدًا بل يعذب على قدر سيئاته في المدى والمدة التي يشاؤها الله سبحانه، ثم يخرجه الله سبحانه بتوحيده وإسلامه إلى الجنة ولا يكفر؛ إلا إذا استحل إذا قال: الزنى حلال يكفر عند جميع المسلمين، أو الخمر حلال يكفر عند جميع

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم (٢٣٣).

المسلمين، إذا استحله اعتقد أنه حلال هذا كافر عند جميع المسلمين، أما إذا شرب الخمر وهو يعلم أنه عاصٍ يعلم أن هذا ما يجوز ولكن غلبه الهوى وطاعة الشيطان واتباع الجلساء المجرمين هذا يكون عاصيًا، قد أتى كبيرة من أسباب حرمانه المغفرة، وهكذا لو زنى وهو يعلم أن الزنى حرام ويعتقد أنه حرام؛ لكن طاوع الشيطان والهوى هذا لا يكون كافرًا يكون عاصيًا أتى كبيرة من أسباب حرمان المغفرة وهو على خطر من دخول النار يوم القيامة، إذا مات على ذلك؛ لكن ليس بكافر ولا يخلد في النار إذا دخلها يعذب فيها ما شاء الله ثم يخرج.

قد أنكر أهل السُّنَّة على الخوارج وصاحوا بهم لأنهم كفَّروا بالذنوب، كفَّروا عليًّا، وكفَّروا عثمان، كفَّروا بعض الصحابة بزعمهم أنهم خالفوا النبي ﷺ، بعد موته عليه الصلاة والسلام فكانوا بهذا ضالين، والصواب في الخوارج أنهم كفار، قال فيهم النبي ﷺ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ**»(١).

وقال: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٢).

والصواب فيهم أنهم كفار بتكفيرهم المسلمين، أما العاصي فليس بكافر إذا لم يستحل المعصية يراها معصية ويعتقد أنها معصية، وأنه عاصٍ؛ ولكن فعلها طاعة للهوى سواء كان زنًى، أو خمرا، أو عقوقا للوالدين، أو غير ذلك من المعاصي؛ لكن عليه البدار بالتوبة والرجوع إلى الله لعل الله يتوب عليه.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، برقم (٧٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والمرتدين بعد إقامة الحجة عليهم، برقم (٦٩٣٢).

س٢: أكثر الإخوان يصدر سؤاله بقوله: إنا نحبك في الله.

ج: أحبهم الله الذي أحبونا فيه، نسأل الله أن يجعلنا وإياهم من المتحابين في جلاله، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ**»؛ يعني: متى خرج هو معلق حتى يؤدي الصلاة الأخرى، «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ**» رجلان أو جماعة هذا مثال أو امرأتان أو رجال ونساء المهم التحاب في الله «**اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»، والخامس: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ**» وهكذا العكس امرأة دعاها ذو منصب وجمال فقالت: «إِنِّي أَخَافُ اللهَ»؛ يعني: دعاها للزنى، والسادس: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»، حريص على الإخلاص لله في صدقاته، والسابع رجل وهكذا المرأة: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا**» ما عنده أحد «**فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[1] خشية لله ﷻ، هذا من أسباب أن الله يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[2].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا**»؛ يعني: في صورة إنسان، «**فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ:**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، برقم (١٤٢٣)، وفي كتاب الحدود، باب فَضْلِ مَنْ تَرَكَ الْفَوَاحِشَ، برقم (٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، برقم (٢٥٦٦).

هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[1].

هذه من نعم الله العظيمة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتحابين في الله.

س٣: رجل أحرم بالحج من الميقات وهو آفاقي وعندما وصل إلى جُدة التقى بأهله فيها وهو يعلم أن الجماع محظور من محظورات الإحرام فقالت له زوجته وهي متعلمة: إن من فسخ إحرامه جاز له الجماع ثم يعود فيحرم مرة أخرى، فوقع عليها وشعر بالحرج بعد ذلك فماذا عليه الآن؟

ج: أخطأت عليه نعوذ بالله، نسأل الله العافية، أفتت بغير علم. قد تكون رغبتها في النكاح دعتها إلى هذه الفتوى الباطلة، عليه التوبة إلى الله وعليها التوبة إلى الله أيضًا، عليهما أن يتوبا إلى الله وعليه بدنة وفسد حجه، عليه أن يكمل حجًّا فاسدًا وينحر بدنة للفقراء والمساكين هكذا أفتى أصحاب النبي ﷺ، بدنة لمن جامع قبل عرفة، يكمل حجًّا فاسدًا، وعليه قضاء حجة أخرى بدل هذا الحج الفاسد. يكمل هذا، ويأتي بحجة أخرى. نسأل الله السلامة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، برقم (٢٥٦٧).

تفسير سورة النبأ

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

هذا النبأ العظيم الذي يتساءل فيه الناس جدير بأن يُعتنى به ويُعرف، ويُعد له العدة. وهذا النبأ العظيم، هو نبأ يوم القيامة، نبأ البعث والنشور، ومجازاة الناس على أعمالهم، فإن كفار العرب أغلبهم منكرون له، ويكذبون بذلك، ويقولون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وهكذا غالب الأمم، فبعث الله الرسل تبين هذا الأمر، وأن الناس لهم مصير، ولهم مرجع إلى ربهم، يجازيهم بأعمالهم، خيرها، وشرها، فجدير بالمكلف والعاقل أن ينظر لهذا اليوم، وأن يعد له عدته، وأن يحذر تكذيب المكذبين، وضلال الضالين؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]؛ يعني: عن أي شيء يتساءلون الناسُ: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢]، فإن قريشًا وغيرها قد سألوا عن ذلك، وتنشر عن الرسول ﷺ، وتقول: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، فبيَّن الله جلَّ وعلا أن هذا اليوم يوم عظيم؛ لا بد منه، لمَّا عدد النعم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، هو يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ

---

(١) من كلمات سماحته في مسجده بمكة الكرمة.

﴿ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ١٨ ـ ٢١]، جهنم للطاغين: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٢، ٢٣]؛ يعني: أحقابًا لا تنقضي، بل عذاب دائم نسأل الله العافية، كل حُقب بعده حقب، والحقب ثمانون عامًا، كما قال جمع من أهل العلم، فجدير بالعاقل أن يعد العُدة، ويحذر التساهل، والتفويت، والتسويف، والتفريط، فيهجم عليه الأجل وهو على غاية من الخسارة، والتفريط فيندم غاية الندامة.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٥]، وعيد سوف يعلمون مغبة هذا التكذيب، وهذا الإنكار، وهذا الشك: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ: ٦]، الله جعل الأرض مهادًا للناس يتقلبون فيها، ينامون، يسافرون، يغرسون، يزرعون، وجعلها لهم فراش مهد: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، ثبت الله بها الأرض حتى لا تموج وتطرب، فهو سبحانه عدد النعم لنشكره، وجعل هذه الشمس سراجًا وهاجًا للناس، ينتفعون بها وينفع الله بها العباد في معاشهم، ومعادهم، وأسفارهم، وإقامتهم، وزروعهم، وغير ذلك.

فالواجب على المكلفين أن ينتبهوا لهذا الأمر؛ ولهذه النعم التي عدَّدها عليهم ﷻ، وجعل سبحانه أزواجًا ذكورًا وإناثًا يتناكحون ويتوالدون حتى يكفوا ويتعاونوا، وجعل لهم هذه الشمس سراجًا وهاجًا، وجعل لهم القمر أيضًا في الليل، كل هذا من نعمه العظيمة ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩]، يقطع الحركة ويستريحون فيه بعد تعب النهار وكده، وتعبه، وجعل الليل لباسًا يغشى الناس وينامون فيه، ويستريحون ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، يتصرفون فيه كل هذا من نعمه العظيمة: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، هذه السموات السبع: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]، هذه الشمس.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، المعصرات: السحاب ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٥، ١٦]، بساتين، ونعم وزروع وخيرات، لهؤلاء العباد، يتنعمون بها، ويعيشون بها في هذه الدار، حتى ينتقلوا إلى الدار الأخرى.

ثم يقول سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، يوم الفصل: يوم القيامة، هذا اليوم العظيم، الذي يفصل فيه بين العباد، فريق في الجنة، وفريق في السعير، كل يعطى نصيبه، وجزاء عمله، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، وهذا يثقل ميزانه، وهذا يخف ميزانه، هذا إلى الجنة مع المنعَّمين يساق إلى الجنة، وهذا إلى النار مع الهالكين، فالواجب العناية بهذا الأمر والإعداد له، والحذر من التفريط والتساهل والغفلة.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل والصالح، وأن يمنحنا وإياكم المسارعة إلى كل خير، والعافية من كل شر، إنه جلَّ وعلا جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

❋ ❋ ❋

تفسير سورة الانفطار والقارعة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فهاتان السورتان من المفصَّل، سورة الانفطار، وسورة القارعة، قد أوضح الله فيهما حال القيامة؛ كأنك تشاهدها، وكأنك حاضر وقت قيامها. بيَّن فيهما بعض الأحداث التي تكون عند قيام الساعة، حتى تعد لها العدة، وحتى تكون على بالك، فإن يوم القيامة حق وسوف تبعث وتنشر، وسوف تجازى بعملك إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وسوف تأخذ كتابك إما بيمينك، وإما بشمالك، وسوف تنتهي إما إلى الجنة، وإما إلى النار، هذه النهاية.

فالجدير بالعاقل أن يعد العدة، وأن يستفيد مما أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن تكون أمور القيامة على باله ليعد لها عدتها، يقول جلَّ وعلا: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، في الآية الأخرى ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، هذه السماء تَنْشَقُّ يوم القيامة، تنفطر، تطوى، تذهب: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، هذه السمٰوات العظيمة تنفطر وتنشق، وتطوى ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، هذه النجوم العظيمة تنتثر ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، هذه البحار العظيمة يذهب ماؤها،

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٧هـ.

وتسجر نارًا كما في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، صارت نيرانًا بعدما هي مياه تفجر مياهها تذهب يكون محلها نار، ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، هذه القبور تبعثر، تنبش، يخرج ما فيها من بني آدم، يخرجون بأعمالهم إلى المحشر ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] الأجداث القبور، في سورة القمر: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، في القارعة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ١ ـ ٤]، كالفراش تتصادم عند النور كالجراد منتشرة في الأرض يموج بعضهم في بعض، وتكون الجبال العظيمة: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، كالصوف المنفوش، تبث، وتنسف، وتدك: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧]، في الآية الأخرى ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، هذا شأن القيامة كأنك تشاهده.

ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، عند وجود الحوادث يعلم الناس ما قدَّموا وأخَّروا، يبعثون من قبورهم وتنشر أعمالهم ويعطون كتبهم، فيعلمون ما قدموا، هذا آخذ كتابه بيمينه، وما أعظم سعادته، وهذا آخذ كتابه بشماله فما أعظم حسرته، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾، في الآية الأُخرى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، من خير، وشر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ما الذي غرَّك حتى أقدمت على الجرائم؟ غرَّك حلمه، إملاؤه لك، الشيطان، غره شيء كثير، إملاء الله، وحلم الله، غرَّه الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء حتى أُملي له، فلما أُملي له ظن أنه ليس هناك شيء، وآثر الدنيا على الآخرة، زين له الشيطان، وجلساء السوء؛ هكذا أنواع منوعة غرته.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨] من غرَّك به حتى عصيته، وركبت محارمه، وخالفت أوامره، وقد سوَّاك، وأنعم عليك، وأعطاك العقل، والسمع، والبصر، والقوة، والمال، لماذا؟ النفس الأمارة بالسوء، الشيطان، جلساء السوء، وإملاء الله لك، وإمهاله لك، ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]، هذا أيضًا مما غرَّه به، تكذيبه بيوم القيامة؛ ليس هناك بعث؛ ولا نشور مثل ما قال الكفرة: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، هذا من غرور الشيطان لهم، أنه ليس هناك بعث؛ ولا نشور، موت وبس، وهي القاصمة؛ لأكثر الخلق غرورهم بأنه لا موت ولا بعث، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]؛ هكذا يقول لهم الشيطان.

يقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]، يخبرنا أن علينا حافظًا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، ويقول في الآية الأخرى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فأنت محفوظ مضبوط ما يصدر منك، ومكتوب أيضًا، وسوف تعطى كتابك إما باليمين إن صلحت، وإما باليسار إن فسدت: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ وهم الملائكة يكتبون ما تعملون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾؛ يعني: ويكتبونه، ملكان واحد يكتب الخير، وواحد يكتب الشر، حسناتك، وسيئاتك، ويمد لك يوم القيامة كتابان، هذا فيه حسنات، وهذا فيه السيئات، فكر، وانظر، واحرص أن تملي الخير، واحرص أن تتوب من الشر؛ لك مهلة في هذه الدنيا، بأمرين فعل الحسنات، والتوبة من السيئات، اغتنم الفرصة، كل يوم يمر عليك فرصة تغتنمها في عمل الطاعات، صلاة تصليها، صدقات تفعلها، ذكر لله، مساعدة في الخير، صيام، حج، قراءة قرآن، عيادة مريض، دعوة

إلى الله، نصيحة، أمر بمعروف نهي عن المنكر، غنائم تكتب في حسناتك، كل يوم، كل ليلة، اغتنم هذه الفرص، واحذر أسباب الشر.

ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، هذه النهاية، في الآية الأخرى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢]، القارعة القيامة تسمى قارعة، ويقال لها: الواقعة، والغاشية، والطامة، والصاخة، كلها أسماء يوم القيامة تقرع أسماع الناس عند قيامها بنفخ الصور، ينفخ في الصور إسرافيل نفخة عظيمة تقرع أسماع الناس كلهم، وتغشاهم جميعًا، وهي الطامة الكبرى، وهي الصاخة، وهي الغاشية، وهي الواقعة، ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] كالجراد الدبا يدور في الأرض، يموج في الأرض مَوَجانًا ما يدري أين يذهب ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] كالصوف المنفوش بعد صلابتها العظيمة تفت، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦] بماذا بالدراهم، بالملابس، بالطعام لا؟ بالعمل الصالح، بالأعمال الصالحة، توحيد الله، الصلوات، الصيام، الصدقات، الجهاد، بر الوالدين، صلة الرحم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكر الله، قراءة القرآن، هذه الأعمال الصالحة، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾؛ يعني: بأعماله الطيبة: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]؛ يعني: مرضية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٨]؛ يعني: بأعماله السيئة ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]، أُمه النار هاوية يهوي فيها الناس: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، هذه الهاوية نار حامية.

فالمنتهى هاتان الداران، إما الجنة، وإما النار، هذه نهاية هذا العالم كله، إما الجنة، وإما النار، والأكثرون إلى النار، قال جلَّ وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، هذه حال أكثر الناس، مثل الإبل،

والبقر، والغنم، والذئاب، والحمير، ما عندهم بصيرة، هذه أكثر الخلق: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، هذه حالهم، أضل من الأنعام أردى، البعير قد يتوجه إذا وجهته يذهب للمراعي، يأكل ويشرب، البقرة، العنز، الحمار، البغل، قد يتوجه، أما هؤلاء صم بكم، ما همُّهُ إلا أكله، وشربه، ونكاحه، وسواليفه؛ ولا يهمه آخرة ولا جنة ولا نار، قد طبع على قلبه مريض: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ تظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ يسمع ولا ينتفع ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾؛ يعني: أردى، فاحرص يا عبد الله أن تكون من العقلاء الفاهمين العاملين المطيعين لله ورسوله، واحذر أن تكون من الأخسرين من الأكثرين الضالين الخاسرين أشباه الأنعام، احذر، جاهد، اسأل ربك التوفيق، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اللَّهُمَّ ردني إليك ردًّا جميلًا، اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ انفعني بسمعي، وبصري، وعقلي، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل.

اضرع إلى الله دائمًا، اسأل ربك، ربك يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ربنا ذكرنا وأعطانا عقولًا، وأسماعًا، وأبصارًا، تفهم، لو تعطى تمرة أخذتها تفهم، تعطى جمرة ما بغيتها، تحرق يدك، تعطى ريالًا تأخذه، تعطى جمرة تعطى خبثًا لا؟ عندك عقل، تعرف إن الصلاة حق، فعليك بالصلاة حافظ عليها في الجماعة، تعرف أن الصدقة حق، والزكاة حق أدها، تعرف أن الصيام حق صم، تعرف أن الحج حق حج، تعرف أن بر والديك حق بر والديك، تعرف أن الصدقة فيها خير،

تصدق حسب طاقتك «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[1].

تعرف إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق، فمُر بالمعروف، وانهَ عن المنكر؛ لا تشمَت، والإنسان العاق لوالده قل له: اتق الله ما يجوز لك العقوق، تعق والديك لا، عليك بالسمع والطاعة لهما، برهما، أحسن إليهما، رأيت أحدًا يشرب الخمر قل له: اتق الله، هذا مسكر حرام من أسباب دخول النار وغضب الله، صاحبه ملعون اتق الله، أو يدخن، قل له: اتق الله، الدخان محرم منكر ضار لك، ولدينك؛ ولمالك؛ ولسُمعتك، يحلق لحيته تقول له: اتق الله، اللحية من الجمال للرجال، جمال لك، الرسول أمرك بإعفائها وتوفيرها فاتق الله لا تحلقها ولا تقصها، قص شاربك، إكرام الجار حق له، عليك إكرام جارك لا تؤذه، لا تؤذه بشيء لا بأولادك، ولا بمذياعك، ولا بغير ذلك، لا تؤذِ جارك أبدًا بشيء، الغريب صله أخوك عمك خالتك، صِلهم بما تيسَّر لك من الصلة، أحسن إليهم.

الغيبة والنميمة احذرها؛ لا تتكلم في أعراض الناس لا تنقل الكلام السيئ من زيد إلى عمرو تسبب فتنة، وهكذا حاسب نفسك، فانظر إلى الخير وقم به، وانظر الشر واحذره، هكذا المحاسبة، الإنسان يحاسب نفسه، جاهدها لله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

كادح عامل كدح فملاقي كدحك ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، برقم (١٤١٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وانها حجاب من النار، برقم (١٠١٦).

إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٤]، ظن أنه لا يرجع يوم القيامة، لاهٍ ساهٍ في أهله، كل منا يحاسب نفسه مع أهله، يتكلم مع أهله، مع زوجته وعياله، اتقوا الله راقبوا الله، حافظوا على الصلوات، اتركوا الغيبة والنميمة، اتركوا ما حرم الله من سائر المعاصي من الملاهي، من التدخين، من شرب المسكر، من الغيبة للناس، والسعي بين الناس في الشر، إلى غير هذا من النصائح.

هذه الفائدة من تدبر القرآن، الفائدة من قراءة القرآن العمل، تعمل وتنصح تجاهد نفسك هذا المقصود ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، أُنزل لهذا، ما أنزل لمجرد القراءة فقط، أنزل للتدبر والتعقل، والعمل ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

لو جاءك كتاب من أميرك، يقول توجه إلى المحل الفلاني، وافعل كذا، وبلغهم كذا، وبلغهم كذا، فأبيت؟ له حق أن يعاقبك هذا الأمير الذي فوقك، وأنت من ضمن الرعية، أمير مثلك؛ لكنك عصيته، وأنت مأمور بالسمع والطاعة في المعروف، كتب إليك وقال لك اذهب للقرية الفلانية بلغهم أن عليهم أن يحافظوا على الصلوات، عليهم أن يحذروا الربا، عليهم أن يحذروا شرب المسكر، قلت لا ما أذهب ما علي منهم، إذا أدبك ماذا يصير وهو واحد مثلك، أليس مصيبًا إذا أدبك؛ لأنك عصيت الأوامر، وهو مخلوق مثلك.

ربك يقول افعل كذا، واترك كذا، ومع هذا لا تبالي، أبوك لو قال لك يا ولدي اذهب بهذا الدرهم وأعطه لفلان يطلبني، اذهب بهذه

العباءة، وأعط فلانًا فقير، اذهب بهذا الطعام وأعطه للفقراء، وأبيت، هل أنت جيد في هذا تستحق الثناء ولا تستحق اللوم والعقوبة من أبيك، أو من أخيك الكبير، أو من أمك، أبوك يقول لك خذ هذه الملابس أعطها الفقراء، هاك الطعام اذهب أعطه الفقراء، ربك العظيم الذي خلقك، وأوجدك من العدم يقول افعل ولا تفعل، ثم تقول لا؛ ولو ما قلت بلسانك تقول بأفعالك، لا أنا سأنام وما أصلي ولا مُزَكٍّ هذا مالي ولي التصرف فيه، ولا أصوم، لماذا أصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أحرم من الأكل؛ ولا أحج، ماذا يصير حالك، ما هذا؟ أليس هذا هو التلاعب، أليس هذا هو كفر النعمة؟ أليس هذا هو الجنون؟ والحماقة؟ وسخافة العقل؟ لو كان مع أبيك أو مع أخيك قال الناس هذا ليس بعاقل؟ فكيف مع ربك الكريم العظيم، الذي خلقك من العدم وغذاك بالنعم، يقول لك افعل ولا تفعل، ولا تبالي، تجعل أمره وراء الظهر؛ لا تمتثل أمرًا ولا تنتهي عن نهي، وأنت عاقل تفهم، ما أنت بمجنون، عاقل.

إن ذلك والله موجب لغضب الله عليك؛ ولعذابه لكفرانك بالنعم، وعصيانك الأوامر، وأنت تعقل وتفهم، ولو كان مع أبيك أو أميرك؛ لكنت مستحقًا أيضًا لتلك العقوبة، الذي أمرك بأوامر تطيقها، مصالح تنفعك، وتنفع أباك وأمك، ثم تعصي، ولا تبالي، فكيف بالرب العظيم الذي خلقك وأنعم عليك، وبيده أمرك، وبيده حياتك وموتك، ثم لا تبالي.

الوصية أيها الإخوة التدبر والتعقل والعناية بالقرآن، والإكثار من تلاوته، تدبر المصير النظر في المصير، كلكم منتهٍ، ما فيه أحد باقٍ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال لنبيِّه ﷺ، يخاطب نبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾

[الزمر: ٣٠]، محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

ولما توفي ﷺ، شك بعض الناس، هو مات أو لم يمت، وكان عمر ممن توقف في موته؟ فقام الصِّديق خطيبًا في الناس، بعد ما ذهب للنبي، وكشف غطاءه عنه وراه وقبَّل بين عينيه، فَقَالَ: «**بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ، لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا**»[1].

ثم خرج إلى الناس في المسجد فصعد المنبر فَقَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ**»[2]، ثم قرأ قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فلما سمعها الناس؛ كأنها ما نزلت إلا ذاك اليوم، كأنهم ما عرفوها إلا ذاك اليوم، كل واحد يتلوها ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قد أيقنوا الموت لما سمعوا خطبة الصديق، استرجعوا ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وعظم الأمر، وكبرت المصيبة، وأيقنوا أن الواقعة وقعت، وأنه توفي عليه الصلاة والسلام، وأن الحي القيوم الذي له العبادة حي لا يموت؛ كما قال جل وعلا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هو الذي يعبد، ويطاع أمره، وإليه المصير.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، برقم (١٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ﵄ في كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، برقم (١٢٤٢).

أما الأنبياء، وإن كانوا أشرف الناس قد ماتوا، ومنهم من قتل أيضًا، ما عدا عيسى فقد بقي، عيسى ابن مريم مرفوع للسماء، وسوف ينزل في آخر الزمان، وسوف يموت في هذه الأرض؛ كما مات غيره من الأنبياء، سوف ينزل ثم يموت؛ كما قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، سوف يموت، ينزل ونزوله من علامات الساعة، ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويمنع الخمر، وتكون السجدة لله وحده، إذا كان في زمانه صارت العبادة لله وحده، دخل الناس في دين الله أفواجًا؛ ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف، بعد نزوله عليه الصلاة والسلام، وهو من أشراط الساعة، عند خروج الدجال، ينزل المسيح ويقتل الدجال، ويحكم الناس بالإسلام بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الهدى، وأن يعيذنا وإياكم من شرور النفس، وسيئات العمل، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في الدين إنه جلَّ وعلا جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

* * *

صفات وأهوال الآخرة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فإنَّ الله جلَّ وعلا يذكر في كتابه الكريم في القرآن، صفات الآخرة، وأهوال الآخرة كي يستعد لها المؤمن والمؤمنة، ويعمل بأسباب النجاة، هذه الدار مزرعة للآخرة، من زرع خيرًا حصده يوم القيامة، ومن زرع شرًّا حصده يوم القيامة.

هذه الدار هي دار الجد والاجتهاد، ودار العمل، ودار الإعداد للآخرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، قال جلَّ وعلا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وفي هذه السورة، سورة الانفطار، ذكر الله جلَّ وعلا شيئًا من أمر القيامة، وأمر الجنة والنار، وأمر الملائكة الذين وكلَّهم الله ببني آدم، حتى ينتبه المؤمن، وحتى تنتبه المؤمنة، ويعلم كل واحد، أن أعماله

(١) من دروس سماحة الشيخ في منى في يوم الاثنين الموافق ١٠/١٢/١٤١٠هـ.

محفوظة، وأنها مكتوبة، وأنه يجازى عليها يوم القيامة، فإن كان من الأبرار، فهو من أهل النعيم والسعادة: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، وإن كان من الفجار العاصين لله، فهو من أصحاب الجحيم، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤].

فجدير بالمؤمن، وجدير بالمؤمنة أن لا يغفل، وأن ينتبه لمعاده، وأن يعدَّ العدة ليوم القيامة، فيستقيم على أمر الله، وينتهي عما نهى الله عنه، هو مخلوق؛ ليعمل بطاعة الله، مخلوق ليطيع الرسول فيما جاء به، مخلوق ليستعد ليوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، يعبدوني، بماذا يعبدونه؟ بطاعة أمره وترك نهيه ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ يعني: بطاعة أوامري، وترك نواهي، والإخلاص له سبحانه في العبادة، وذلك بفعل ما أوجبه الله من الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإكثار من ذكر الله إلى غير هذا مما أمر الله به، وكذلك ترك ما نهى الله عنه، من الشرك بالله، والمعاصي من الزنى واللواط، وعقوق الوالدين أو أحدهما، قطيعة الرحم، والربا، والغيبة، والنميمة، وظلم الناس، في الدماء، والأموال، والأعراض، وغير هذا مما نهى الله عنه.

فالواجب على المؤمنين، والمؤمنات أن يستعدوا، وأن يحذروا، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه أعمال المؤمنين، هذا واجبهم، هذا فرضهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾؛ يعني: أحباء أولياء بينهم يتعاونون على البر والتقوى يتناصحون، يتواصون بالحق، والصبر عليه، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، هكذا المؤمنون

والمؤمنات: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، لا يسب بعضهم بعضًا؛ ولا يذم بعضهم بعضًا؛ ولا يغتاب بعضهم بعضًا؛ ولا ينم بعضهم على بعض؛ ولا يقذف بعضهم بعضًا؛ ولا يشهد عليه بالزور؛ ولا يغتابه؛ ولا يدعي عليه دعوى ظالمة، هو أخوك في الله، وأختك في الله، كل منهم يلزمه أن ينصف أخاه، وأن يعرف له حقه، وأن لا يظلمه في شيء.

ولهذا قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ لا يمنعهم كونهم أولياء، ولا يمنعهم كونهم أقارب، ولا يمنعهم كونهم في بلد واحد، لا يمنعهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا واجبهم؛ لا بد من الأمر بالمعروف، ولا بد من النهي عن المنكر، مع كونهم أولياء، يتناصحون، ويأمرون بالمعروف فيما بينهم، وينهون عن المنكر فيما بينهم، حتى لا يضلهم الشيطان، حتى لا يغلب عليهم الشيطان باتباع الهوى، وطاعة الشيطان في معاصي الله، يكون ضد الشيطان، يكون حزبًا من حزب الرحمٰن لا من حزب الشيطان، يتعاونون على البر والتقوى ويتناصحون، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله في كل شي، يطيعون الله ورسوله في الأوامر والنواهي.

قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: من أطاع الله واستقام هو محل الرحمة، ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ يعني: إذا استقاموا على أمره؛ يعني: بأداء هذه الحقوق وعدهم: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، هذا جزاؤهم إذا استقاموا، وعدهم بهذا الخير العظيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، جنات إقامة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وفي آية الانفطار يقول: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]؛ **يعني**: انشقت، هذه السمٰوات تنشق يوم القيامة، حتى ينزل منها الملائكة، تنشق وتطوى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١، ٢]، هذه النجوم تنتثر: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، هذه البحار العظيمة تفجر وتذهب مياهها، وتسجر نارًا يوم القيامة، كما في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]؛ **يعني**: نارًا: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، هذه القبور يخرج ما فيها تبعثر؛ **يعني**: تنبش يخرج الله ما فيها من الأموات، ويقومون يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩ ـ ١١]، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾؛ **يعني**: من القبور، ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

فالمؤمنون والمؤمنات، والناس كلهم يبعثون يوم القيامة، طيبهم، وخبيثهم، مؤمنهم وكافرهم، جنُّهم، وإنسهم كلهم مبعوثون يوم القيامة، ومجازون بأعمالهم من خيرها، وشرها؛ ولهذا قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ١ ـ ٥]، إذا وقعت هذه الأمور، كل يعلم ما قدم، وما أخر، هل هو سعيد أو هالك، إن كان سعيدًا يعطى كتابه بيمينه، وإن كان شقيًّا يعطى كتابه بشماله، إن كان سعيدًا ثقلت موازينه، وصار إلى الجنة، وإن كان شقيًّا خفت موازينه، وصار إلى النار أعوذ بالله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، يقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، ما الذي غرك حتى عصيته، حتى خالفت أمره، ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]؛ **يعني**: حمل أكثرهم على الفسق، والضلال، والكفر، والعناد، حملهم على هذا

تكذيبهم يوم القيامة، وعدم إيمانهم بيوم القيامة، نعوذ بالله من ذلك: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩﴾؛ يعني: حملكم على الكفر، والضلال التكذيب بيوم القيامة والإنكار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، علينا ملائكة تكتب أعمالنا، قليلها وكثيرها، صغيرها، وكبيرها، وكلٌّ يعطى كتابه يوم القيامة: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، هكذا يقال يوم القيامة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١]، أعوذ بالله.

ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، الأبرار هم أهل الإيمان، هم أهل التقوى، هم الذين أطاعوا الله ورسوله، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾؛ يعني: في الجنة: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]، في العذاب نعوذ بالله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥]؛ يعني: يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]، بل محضرون للنار، نسأل الله العافية.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩]، وفي سورة الشمس وضحاها، يقول: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ١ ـ ٨]، هذه السماوات، وهذه الأرض، وهذه النفوس، الله الذي خلقها، وقدَّر عليها فجورها وتقواها، ألهمها هذا، وهذا، ووفق من شاء لطاعته وخذل من شاء فهلك، فهو الحكيم العليم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨

قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ٩]، قد أفلح كل الفلاح من زكى نفسه بطاعة الله واتبع رضاه، واستقام على أمره، هذا مفلح: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠]؛ يعني: بالمعاصي والمخالفات هذا هالك، فاتقِ الله يا عبد الله، وحاسب نفسك، واحرص على تزكية نفسك بطاعة الله، هذه زكاتها، زكاتها طاعة الله، والاستقامة على أمره، والمحافظة على ما أوجب من الصلاة وغيرها، وترك ما نهى الله عنه، هذه الزكاة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، ما يتزكى الإنسان إلا بطاعة الله، ولا يتدسى ويهلك إلا بمعاصي الله، ومخالفة أمره، نسأل الله العافية.

وأنت في هذه الدار في دار العمل، وأيام الحج تذكر بيوم القيامة، أيام الحج، وما فيها من الاجتماع من أقطار الدنيا، تذكر بيوم القيامة، والله يجمع الناس ليوم القيامة: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩]: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، يجمعهم الله، ويجازيهم بأعمالهم خيرها، وشرها، فاحرص أن تكون من الناجين، تذكر هذا اليوم دائمًا، دائمًا، واعمل بطاعة ربك، واستقم على أمره، واحذر معصيته، وصاحب الأخيار، واحذر الأشرار، اصحب من يعينك على طاعة الله، ويذكرك بأمر الله، واحذر صحبة من يشغلك عن طاعة الله، ويصدك عن ذكر الله، نسأل الله العافية.

وهذه الأيام، أيام رمي الجمار، وأيام ذكر الله، وأيام ذبح الهدايا والضحايا، هذه أيام عظيمة، قال فيها النبي ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ**»[1]، وقال فيها الرب ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه في كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، برقم (١١٤١)، والإمام أحمد (٥/ ٧٦).

﴿مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وهي أيام التشريق الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، هذه هي الأيام المعدودات، يرمي الناس فيها اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، ويتعجَّل من شاء في الثاني عشر، ومن شاء تأخر إلى الثالث عشر وهو يوم الخميس في هذه السنة، يوم الخميس هو الثالث عشر، وهي أيام ذكر، تكبير، وتهليل، في الصلاة في أوقات الصلاة وغيرها، في أدبار الصلوات وغيرها، ذكر، وتكبير، وتعظيم لله، وصدقات، وإحسان، ونحر الهدايا في منى، وفي مكة، وذبح الضحايا في البلدان كلها في جميع البلدان، وفي البوادي ذبح الضحايا، وفي هذه الأيام في منى ذبح الهدايا، وفي مكة أيضًا يذبح هديته في منى أو في مكة، ويأكل ويطعم، ويحرص على ذكر الله وطاعته، ويؤدي أنساكه كما شرع الله.

* أعمال يوم العيد:

فهذا اليوم يوم عيد فيه الرمي، وذبح الهدايا، والحلق أو التقصير، والطواف، وغدًا كذلك فيه الرمي، وفيه الذبح، وبعده كذلك فيه الرمي، والذبح، وهكذا بعده يوم الخميس الثالث عشر فيه الذبح والرمي، كله أيام ذبح، وأيام رمي، وأيام تكبير، وأيام ذكر، وطاعة لله ﷻ، ومن لم يطف اليوم، طاف غدًا أو بعد غد، أو بعد ذلك، وسعى مع الطواف إن كان عليه سعي، كله أيام ذكر لله ﷻ.

وهذه الليلة لا بد أن يبيت الحاج في منى، وهكذا غدًا يبيت في منى، إلا من له عذر شرعي، من مريض، أو السقاة، أو نحو ذلك من له عذر شرعي، والرمي غدًا للجمار الثلاثة، الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهي الصغرى، ثم الوسطى، ثم البعيدة التي رماها يوم العيد هي البعيدة، هي الأخيرة، التي رُميت يوم العيد الأخيرة التي من جهة مكة،

يقال لها: جمرة العقبة هي الأخيرة غدًا وبعد غد، ترمى هي الأخيرة، كل واحدة ترمى بسبع حصيات، كما تقدم في الدروس الماضية، يكبر مع كل حصاة، وإذا كان وكيلًا لأحد، رمى عن نفسه، وعن موكله وهو واقف، عن كل واحد سبعًا، يرمي عن نفسه سبعًا على واحدة، واحدة، يكبر مع كل حصاة، وهكذا عن موكله على واحدة، واحدة، يكبر مع كل حصاة، وهكذا في اليوم الثاني يرمي الجمار الثلاثة، يرمي الأولى بسبع عن نفسه، وعن موكله، والوسطى بسبع عن نفسه وعن موكله يلقطها من منى، الحصى يلقط من منى يكفي، والأخيرة كذلك بسبع.

والسُّنَّة أن يدعو بعد الأولى والثانية، السُّنَّة أن يقف بعد الأولى ويتقدم يجعلها عن يساره ويدعو الله كثيرًا، ويرفع يديه، ويدعو طويلًا، كما فعله النبي ﷺ، وبعد الوسطى كذلك، إذا رماها يخرج ذات الشمال عن يساره، ويجعلها عن يمينه، ويرفع يديه ويدعوهُ يقوم طويلًا، يدعو بما أحب من خير الدنيا والآخرة، ثم يرمي الأخيرة الثالثة ولا يقف عندها، في الأيام الثلاث، ومن تعجل في يومين فلا بأس، يوم الأربعاء، هو اليوم الثاني عشر، إذا حبَّ أن يتعجل بعدما يرمي، بعد الظهر إذا رمى، له أن يتعجل يذهب إلى مكة يطوف الوداع، ويسافر لبلده، وإن كان لم يطف طواف الإفاضة، طواف الحج، طاف عند الوداع وكفى عن الوداع مع السعي إذا كان عليه سعي.

ومن كان مفردًا بالحج، أو محرمًا بالحج والعمرة ولم يحل، وقد طاف بمكة قبل الحج، قبل خروجه إلى عرفات طاف وسعى كفاه سعيه الأول عن سعي بعد ذلك، عليه أن يطوف ويكفيه، إذا طاف هذه الليلة أو طاف يوم العيد، أو طاف غدًا كفاه الطواف، وإن أخره إلى الوداع كفاه عن الوداع أيضًا، أما الذي أحل من عمرته، طاف، وسعى، وقصر، وحل من عمرته قبل الحج، هذا لا بد من طواف وسعي ثانٍ للحج؛ لا يكفيه السعي الأول؛ لا بد من سعي مع طواف الحج للحج،

والطواف والسعي الأول يكون للعمرة التي حل منها، فالمؤمن ينتبه ويسأل، يكون على بيِّنة في أمور حجه، ويكثر من ذكر الله والاستغفار، والتوبة، ويلزم التوبة من جميع معاصيه.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[1]، وهذا خير عظيم، فالمؤمن يجدد التوبة لله من جميع المعاصي ويندم على ما مضى منها، ويعزم عزمًا صادقًا على أن لا يعود فيها، محبة لله، وتعظيمًا له، ورجاء رحمته، وحذر عقابه ﷻ.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، ويوفق الجميع لما يرضيه ويرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، ويزود الجميع من التقوى، وأن يمن علينا، وعليكم جميعًا بالمغفرة، والعتق من النار، والسلامة والعافية، والرجوع إلى البلاد غانمين سالمين موفقين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه.

* * *

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم (١٥٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٥٠).

مخاطبة الله عز وجل لأهل الإيمان

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فإنَّ الله في كتابه الكريم في القرآن كثيرًا ما يخاطب أهل الإيمان يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]، ثم يأمرهم وينهاهم، وفي بعض الأحيان يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم يأمرهم وينهاهم، فجدير بأهل الإيمان أن يعنوا بهذه النداءات وهذه الأوامر، وأن يتنبهوا لها عند قراءة القرآن، وعند سماع القرآن، يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأرعها سمعك فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه»(٢).

هكذا ينبغي لكل مؤمن، وكل مؤمنة إذا سمع الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ينتبه فإنه إما أمر تؤمر به وإما نهي تنهى عنه، وهكذا قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، أنت من الناس انتبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، أنت منهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، أنت منهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، أنت من الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]،

---

(١) من دروس سماحة الشيخ في منى في يوم ١١/١٢/١٤١٠هـ.

(٢) أورده ابن أبي حاتم في التفسير وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٠).

أنت منهم لا تفخر على الناس لأنك ذو مال أو أنك من قريش أو من بني هاشم، أو أمير، أو تاجر، أو موظف كبير، لا، أنتم سواسية، لا كرم لأحد على الآخر إلا بالتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] من هو الذكر والأنثى، آدم أبونا، والأنثى حواء، كل الناس من هذين الشخصين، من ذكر وأنثى، كلهم أقارب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾، ليس للتفاخر، للتعارف.

في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: **«وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**[1]. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، في الحديث الصحيح: **«النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»**[2]، **«لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ»**[3] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وسمعتم الآن في سورة الصف، يقول الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، هكذا يعاتب أهل الإيمان، أن يقولوا ما لا يفعلون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾، قبيح بالمؤمن أن يقول ما لا يفعل لا يليق به، إذا قلت صلِّ فكن من أول المصلين، الصلاة عمود الإسلام: **«مَنْ حَفِظَهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ»**، والله يقول: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، برقم (٣٩٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة ﷺ (٥/ ٤١١).

﴿ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾؛ يعني: أعلى الجنة: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٣]، إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

فالصلاة عمود الإسلام، أول فرض، وأعظم فرض بعد الشهادتين الصلاة، وأول شيء يحاسب عنه العبد يوم القيامة صلاته: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»**(١)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في اللفظ الآخر، فإن قُبلت صلاته، قُبل منه سائر عمله، وإن رُدَّت عليه صلاته رُدَّ عليه سائر عمله، فالأمر خطير، والرسول يقول: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»**(٢)، فالصلوات عمود الدين الواجب العناية بها والمحافظة عليها في أوقاتها، والرجل يحافظ عليها في الجماعة، ويعتني بها في الجماعة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، في الحديث الصحيح: **«مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ**

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، برقم (٤١٣)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، برقم (٤٦٥)، وصححه الألباني.

(٢) تقدم تخريجه ص(٣٨).

إِلَّا مِنْ عُذْرٍ»[١].

كثير من الناس بيته حول المسجد ولا يعرف المسجد، كيف يكون هذا حاله، كيف يكون إيمانه، جاء ابن أم مكتوم وهو أعمى إلى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَائِمُنِي فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي قَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فأجب**» في اللفظ الآخر: «**لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**»[٢]، أعمى ليس له قائد يقوده يلائمه يقال له أجب، وأنت يا عبد الله صحيح بصير تسمع النداء، ثم تصلي في بيتك تشابه أهل النفاق لا يليق هذا بالمؤمن، هذا من الكسل القبيح، ومن التثاقل عن حق الله، هذا منكر يجب الحذر.

كذلك لا تقل - يا عبد الله -: بر والديك وأنت عاق لهما، كن من أسبق الناس إلى بر والديك، نعم مر الناس بالبر، مرهم بالتوحيد، مرهم بالصلاة؛ ولكن لا تخالف، سابق إلى الخيرات، صلِّ مع المصلين، وكن بارًّا مع البارين، واصلًا مع الواصلين، حريصًا على الخير تأمر وتفعل: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، تأمر الناس بالصلاة وتحافظ عليها، وتسارع إليها؛ لأنها عمود دينك، **مَنْ حَفِظَهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ**، تأمرهم بالبر بوالديهم، وأنت معهم تبر والديك، تأمرهم بالزكاة وتزكي، تأمرهم بالصيام وتصوم، تأمرهم بالحج وتحج، تأمرهم بالحذر من الربا، وأنت تحذر الربا، لا تقل دعوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة، باب التَّغْلِيظِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ.، برقم (٧٩٢) وصححه الألباني في الإرواء (٢/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، برقم (٥٥٢)، وابن ماجه في كتاب المساجد والجماعة، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، برقم (٧٩٢)، والإمام أحمد (٣/ ٤٢٣).

الربا وأنت ترابي، قبيح بك هذا، وقد عاب الله أهل الكتاب قائلًا لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: التوراة: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ليس هذا من العقل ولا من الدين أن تأمر وتنهى وتخالف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ بغضًا عند الله: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، الله يمقت على هذا سبحانه وتعالى، ويبغضه من عباده، أن تأمرهم بما أوجب الله وتخلف، أو تنهاهم عما حرم الله وترتكب، هذا من البلاء العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كن من أسرع الناس إلى ما تأمر به، وكن من أبعد الناس عما تنهى عنه.

ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ينوِّه بالمجاهدين، ويرغب في الجهاد، ويبيِّن فضل المجاهدين، ويقول في آخر السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾، تجارة تنجي أهلها بإذن الله من عذاب أليم برحمته سبحانه وتعالى ثم بيَّنها فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

هذه التجارة، الإيمان بالله ورسوله، ومن الإيمان توحيد الله، وطاعته، واتباع الرسول ﷺ، وأداء الصلوات الخمس، وأداء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وترك ما حرم الله، كله من الإيمان، ومن الإيمان الجهاد عطفه عليه هو من الإيمان، الجهاد من أكبر خصال الإيمان؛ لكن عطفه على الإيمان لبيان عظم فضله كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، القول السديد من الإيمان، ومن التقوى؛ لكن عطفه لبيان عظم شأن حفظ اللسان، قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، العمل الصالح من الإيمان؛ لكن عطفه عليه، للبيان والإيضاح،

والتنويه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، عطفها على الإيمان، والعمل الصالح من الإيمان، والتواصي بالحق من الإيمان، ومن العمل الصالح، والتواصي بالصبر من الإيمان؛ لكن نبه عليه لعظم شأنه، المقصود أن الجهاد في سبيل الله ومن الإيمان، فليحرص المؤمن على أن يكون له نصيب من الجهاد في سبيل الله.

فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم للقبول والمغفرة، وأن يرزقنا وإياكم العتق من النار، والوصية لنفسي، وللجميع تقوى الله في هذا المكان وفي كل مكان، لا ترجعوا إلى المعاصي بعد ما هداكم الله، وتاب الله عليكم منها، احرصوا أينما كنتم في الطريق وفي بلادكم في كل مكان اتقوا الله احرصوا على تقوى الله الزموا التقوى، الزموا طاعة الله ورسوله في كل شيء، وأهم شيء الصلوات الخمس حافظوا عليها أينما كنتم رجالًا ونساءً، وأداء الزكاة، وصوم رمضان وحفظه من المعاصي، تصوم رمضان وتصونه من معاصي الله، تحج إذا تيسر لك الحج، الحج مرة في العمر؛ لكن من تيسر له الحج بعد ذلك فهو خير عظيم، كذلك الحذر من جميع المعاصي، من العقوق للوالدين، أو أحدهما، حق الوالدين عظيم احذر عقوقهما، قطيعة الرحم؛ لا تقطع أرحامك لا إخوانك، ولا أخوالك، ولا أعمامك، عليك بصلة الرحم ولو بالكلام الطيب، ولو بالزيارة، وإذا كان بالنفقة، والصدقة والصلة، إذا كانوا فقراء هذا أعظم وأعظم.

كذلك الحرص على المحافظة على الصلوات في الجماعة من الرجل، والمرأة في بيتها في الوقت، لا تتساهل تصليها في وقتها في الجماعة، والمرأة تصليها في الوقت، تحافظ عليها في الوقت، مع الطمأنينة، ليس مع النقر ينقرها نقرًا لا يطمئن. يخشع في صلاته، في سجوده، في ركوعه، إذا اعتدل بعد الركوع لا يعجل يطمئن، بين

السجدتين يطمئن، يخشع في صلاته، يحضر بقلبه بين يدي الله، هذه عمود الإسلام قرة عين المؤمن هذه الصلاة، يقول النبي ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[1]، الصلاة قرة العين فلا تعجل فيها.

أيها المؤمن أيتها المؤمنة، الصلاة عمود الإسلام إذا صلى الإنسان يخشع يطمئن، الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، وفي النوافل في التهجد بالليل، تصلي خاشعًا مطمئنًا، حاضرًا بقلبك، يرجو رحمة الله، ويخشى عقابه في الركوع، يقول: سبحان ربي العظيم، سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، سُبوح قدوس رب الملائكة والروح، وفي السجود يقول: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، سُبوح قدوس رب الملائكة والروح، ويدعو في سجوده يكثر من الدعاء، يقول النبي ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[2]، والسجود حين تضع جبهتك في الأرض هذا السجود، هذا خضوع لله عظيم تدعو فيه، مع قول: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، تدعو أيضًا، وتقول: سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، أما الركوع في الهواء هو تعظيم الرب، إذا ركعت في الهواء، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء والعظمة، سَبوح قدوس رب الملائكة والروح، هذا يقال في السجود أيضًا؛ لكن سبحان ربي العظيم يختص بالركوع،

---

(١) جزء من حديث أنس أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥)، والنسائي في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، برقم (٣٩٣٩)، وحسن إسناد المسند الشيخ الأرناؤوط، ج(٢٦/ ١٦٠، ٢٧/ ٤٣١، ٢٩/ ٤٣٤)، وصححه الألباني في المشكاة، برقم (٥٢٦١).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الصلاة، باب ما يقال في السجود والركوع، برقم (٤٨٢).

سبحان ربي الأعلى يختص بالسجود، وأما سبحانك اللَّهُمَّ ربنا وبحمدك اللَّهُمَّ اغفر لي، هذا مشترك، سُبوح قدوس رب الملائكة والروح مشترك أيضًا بين الركوع والسجود، فينبغي للمؤمن أن يعتني بهذا، والمؤمنة كذلك، لا يعجل في صلاته، لا ينقرها، هكذا بين السجدتين إذا جلس بين السجدتين، رب اغفر لي، رب اغفر لي، اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني واهدني.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم للقبول والمغفرة، وأن يرزقنا وإياكم العتق من النار، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

قصص الأمم الماضية

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

الله قصَّ علينا أخبار الأمم من آدم وذريته، نوح وقومه، هود وقومه، صالح وقومه، لوط وقومه، شعيب وقومه، وقصَّ علينا قصص بني إسرائيل وما جرى لموسى مع فرعون، وقصة عيسى وغيرهم؛ كداود، وسليمان وغيرهم.

لماذا قص؟ لنعتبر؛ لنعتبر ونأخذ بما أرشد الله إليه فنعمل به، ونحذر ما حذر منه عباده، وما حصل بسببه هلاك أُولئك القوم، فالعاقل يعتبر ويتذكر؛ ولهذا كثيرًا ما يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣] ويقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] المعنى تدبروا وتعقلوا، واعملوا بما أرشد الله إليه، وما أمركم به، وما حبَّبه إلى عباده، واحذروا ما نهى الله عنه، وما أهلك به أولئك الأمم من الشرك والمعاصي.

---

(١) من دروس سماحته في الحرم، رقم (١).

وهذا الكتاب العظيم ميسَّر بحمد الله، بين أيدي المؤمنين تقرؤه في بيتك، في المسجد، في السيارة، في الطائرة، في الباخرة، تقرؤه على فراشك، ميسَّر بحمد الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٢] يسر الله لك هذا الكتاب، فاغتنم حياتك وفرصتك في هذا الكتاب، تدبر، وتعقل، واعمل؛ وهكذا سُنَّة النبي ﷺ وهي الحكمة، وهي الوحي الثاني، بيَّن فيها ﷺ ما أمره الله به، وما أوجبه على عباده، وحذر عليه الصلاة والسلام من كل ما يغضب الله، ويباعد من جنته ورحمته، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٩٢]، قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ يعني: أمر النبي ﷺ: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فالواجب على جميع الثقلين الجن والإنس أن يتعقلوا كتاب الله وأن يعملوا به، وأن يعملوا بسُنَّة الرسول ﷺ، وأن يتواصوا بهذا، وأن يتواصوا بهذا الأمر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، هذا واجب المسلمين التواصي، والتناصح، كل واحد ينصح أخاه، ينصح له في الله، ينصح أهل بيته، ينصح أولاده، ينصح جيرانه، جلساءه، وزملاءه؛ هكذا، يتواصون بالحق، وهكذا المؤمنة مع أخواتها، ومع أهل بيتها، ومع جاراتها، ومع جليساتها تنصح.

يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ يقسم الله جلَّ وعلا، وهو الصادق وإن لم يقسم ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، لا أحد أصدق

من الله ومع هذا أقسم: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾؛ يعني: والزمان الذي هو الليل والنهار: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾، وهو سبحانه يقسم من خلقه بما يشاء، ربنا ﷻ لا أحد يتحجَّر عليه، يقسم من خلقه ما يشاء كما أقسم بالذاريات، والطور، والنجم إذا هوى، والليل إذا يغشى، والشمس وضحاها، وغير ذلك لأنها مخلوقات دالة على عظمته، مخلوقات عظيمة تدل على عظمته، وأنه رب العالمين، وأنه مستحق لأن يعبد، فأقسم بها سبحانه تنبيهًا لعباده على أنها من دلائل وحدانيته وربوبيته جلَّ وعلا.

أما الإنسان فليس له أن يحلف إلا بالله، العبد ليس له أن يحلف إلا بالله، كما قال النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»** متفق على صحته[1]، ويقول ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»**[2] أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويقول أيضًا عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**[3] أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويقول ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»**[4]، ويقول: **«مَنْ حَلَفَ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»**[5]؛ لأن الحلف بها شرك ولا إلـه إلَّا الله هو التوحيد، فالتوحيد كفارة الشرك؛ يعني: فليتب

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف يحلف، برقم (٢٦٧٩)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، برقم (١٦٤٦).

(٢) أحمد (٢/ ٣٤) (٤٩٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم (١٥٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (٢٠٤٢).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث ابن بريدة عن أبيه في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، برقم (٣٢٥٣)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (٩٤).

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، برقم (٤٨٦٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إلـه إلا الله، برقم (١٦٤٧).

إلى الله؛ ـ ولَيأت ـ بالتوحيد، فجميع الناس في خسران، في أيامهم ولـيـالـيـهـم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، هؤلاء هم الرابحون، هم الذين عرفوا العبادة التي خلقوا لها، وأمروا بها فتناصحوا وتواصوا بها.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] هذه العبادة التي خلقوا لها هي الإيمان، والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، هي توحيد الله وطاعته واتباع شريعته، هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، والرسل بعثوا بها، قال تـعـالـى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فجميع الرسل بعثوا بهذا الأمر، بعثوا يدعون الناس إلى توحيد الله إلى عبادة الله، إلى تخصيصه بالعبادة، هو الذي يُدعى ويُرجى، هو الذي يُسأل ويُستغاث به، هو الذي ينذر له ويذبح له، ولا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله، هذا هو الشرك الأكبر، صرف بعض العبادة لغير الله هذا هو الشرك الأكبر، هذا هو أعظم الذنوب؛ كالذين يدعون الأولياء، أو الجن، أو الكواكب، أو الملائكة، أو الأنبياء يستغيثون بهم، أو ينذرون لهم، ويذبحون لهم، هذا هو الشرك الأكبر، هذا الشرك الذي قـال الله فـيـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال فيه سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقـال فـيـه سـبـحـانـه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فالشرك صرف بعض العبادة لغير الله؛ وهكذا كل أنواع الكفر كجحد

ما أوجب الله، أو استحلال ما حرم الله، كله داخل في هذا، يحبط الأعمال؛ كمن استحل الزنى أو الخمر، أو الغيبة أو النميمة، أو جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة، أو وجوب صوم رمضان، كل هذا كفر أكبر، وشرك أكبر، يحبط الأعمال ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] الواجبُ عليك يا عبد الله، والواجب عليك يا أمة الله التفقه في الدين والتدبر، وأن تعلم ما هي العبادة التي أنت مخلوق لها؟ ما هي؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ما هي العبادة؟

هي توحيد الله، هي الإسلام والإيمان، هي تقوى الله، هي البر والهدى والتقوى، هذه هي العبادة، هي الإيمان بالله ورسوله، هي توحيد الله والإخلاص للعبادة له، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عمَّا كان وما يكون، عن الآخرة، والجنة، والنار، وعن أسمائه وصفاته، وعلوه فوق سماواته، وفوق عرشه، كل هذا داخل في العبادة، فالعبادة توحيد الله، والإيمان بأسمائه وصفاته، وأنها حق تليق بالله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] يجب إثباتها لله وحده على الوجه اللائق بالله، كونه عليّ، عظيم، حكيم، رحيم، قدير، سميع، بصير، فوق العرش، فوق جميع الخلق، يجب الإيمان بذلك، ووصف الله به على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف؛ ولا تعطيل، ولا تكذيب ولا تمثيل، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهكذا تؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الجنة، والنار، والحساب، والجزاء، والبعث والنشور، وغير هذا.

كله داخل في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومع ذلك تعمل، تؤمن وتعمل، فتؤدي ما أوجب الله من صلاة، وغيرها، وتنتهي عما حرم الله من سائر الشرك والمعاصي؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ تناصحوا وتعاونوا على البر والتقوى هذه من صفة المؤمنين، التناصح والتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، هذه

من أخلاق المؤمنين؛ وهكذا التواصي بالصبر والتواصي بالحق، والصبر داخل في الإيمان والعمل الصالح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر داخل في الإيمان والعمل الصالح؛ ولكن الله نبَّه عليه في سورة العصر؛ ليعلم الناس أهمية ذلك، وأنه لا بد منه؛ وهكذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] كل هذا داخل في الإيمان، التعاون على البر والتقوى، والحذر من التعاون على الإثم والعدوان، هو من الإيمان والعمل الصالح، ومن التواصي بالحق، فالواجب على كل مؤمن وكل مسلم، أن يؤمن بالله واليوم الآخر، وأن يعمل الصالحات التي أوجب الله عليه، وأن يحذر ما نهى الله عنه، وأن يكون من المتواصين بالحق، والمتواصين بالصبر، هذا من العمل المهم.

ولهذا يقول ﷺ في الحديث الصحيح: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»** أخرجه مسلم في الصحيح[1]. ويقول جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: **«بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»**[2]؛ لا بد من النصيحة للمسلمين كما قال النبي ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[3]؛ يعني: لا يؤمن الإيمان الواجب الكامل حتى

(١) أخرجه من حديث تميم الداري في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥).

(٢) متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة، برقم (١٤٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٦).

(٣) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، برقم (٤٥).

يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا غشَّ أخاه أو حسد، فهذا نقص في إيمانه وضعف في إيمانه؛ لأن المعاصي تضعف الإيمان، وتنقص الإيمان، ومن هذا الباب قوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] هذه صفة المؤمنين، والمؤمنات، هذه أخلاقهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ليسوا أعداء؛ بل بينهم الولاية والمحبة فلا يغشُّ بعضُهم بعضًا؛ ولا يخون بعضهم بعضًا؛ ولا يكذب بعضهم بعضًا؛ بل بينهم المحبة، والأمانة، والصدق، والنصح؛ لا يغش أخاه؛ ولا يكذب عليه؛ ولا يخون أمانته؛ بل هم أولياء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

ويقول جلَّ وعلا في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾؛ يعني: الدين كله، الأمانة الدين كله ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، الأمانة دينك كله فالواجب على كل مسلم أن يحمل هذه الأمانة بصدق وإخلاص، وذلك بأداء ما أوجب الله وترك ما حرم الله عن إخلاص لله ومحبة، وتعظيم، ومن الأمانة، ومن النصح، ومن الصدق، ومن الإيمان أن تجتهد في إصلاح أهل بيتك، وأولادك، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، هذا من الأمانة، ومن الولاية

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، برقم (١٦٤).

لأخيك، فأولادك من أهم الأمانات أن تنصح لهم، وأن تعلمهم، وترشدهم، وتأمرهم، وتنهاهم، وتلزمهم بالحق؛ وهكذا زوجتك؛ وهكذا جميع أهل بيتك من أخوات، وعمات، وخالات، وعمال، وخدم كلهم في الذمة يجب عليك أن تنصح لهم، وأن تؤدي الأمانة في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإلزامهم بالحق، بصدق وإخلاص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، ويقول سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ويقول عن إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم القدوة، هم أساس الخير، وخاتمهم، وأفضلهم، وإمامهم، نبينا محمد ﷺ وحظنا وهو نصيبنا منهم، وهو خاتمهم، فالواجب علينا أن نتأسى به، وأن نسير على نهجه، في أداء ما أوجب الله، وترك ما حرم الله، والوقوف عند حدود الله، والتواصي بحق الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هكذا المؤمنون؛ هكذا أولياء الله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١] ليسوا أعداء ولا خصماء؛ ولكنهم أولياء؛ كل مؤمن ولي لأخيه؛ وكل مؤمنة ولية لأخيها وأختها في الله، فإذا أحسست من نفسك حسدًا أو بُغْضًا لأخيك أو ظلمًا، فاعرف أن هذا نقص في إيمانك، وضعف في إيمانك.

الواجب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وأن تحذر غشه وخيانته وحسده، وغيبته، ونميمته، وغير ذلك؛ لأنه أخوك ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾، ويقول جلَّ وعلا في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمؤمنون إخوة، وأولياء يجب أن يتناصحوا، وأن يصدقوا في أداء الواجب، والتعاون على البر، وأن يحذروا الخيانة والغش، وسائر ما حرم الله.

وهذه الدار هي دار العمل، هي دار المناصحة، هي دار التعاون على البر والتقوى، هي دار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة العناية بهذا الأمر، الواجب العناية بهذا الأمر، وأن يؤدي هذا الواجب: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] هذا واجب المؤمنين والمؤمنات، الاستقامة على الإيمان، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع إقام الصلاة، والمحافظة عليها؛ لأنها ركن الدين الأعظم بعد الشهادتين، ومع أداء الزكاة ومع طاعة الله ورسوله في كل شيء.

هؤلاء هم المؤمنون، هذا هو الإيمان، قال في حقهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فإذا أردت رحمة ربك وجنته وكرامته فعليك بهذه الصفات: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ بأسباب أعمالهم الطيبة، كما في الآية الأخرى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] هؤلاء أولياء الله، الصادقون في اتباع النبي ﷺ، والصادقون في إيمانهم، فهم مع المتقين، مع المؤمنين، مع المجاهدين، مع الصابرين، مع الأبرار؛ تخلقوا بصفات الخير؛ فلهذا

سماهم الله متقين، سماهم مؤمنين، سماهم أبرارًا، سماهم مهتدين، بسبب قيامهم بحقه واستقامتهم على ما أوجب عليهم، وترك ما حرم عليهم، فإذا أردت يا عبد الله أن تكون منهم اتصف بهذه الصفات، استقم على طاعة الله، واحذر معاصي الله، وأخلص لله في العمل، وأدِّ الواجب بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حَسْبَ طاقتك، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[1].

هذا الواجب بيدك إذا كنت ذا سلطان عندك قدرة، كالأمير، والهيئة حسب التعليمات التي عندها، كالإنسان في بيته، يتقي الله ما استطاع، وينكر بيده حسب طاقته، وإذا كان ليس لك سلطان فباللسان، تقول: يا عبد الله هذا لا يجوز، يا عبد الله بادر إلى الصلاة، اتَّقِ الله، احذر صفات المنافقين، يا عبد الله احذر الغيبة، احذر النميمة، احذر ما حرم الله عليك من التدخين، من عقوق الوالدين، من شرب المسكر، من قطيعة الرحم، من أكل الربا، إلى غير هذا، تنصحه بالكلام الطيب والأسلوب الحسن، كما قال الله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول الله جلَّ وعـــلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، برقم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٣).

إلا من ظلم؛ فالظالم له شأنه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛ فالظالم له شأن آخر، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ المؤمن بلسانه فبقلبه، يكره المنكر ولا يحضره، يكره المنكر بقلبه، ولا يحضر مع أهله، يفارقهم إذا لم يستجيبوا له، ولم يتركوا المنكر؛ لا يحضرهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ [النساء: ١٤٠]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]؛ ولا بد من الصبر ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] عليك بالصبر، وعدم العجلة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

عليك التأدب بآداب الله، والحذر من مشابهة أعداء الله المنافقين الذين قال فيهم سبحانه: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾؛ يعني: عن كل خير ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾، هذه حال المنافقين ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وينسون حق الله ويعرضون عن الله، فاحذر صفاتهم.

وقال فيهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣] هذه حال المنافق، صاحب خداع ومكر، وكسل عن الصلوات، وغفلة عن ذكر الله، هذه من صفاته الخبيثة، ومن صفاته الرياء في صلاته، وقراءته، وغير ذلك، ومن صفات المنافق مذبذب ما له ثبات، تارة مع المؤمنين وتارة مع الكافرين لفساد إيمانه.

أما أنت يا عبد الله المؤمن، فعليك الثبات على الحق والاستقامة على الحق، والصبر على ما أصابك، كما قال الله عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] هكذا المؤمن صبور، يقول سبحانه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ

مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، ويقول جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ويقول لنبيه: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فأنت كن ذا حكمة، اصبر واجتهد قم بالواجب إلى الدعوة إلى الله، والترغيب في الخير، والتعليم، والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر حسب طاقتك، في بيتك، وفي المسجد، وفي الطريق، وفي الباخرة، وفي السيارة، وفي القطار، وفي الطائرة، وفي كل مكان، ترجو ما عند الله، عن حكمة، وعن بصيرة، وعن صبر، كما قال ربك ﷻ لنبيِّه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] كن ممن اتبع ﷺ في الدعوة إلى الله على بصيرة، على علم؛ لا تكلم بالجهل تعلم، وتبصر، وتفقه، وتكلم بعلم.

والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم.

كما نسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في هذه البلاد، نسأل الله أن يوفقهم لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يجعلنا وإياهم من الهداة المهتدين، وأن يصلح لهم البطانة، إنه سميع قريب؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

* * *

الأسئلة

س١: ما حكم من تبرَّك بأحجار الكعبة؟

لا يجوز التبرك بأحجار الكعبة ولا بجدرانها ولا بالكسوة، لم يرد عن النبي ﷺ ولا غيره من الصحابة، لا يجوز هذا، يُعلَّمُ الجاهل، وإنما شرع الله تقبيل الحجر الأسود واستلامه باليد، واستلام الركن اليماني باليد؛ هكذا جاءت السُّنَّة، ولما قَبّل عمرُ رضي الله عنه الحجرَ قال: ذ«**إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»[1].

وهكذا وضع اليدين والصدر، بين الركن والباب ـ الملتزم ـ، والدعاء، هذا مشروع ليس لطلب البركة من البيت بل هذه عبادة مشروعة فعلها السلف؛ وهكذا كما فعله النبي في داخل الكعبة لما دخلها وضع صدره ويديه لطلب البركة من الله بدعائه والضراعة إليه جلَّ وعلا لا من الكعبة؛ لا من الثوب ولا من الحجر، البركة تطلب من الله في بيته العتيق وفي غيره، في البيت العتيق، وفي الطواف، وفي السعي، وفي كل مكان، تسأل ربك.

يقول الله عز وجل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فأنت تسأل ربك وتطلبه من عنده جلَّ وعلا تطلب منه

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، برقم (١٥٩٧).

البركة، تطلب منه الخير، إلى غير ذلك، فالإنسان قد يجعل الله فيه بركة في أعماله، كما قال أسيد بْنُ الْحُضَيْرِ لعائشة رضي الله عنها: «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ»(١)؛ يعني: يكون سببًا قد يكون سببًا للخير، يشفع لك في شيء، يكون سببًا، يُهدي لك هدية يكون سببًا، يعينك، تكون مباركًا بهذا الشيء الذي نفع به، بدعوته إلى الله بتعليمه، بإرشاده، فالله الذي وفق لهذا الشيء وجعله مباركًا كما قال في عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

أما البيت فلا يطلب منه بركة ولا من الكسوة ولا من غيرها، البركة من الله تطلب، فأنت إذا دعوت الله في طوافك، أو في سعيك، أو في داخل الكعبة تطلب من الله؛ وهكذا إذا التزمت البيت من داخل، أو قبَّلت الحجر، أو استلمت الركن اليماني، ما أنت تطلب البركة من هذه الأشياء البركة من الله تطلب منه الفضل والبركة والخير والثواب جلَّ وعلا.

س٢: لماذا سُمي بيت الله الحرام؟

لأنه مُحرَّم، لا يحل فيه الصيد ولا يقتل فيه أحد فهو محرَّم؛ يعني: بلد آمن كما قال الله ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] **«لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ، ولا يسفك فيه الدماء»**؛ بل يجب على المسلمين احترامه والحذر مما حرم الله، من قتل صيده أو تنفيره، أو عضد شجره، أو سفك الدماء بغير حق؛ لكن من هتك الحرمة يقام عليه الحد؛ وهكذا إذا أهله قاتلوا الناس يقاتلون كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] إذا تعدوا هم يقاتلون؛ ولكن لا يتعدى عليهم، تقام عليهم الحدود،

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب التيمم، باب وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، برقم (٣٣٤)، ومسلم في كتاب الحيض، باب التيمم، برقم (٣٦٧).

ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإذا أساؤوا وفعلوا ما يوجب الحد، أو القتل يقتلوا.

س٣: يا سماحة الشيخ إني أُحبك في الله؟ إذا دخلت المسجد هل أصلي ركعتين قبل أذان المغرب تحية للمسجد أم لا؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

المحبة في الله من أفضل القربات، والمؤمنون مأمورون بالتحابِّ في الله، ونقول: أحبك الله الذي أحببتنا له، ويقول النبي ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ**»؛ يعني: أمير على المسلمين عادل، «**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ**» من حبه للصلاة قلبه معلق بها كلمّا صلى قلبه معلق حتى يصلي الصلاة الأخرى وهكذا، «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِى اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**» هؤلاء من السبعة الذين يظلهم الله في ظله المتحابون في الله، «**وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ**» وهكذا الرجل إذا دعته امرأة ذات منصب فقال إنِّي أَخَافُ اللهَ، «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

هؤلاء من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، برقم (١٤٢٣)، وفي كتاب الحدود، باب فَضْلِ مَنْ تَرَكَ الْفَوَاحِشَ، برقم (٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، برقم (٢٥٦٦).

وإذا دخل الإنسان المسجد يصلي ركعتين في المسجد الحرام أو غيره ما لها وقت نهي؛ لأنها من ذوات الأسباب، هذا الصحيح من أقوال العلماء، فإذا دخلت المسجد الحرام أو غيره قبل الغروب، فالسُّنَّة أن تصلي ركعتين؛ إلا إذا أردت أن تبدأ بالطواف تبدأ بالطواف ثم تصلي بعد الطواف، أما إذا أردت أن تجلس، ما أردت الطواف صَلِّ ركعتين، ثم تجلس ولو بعد العصر، ولو بعد الفجر؛ وهكذا صلاة الكسوف؛ ليس لها وقت نهي؛ لو كسفت الشمس بعد العصر، يصلي صلاة الكسوف؛ وهكذا صلاة الطواف؛ لو طاف بعد العصر يصلي ركعتي الطواف لقول النبي ﷺ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَصَلَّى أَيَّةَ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**»(١).

س٤: قدمت للعمرة وأنوي العودة بعد أداء صلاة الجمعة فهل يلزم طواف وداع أم لا؟ وإذا كان يلزمني طواف وداع فهل يمكن أن أطوف قبل صلاة الجمعة؟ أفتونا جزاكم الله خيرًا.

ج: ليس للعمرة طواف وداع، طواف الوداع للحج، هذا الصواب، وإن طفت للوداع فحسن لا بأس طيب، سواء طفت قبل الصلاة أو بعد الصلاة، إذا طفت قبل الصلاة، وصليت الجمعة وسافرت، أو طفت بعد الجمعة، الأمر واسع، إذا طاف للوداع بعد الصبح، ثم سافر بعد الظهر؛ لا حرج؛ لا بأس أو طاف للوداع بعد الظهر، وسافر بعد العصر أو بعد المغرب لا حرج، الأمر واسع.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في كتاب الحج، باب ما جاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف، برقم (٨٦٨)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الرخصة في الصلاة بمكة في كل وقت، برقم (١٢٥٤)، والنسائي في كتاب المواقيت، باب إباحة الصلاة في الساعات كلها بمكة، برقم (٥٨٥)، وصححه الألباني.

س٥: ما حكم من لم يحرم من الميقات نظرًا لنسيان مناشف الإحرام وقام بنية الاحرام من الميقات؛ لكنه لبس مناشف الإحرام في المطار؛ أعني: مطار جدة هل يحق عليه ذبح؟ أفتونا جزاكم الله خيرًا.

ج: إذا وصل إلى الميقات وليس عنده ملابس الإحرام وهو ناوي العمرة أو الحج يلبي بالحج أو بالعمرة في ملابسه يخلع العمامة عن رأسه، وإذا وجد ملابس الإحرام لبسها وعليه إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة، أو صوم ثلاثة أيام عن لبس المخيط، وإذا أحب أن يصبر حتى يقدم جدة أو مكة، ثم يأخذ ملابس الإحرام ثم يعود إلى الميقات فلا بأس، وإن أحرم من الميقات في ملابسه فلا حرج عليه، وعليه إحدى الكفارات الثلاث، إما أن يصوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة إذا أحرم في ملابسه المخيطة في قميصه، أما الغترة يزيلها فإن بقيت على رأسه وهو يعلم فعليه فدية ثانية، صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة، أما إن كان جاهلًا فليس عليه شيء.

س٦: سماحة الشيخ إنني أُحبك في الله وأرجو الإجابة على هذين السؤالين، الأول: ما الحكم في قول الشخص إذا طلب آخر وقال له: برحمة والديك، أو في وجهك، علمًا بأنها منتشرة كثيرًا في الناس؟

ج: هذه عبارة عامية برحمة والديك أو بوجهك أو في وجهك؛ **يعني**: أجرني من كذا أنا داخل عليك تجيرني من ولدك أو من أخيك أو من كذا؛ **يعني**: يستجير به من شخص يؤذيه، إذا كان قادرًا يقول: أنا أستجير بك من ولدك، أو من خادمك، هذا؛ لا بأس مثل ما قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] في قصة موسى. إنسان جاء إليك وقال: أنا مستجير بك، أو أنا في جوارك، من عمك أو من أبيك، أو من ولدك أو من خادمك، وهو يستطيع ذلك لا بأس، مثل ما قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أو أسألك أن تعطينا كذا، برحمة والديك؛ **يعني**: إني أدعو الله

لوالديك بالرحمة، سوء تعبير من العامي برحمة والديك؛ يعني: بأن أدعو لوالديك بالرحمة أو بأن ترحم والديك تعطيني، توسل إليه برحمته لوالديه، أو بحبك لوالديك، تسأله، ما يضر هذا؛ لكن تقول: يا أخي أحسن إلي، جزاك الله خيرًا، عبارات حسنة، أما رحمة والديك، أسألك بأن تعطيني رحمة لوالديك أو حتى أدعو لوالديك، أو حتى ترحم والديك بذلك، فهذه عبارات عامية معناها واضح.

س٧: سماحة الشيخ نرجو توجيه نصيحة لأخواتنا النساء في الالتزام بالحجاب الشرعي جزاكم الله خيرًا؟

ج: نوصي أخواتنا في الله، بأن يلتزمن بالحجاب والتستر وعدم إبداء الزينة؛ لأن هذا فتنة لهن ولغيرهن، فالواجب عليهن الحجاب والتستر، وعدم إبراز المحاسن التي تفتن الناس؛ لأن الله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ فالواجب الحجاب فهو أطهر لقلوب الجميع، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال السلف: تبرج الجاهلية إبداء المحاسن، وإظهار المحاسن؛ كالوجه، والرأس، والرقبة، واليد، والصدر، هذه المفاتن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾، الجلباب ما تلبس المرأة عليها تستر به نفسها، فالواجب عليكن أيها الأخوات في الله التستر والحجاب والحذر من فتنة الناس، وأن تكون المرأة مستورة في جميع بدنها، وجهها، وكفيها، ورجليها عند الناس، عند الرجال في المسجد، وفي غير المسجد، والتستر في الأسواق، وفي السيارة، وفي الطائرة، والله المستعان.

س٨: سماحة الشيخ أنا رجل لدي مزرعة ومواشي عادة أخرج إليها قبل صلاة العصر مما يجعلني أصلي العصر في مزرعتي منفردًا، فما الحكم في ذلك؟ جزاكم الله خيرًا.

ج: إذا كان بعيدًا لا يسمع الأذان لا بأس، الرسول ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»(١).

فإذا كانت المزرعة بعيدة ولا عندها أحد، تصلي العصر أنت ومن معك، أما إذا كان عندكم مسجد تسمع النداء يجب أن تصلوا في المسجد، أنت ومن معك، أما إذا كان في أرض بعيدة عن المساجد تصلي أنت ومن معك فيها، والحمد لله.

س٩: سماحة الشيخ ما رأيك في التعامل في البورصة أو ما يسمى بالتعامل في الأوراق المالية حيث تدفع مبلغًا وقدره عشرة آلاف دولار وتحصل نهاية كل شهر على ربح غير محدد، ويتحمل المساهم نسبة عشرين في المائة إلى أربعين في المائة من الخسارة في حالة حدوثها، ويكون عمل هذه الشركة بيع وشراء الأوراق المالية في البورصة العالمية، أفيدونا جزاكم الله خيرًا في هذا؟

ج: كل معاملة تضمن ربحًا معينًا مشروطًا أو ربحًا مجهولًا لا تصح؛ لا بد أن تكون المعاملة شركة بجزء مشاع: سُبع، نصف، ثلث، أما بدراهم معلومة أو جزء مجهول، لا، ما يصلح، سواء بورصة وإلا غير بورصة.

لا بد تكون مع أخيك على معاملة واضحة، إما تعطيه المال على أنه يسعى فيه بالنصف، بالثلث، بالربع، بينكما، أو يتجر فيه هو، يتجر فيه وتجعل له جزءًا مشاعًا يتجر فيه، والباقي لك، تقول هذا المال عندك؛ لك الربع، لك الثلث، لك النصف، والباقي لي، أو تتفق أنت وإياه، تتفقان كل منكم يعمل في المال والربح بينكما، أو تخصه بزيادة لأن عمله أكثر، تقول: الثلثين ولي الثلث، وأنتم تعملون؛ لكنه هو أكثر

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْمَعُ النِّدَاءَ فَلَا يُجِيبُ، برقم (٢١٧)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب التَّغْلِيظِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، برقم (٧٩٢)، والبيهقي (٢/ ١١٩)، وصححه الألباني.

عملًا منك، يكون بربح معلوم ثلثين، ثلث، النصف، أما الجهالة والغرر لا يصلح يكون فيه غش وخطر؛ فلا يجوز لا بد من عدم الجهالة؛ لا بد من ربح مقيد بالنصف، بالثلث، بالربع شيء معلوم بينهما، أو للعامل والباقي لصاحب المال.

س١٠ : يقول في سؤاله الثاني: سماحة الشيخ ما رأيك حفظك الله في شركة تأمين طرحت أسهمًا للناس وقد ساهم الكثير فيها، وهذه الشركة لم تعمل حتى الآن، ولم توزع أرباحًا، بعض الناس علموا أن التأمين حرام فمنهم من يريد بيع أسهمه وقد ارتفع سعر السهم بثلاث أضعاف عندما يبيعون هذا السهم التي لم تعمل بعد بربح، هل هذا الربح حلال أم حرام؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

ج: هذا يحتاج إلى تفصيل، يحتاج إلى دراسة، إن كان شركة التأمين إن كان بينهم شيء مشاع معلوم يعطونها الأموال، وهي تتجر، وتعطيهم شيئًا مشاعًا نصفًا، أو ثلثًا، هذا يعطيها ألفًا، وهذا يعطي عشرة آلاف، وهذا يعطيها مائة ألف، وتعمل هي وعمالها يعملون ويعطون المشارك، نصف الربح، أو ثلث الربح، هذه مضاربة؛ لا بأس بها، أما إذا كان شيئًا مجهولًا ما يدرون ما يعطونه، هو يخسر أو يربح ما يصلح لا بد يتفقون على شيء معلوم؛ لأن هذه تحتاج إلى تفصيل، فإذا أعطوا الشركة أموالًا فعلى الشركة أن تعمل وعليها أن تعطيه شيئًا مشاعًا من ربع أو خمس، أو سدس، أو سبع أو نصف من الربح والباقي للعامل، أما يكون شيئًا مجهولًا لا يصلح، أو دراهم معلومة لا تصلح؛ لا بد من جزء مشاع، يعمل العامل والربح بينهما أثلاث أو أرباع، أو أخماس، هذه هي الشركات الشرعية.

س١١ : كثيرًا ما نسمع عن عقيدة السلف نرجو منك أن تبين لنا ما هو منهج السلف والسلفية؟

ج: عقيدة السلف هي توحيد الله وطاعته، واتباع الرسول ﷺ وما

دل عليه القرآن، هذه عقيدة السلف توحيد الله، والإخلاص له، وصرف العبادة له، والحذر من الشرك بالله ﷻ، والإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، وبالقدر خيره وشره، والإيمان بأسماء الله وصفاته، ووصفه بها ﷻ، وأنه فوق العرش، فوق جميع الخلق، قد استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، وأنه ﷻ هو العالي فوق جميع الخلق: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وعلمه في كل مكان، هذه عقيدة السلف، والإيمان يزيد وينقص، فالمعاصي تنقص الإيمان، وتضعف الإيمان؛ ولكن لا تنفي الإيمان؛ خلافًا للخوارج والمعتزلة فالإيمان يزيد وينقص خلافًا للخوارج والمعتزلة.

من أصول عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وأن العاصي، الزاني، السارق، لا يزول إيمانه إذا لم يستحل ذلك؛ لكن ينقص إيمانه فإذا مات على الزنى، أو السرقة، أو العقوق، هو معرَّض لوعيد الله وعذاب النار؛ إلا أن يعفو الله عنه؛ ولكن لا يزول إيمانه بذلك؛ خلافًا للخوارج والمعتزلة لقول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة، الإيمان بالله وبأسمائه، وصفاته، وأنها لائقة على الوجه اللائق بالله، وأنه فوق العرش، فوق جميع الخلق، وأن علمه في كل مكان؛ لا يخفى عليه خافية، وأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة؛ خلافًا للخوارج الذين يقولون لا يزيد ولا ينقص والمعتزلة؛ وخلافًا للمرجئة الذين يخرجون العمل من الإيمان، أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: الإيمان، قول وعمل؛ يعني: قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ ولا تزيله المعصية، ما يزيله إلا الكفر، إذا وجد شيء من الكفر بالله، من الشرك أزاله، وأما المعاصي؛ كونه عاقًا لوالديه، أو

لأحدهما، أو يقع منه الزنى ولم يستحله، أو قد سرق، أو يشرب الخمر، أو كذا، هذا نقص في الإيمان ضعف في الإيمان؛ ولا يكون كافرًا؛ لكنه معرض للوعيد على خطر عظيم، كما قال النبي ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ»**(1)؛ يعني: ليس بمؤمن الإيمان الكامل، وإنما حمله على هذه المعاصي نقص إيمانه؛ ولهذا إذا زنى يقام عليه الحد لا يكفر؛ وإذا شرب الخمر يقام عليه الحد لا يكفر، إذا لم يستحل ذلك، هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة والمرجئة.

س١٢: سمعنا أنه لا يرد القدر إلا الدعاء، فهل الدعاء يرد الموت ويؤجله، أفتونا؟ يا فضيلة الشيخ جزاكم الله خيرًا.

ج: القدر قدران، قدر محتوم لا حيلة فيه، هذا لا يرده شيء ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وقدر معلَّق يرده الدعاء، والأسباب؛ فالمعلَّق على دعائه بكذا وكذا يحصل، قدر معلق على أنه يعطى الذرية لطلبه الذرية ولجوئه إلى الله واجتهاده في الدعاء، علق الله عليه الذرية فأجاب دعوته وحملت زوجته، إنسان علق الله رزقه على مزرعة فدعا الله أن يرزقه ويُيسر أمره، وأن يعينه على زرع الأرض وزرعها، ورزقه الله بسببه الزرع؛ لأن رزقه معلق على هذا بقدر الله، رجل رِزقه معلق على البحر على عمله في البحر، فهذا إذا

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب النُّهْبَى بغير إذن صاحبه، برقم (٢٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، برقم (١٠٠).

فعل ذلك وجد ما علقه الله عليه، فالله يُسيِّره للبحر ويجعله يعمل في الحوت، في استخراج معادن البحر، إلى غير ذلك مما قدر الله له، وآخر يقدر يتاجر قد علق رزقه على التجارة، فالله يهيئه للتجارة ويسهل عليه أسبابها ويشرح صدره لها حتى يقع المعلق، والآخر معلق موته على طائرة يركبها وتسقط، فإذا ركبها وسقطت تم أجله؛ لأنه معلق بذلك وهكذا.

س١٣: رجل توفي قبل أشهر وانتشرت شائعة أن قبر هذا الرجل تصدر منه أصوات، توحي بأنه يعذب، فما رأي سماحتكم في ذلك؟

ج: قد يُطلع اللهُ بعضَ الناس على بعض الأصوات، موعظة، مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»[1]، أطلع الله نبيه على عذابهما.

وحدثني بعض الناس ممن لا أتهم، أنه قد سمع بعض العذاب لبعض أقاربه؛ وذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في أهوال القبور جملة من ذلك، أطلع الله عليها بعض عباده، موعظة وذكرى، نسأل الله السلامة منه.

س١٤: رجل طلب من زوجته ما يطلب الرجل من زوجته في صباح يوم الخميس، فقالت إني أصبحت صائمة وهو لا يعلم عن ذلك؟ ثم قالت: ما يخالف، طالما هذا يرضيك فهل في ذلك شيء؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

ج: إن كان الصوم فريضة فليس لها أن تطاوع في قضاء رمضان في كفارة، وليس له أن يجبرها على الجماع يفسد عليها صومها، أما إن كانت نافلة فلا بأس إذا أراد أن تفطر تفطر؛ لا تصوم إلا بإذنه، إذا كان

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب برقم (٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم (٢٩٢).

زوجها حاضرًا؛ ليس لها أن تصوم إلا بإذنه لقول النبي ﷺ: **«لَا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَّا بِإِذْنِهِ»**[(١)].

س١٥: دخلت المسجد بعد العصر بساعة فهل أصلي تحية المسجد أم لا؟

ج: تقدم جواب هذا السؤال. نعم، إذا دخل المسجد بعد العصر يصلي ركعتي التحية ما لها وقت نهي، سُنَّة التحية تجوز في وقت النهي، فإذا دخل المسجد بعد العصر، أو بعد الفجر يصلي ركعتين قبل أن يجلس إلا في هذا المسجد إذا أحب أن يطوف، يطوف ويصلي ركعتين، وإن أحب أن يجلس بدون طواف يصلي ركعتين ثم يجلس، سُنَّة التحية، ولو بعد العصر أو بعد الصبح.

س١٦: ما رأي فضيلتكم في بعض الأشخاص الذين يقومون بالتجارة في السيارات بالتقسيط، وعلى سبيل المثال البعض يشتري بأربعين ألف ريال ويبيعها بتسعين ألف ريال تقسيط شهريًا ألف وخمسمائة ريال بواقع قسط شهري، فماذا في ذلك مع فارق السعر؟

ج: لا حرج إذا اشترى السيارة بنقد وباعها على بعض الناس بآجل فلا بأس؛ لكن لا يبيعها إلا بعد أن يقبضها، بعد أن يشتريها ويقبضها. إذا شرى سيارة بأربعين ألف، أو بخمسين ألف وقبضها ثم باعها على آخر مقسطة بتسعين أو بثمانين أو بسبعين، فلا حرج في ذلك، هذا يسمِّيه العامة الوعدة، المقصود أنه لا بأس به، لا حرج في ذلك أن يشتري إنسان سيارة، أو بيتًا، أو أرضًا بثمن نقد ثم يبيعها على آخر بأقساط شهرية أو سنوية لا بأس.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم المرأة إلا بإذن زوجها، برقم (٧٨٢)، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب في المرأة تصوم بغير إذن زوجها، برقم (١٧٦١)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

س١٧ : سماحة الشيخ الوالد حفظك الله، أنا أدخر مبلغًا من المال استقطاعًا من راتبي الشهري لغرض إنشاء عمارة سكنية لأسرتي؛ هل لهذا المبلغ زكاة اذا حال عليه الحول، حيث أنني لا أزال أدخر لأجل إنشاء السكن، والسكن يحتاج لمبلغ كبير، إنني لا زلت في حاجة إلى مبلغ كبير لبدء المشروع، فهل يجب عليّ إخراج الزكاة؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

ج: نعم عليك الزكاة، هذا المال الذي وضع؛ لأجل تشتري سكنًا، عليك الزكاة، كلما حال عليه الحول تزكيه؛ لعموم الأدلة، كلما حال الحول تخرج ربع العشر من أربعين ألف، ألف ريال؛ وهكذا، ولو أنه مدخر لتشتري بيتًا سكنًا، أو تسدد به أجره، إذا حال عليه الحول عليك أن تخرج زكاته.

س١٨ : أتيت من جدة وطفتُ طواف القدوم وشربت من زمزم، وخلعت الإحرام قبل السعي ناسيًا، ثم ذكرت ولبست الإحرام وسعيت، ماذا عليَّ في ذلك يا فضيلة الشيخ؟

ج: ما دمتَ ناسيًا لا شيء عليك لقول الله جلَّ وعلا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ الله: قَدْ فَعَلْتُ(١) فإذا خلعت الإحرام ولبست قميصًا أو غيره ناسيًا فليس عليك شيء تعيد الإحرام والحمد لله، النبي ﷺ جاءه رجل قد تضمخ بطيب، وأحرم في جبة فأمره النبي أن يخلع الجبة ويلبس الإحرام(٢)؛ ولم يأمره بفدية لأجل جهله.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق برقم (٢٠٠).

(٢) لعله يشير بذلك لحديث يعلى الذي أخرجه البخاري في صحيحه أَنَّ يَعْلَى كَانَ يَقُولُ: لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، مَعَهُ فِيهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَ مَا تَضَمَّخَ بِالطِّيبِ فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى بِيَدِهِ أَنْ تَعَالَ. فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ، =

س١٩ : هل يجوز بغض المبتدعين من الأمة وبغض الفساق؟

ج: يجوز بل يجب، بغير بغضهم في الله، بغض الكفار والمبتدعين، ومحبة المؤمنين هذه واجبة، يجب عليك أن تحب المؤمنين وتبغض الكفار والمبتدعين في الله.

س٢٠: لقد أحرمت من آبار علي وأنا قادم من المدينة، وقمت بعمل العمرة ثم ذهبت إلى جدة وجلست فيها يومين، ثم أحرمت من جدة، وقمت بأداء عمرة مرة أخرى فهل عملي هذا صحيح؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

ج: لا حرج لأن الرسول ﷺ لم يحدد شيئًا في زمن العمرة، قال ﷺ: **«الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»**(١).

ولم يحدد ما بين العمرتين، قول بعض العلماء يكون بينهما شهر، أو أربعون يومًا أو كذا ما عليه دليل لا؛ فلو اعتمر ثم ذهب إلى جدة أو المدينة، ثم رجع بعمرة ثانية فلا بأس، الأمر واسع الحمد لله.

س٢١ : أرجو من سماحتكم إفادتي عن هذا السؤال: لقد حلفت على زوجتي يمين الطلاق ثلاث ألا تخرج من المنزل وبعدما سافرت خرجت وذهبت، عندها حرمت عليها الذهاب، ماذا أفعل بالله عليكم؟

ج: إذا قلت عليَّ الطلاق لا تخرج قصدك منعها، ما قصدك

= **يَغِطُّ كَذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: «أَيْنَ الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنِ الْعُمْرَةِ آنِفًا». فَالْتُمِسَ الرَّجُلُ فَأُتِيَ بِهِ فَقَالَ: «أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ».**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة، برقم (١٣٤٩).

الطلاق، قصدك تخويفها ومنعها فهذا فيه كفارة يمين إذا خرجت، أما إذا كان قصدك إيقاع الطلاق يقع الطلاق، وإن كانت ساهية ناسية لا يقع إذا خرجت ناسية أو جاهلة فلا يقع شيء، أما إذا كانت عالمة أنك مطلق ذاكرة، وأنت قصدك الطلاق يقع الطلاق، وفق الله الجميع.

* * *

عظم نعمة الإسلام

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا هذه الكلمة الطيبة المباركة المفيدة، من صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم سيف، فجزاه الله خيرًا وبارك فيه وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا، وهي كلمة مشتملة على فوائد متعددة، وتنبيهات مهمة، أعظمها التنبيه على أن أعظم نعمة، وأكبر نعمة يُرْزَقُها العبد نعمة الإسلام، فهي أعظم نعمة، والناس كلهم في هلاك ودمار وخسارة، وسوء مصير، في دنياهم وأُخراهم إلا من رُزق نعمة الإسلام فله العاقبة الحميدة وإن أصابته بلاوي ومحن في هذه الدار فله العاقبة الحميدة: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، فأعظم نعم الله على عباده، وأكبرها أن يوفق العبد للدخول في الإسلام، والاستقامة عليه، والموت عليه، وكثير من الناس في غفلة عن هذه النعمة، وليس لهم شعور بها وهي أعظم نعمة، إذ لم يجعلك ربك يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا شيوعيًا ولا وثنيًا، ولا غير ذلك من أنواع الكفر والضلال؛ بل هداك للإسلام الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وخلق من أجله الثقلين، وأوجد من أجله دارين، دار النعيم،

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٥).

والكرامة، والسعادة، لمن اتقاه، واستقام على دينه، ودار الهوان والعذاب، والنكال لمن حاد عن دينه، وتابع الهوى والشيطان.

ثم أعظم واجب، وأهم واجب في هذه النعمة هو أصل الإسلام، وهو التوحيد، والإخلاص لله، والإيمان به وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فإن الإسلام دين شامل لكل ما أمر الله به ورسوله، ولترك كل ما نهى الله عنه ورسوله، كله دين الإسلام؛ ولكن أعظم هذه النعمة نعمة الإسلام وأهمها، وألزمها، وأفرضها، نعمة الإيمان والتوحيد، الإيمان بالله ورسوله، والإخلاص لله وتوحيده في العبادة، ونفيها عما سواه ﷻ، هذا هو أصل هذا الدين، هذا هو أصله، فلو صلى وصام، وزكى، وحج، وفعل كل شيء؛ لكنه لم يؤمن بالله ربًّا ولم يوحده سبحانه، ولم يؤمن برسوله محمد عليه الصلاة والسلام فإنَّ تلك الأعمال مهما كثرت تكون هباءً منثورًا كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، فأعظم شعبة، وأعظم فريضة، وأعظم واجب، واجب الإيمان بالله ورسوله، واجب الإخلاص لله، والشهادة له بالوحدانية، والشهادة لنبيه بالرسالة هذه أعظم واجبات الإسلام، وأعظم عرى الإسلام، وأعظم فرائضه، وهي الأصل الأصيل، والأساس المتين، الذي تنبني عليه بقية الأعمال وبقية الفروض.

ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يبدؤون أممهم بالدعوة إلى توحيد الله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ونبيّنا عليه الصَّلاة والسَّلام بدأ قومه بذلك من حين بعثه الله إليهم

في مكة يقول لهم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»[1]، فأبى عليه الأكثرون وأجاب له القليل، ولم يزل في جهاد معهم، ودعوة، وصبر، ومصابرة، حتى يسَّر الله له الهجرة والانتقال من بلاد الشرك إلى المدينة المنورة العاصمة الأولى عاصمة الإسلام، فأظهر دينه هناك، وكَمَّل اللهُ الشريعةَ، وأتم دينه على عباده، وشرع لنبيه الجهاد فجاهد في سبيل الله، وصابر أعداء الله، وجاهد معه صحابته ﷺ حتى فتح الله عليه مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فهذه النعمة العظيمة يجب أن تكون على بال كل مسلم، وأن يحمد الله عليها كثيرًا، ويشكره كثيرًا، وأن يسأله الثبات على نعمة الإسلام، وأن يستقيم على أصلها ويحفظ أصلها.

هو توحيد الله والإخلاص له والإيمان به أنه ربه وإلٰهه ومعبوده الحق، وأنه الخالق لكل شيء ورب كل شيء ومليكه، وأنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء، وأنه ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ لا شبيه له ولا كُفءَ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه ﷻ، هذا أصل أصيل لا بد منه، أن تؤمن بأن الله ربك وإلٰهك الحق ومعبودك لا شريك له، ولا يستحق العبادة سواه، وأنه مع ذلك هو القادر على كل شيء، ورب كل شيء، وهذا قد أقر به المشركون؛ يعني: كون أنه رب كل شيء ومالكه؛ ولكن لا بد مع هذا من توحيد العبادة والإخلاص لله سبحانه وتعالى.

فأنت أيها المسلم، أيها الموحد، أيها الذي منَّ الله عليك بنعمة الإسلام، عليك أن تلزم ذلك، أن تلزم الإخلاص لله، وإفراده بالعبادة، والإيمان بأنه مستحق لها مع إيمانك بما آمن به الكفار؛ لأنه الرب

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث ربيعة بن عباد الديلي (٣/ ٤٩٢).

الخلَّاق العالم بكل شيء والقادر على كل شيء مصرف الأمور، ومدبرها ﷻ مع الإيمان أيضًا بالنوع الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات، بأن تؤمن بأنه سبحانه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، وأفعاله لا شبيه له ولا كفء له، ولا ند له، وأن كل ما ورد في كتابه العظيم، وسُنَّة رسوله الأمين الصحيحة من أسمائه وصفاته كلها حق، وكلها ثابتة له سبحانه يجب أن تُمَرَّ كما جاءت مع الإيمان بأنه حق وأنه سبحانه هو موصوف بها وأنه لا شبيه له في ذلك جل وعلا.

أما أعظم مراتب الإسلام التي بيَّنها الرسول ﷺ، هي مرتبة الإحسان فإن المراتب ثلاثة بيَّنها في حديث جبرائيل[1]: مرتبة الإسلام العام يدخل فيه العاصي والمؤمن، ومرتبة الإيمان التي هي أخص منها وهي التي لأهل الإيمان والصدق والاستقامة، والثالثة وهي أعلاها مرتبة الإحسان، وهي التي جمع أهلها بين الإسلام والإيمان وعبدوا الله كأنهم يرونه؛ يعني: استقاموا على طاعته، وعبادته، واستكملوا دينهم حتى عبدوا الله كأنهم يرونه مع تركهم ما حرم الله، ومع أدائهم ما أوجب الله، ومع استقامتهم على طاعته ووقوفهم عند حدوده؛ لكنهم مع ذلك استكملوا الإيمان بأن عبدوا الله جلَّ وعلا كأنهم يرونه فإن لم يروه فإنه يراهم سبحانه وهم يعبدونه على المشاهدة والمراقبة.

* أنواع القلوب:

أما ما يتعلق بالقلوب فقد سمعتم حال القلوب، وسمعتم عهد الله على عباده فإنه أخذ من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم، وهذا حق، وهكذا ما ثبت عن رسول الله ﷺ، أنه مسح على ظهر آدم

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦١).

واستخرج ذريته واستنطقهم وشهدوا له بالوحدانية وأنه قال: «إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي». قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ»[1].

كله حق ولا مانع من الأمرين، فاستخراجه الذرية من ظهور بني آدم، وأخذ الميثاق عليهم لا مانع، ومسحه ظهر آدم وأخذ ذريته منه وأخذ العهد عليهم، وتقدير أن هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار أمر معروف جاءت به النصوص ودل عليه كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، فالناس قسمان فريق في الجنة وفريق في السعير.

والقسم الثالث الذين هم العصاة مآلهم إلى الجنة وإن كانوا قد يلتحقون بأهل النار في أول الأمر بمعاصيهم وسيئاتهم؛ لكن نهايتهم إلى الجنة فيستقر الأمر على الناس قسمان: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، كما قاله الله ﷻ.

* أحوال القلوب:

والقلوب كما سمعتم لها أحوال؛ فقلب قد وفَّقه الله للإيمان، والهدى والصلاح وهو أبيض أجرد بعيد من كل فتنة، قد استقر به الإيمان واستنار بنور الإيمان، وتبصَّر في دين الله فلا تضره فتنة أبدًا ما دامت السمٰوات والأرض؛ لكمال إيمانه، وكمال يقينه، وكمال بصيرته، وقلب أغلف قد صُدَّ عن الحق وحاد عن الهدى، فهو أغلف لا يدخله خير، نسأل الله العافية: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، وهذا قلب الكافر من اليهود والنصارى وغيرهم.

وقلب منكوس، هو قلب المنافق عرف ثم أنكر، هو أشد وأخبث

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الرحمٰن بن قتادة السلمي (٤/١٨٦).

من قلب الكافر عرف الحق ثم أبى واستكبر وعاند، وأظهر للناس الإسلام وهو على الباطل، هو قلب منكوس خبيث شر من قلب الكافر، وأضر من قلب الكافر، نسأل الله العافية.

وقلب مصفح فيه مادتان: مادة خير، ومادة شر، مادة الإسلام والإيمان ومادة النفاق والمعاصي وهو لما غلب عليه منهما فإن غلب عليه مادة الخير وتاب إلى الله واستقام صار إلى الجنة والسعادة، وإن غلبت عليه مادة الشر والفساد صار إلى النار والعذاب، إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل فيتوب إليه ﷻ أو يموت على أصل التوحيد ولم ينتقل للكفر؛ بل غلبت عليه المادة؛ ولكنه لم يخرج من الإسلام فهذا تحت مشيئة الله، وإن دخل النار فمرده إلى الجنة كما هو معروف عند أهل السُّنَّة والجماعة.

فينبغي للمؤمن أن يتعاهد قلبه، ينبغي للمؤمن أن يتعاهد قلبه لعله ينجو، لعله يسلم فإن هذه الفتن التي تعرض على القلوب عُودًا عودًا لا يسلم منها إلا من عصم اللهُ إلا من حفظ اللهُ، فعليك يا عبدَ الله أن تلاحظ هذه الأمور، وأن تحذر شر هذه الفتن، وأن تجتهد في طهارة قلبك وسلامة قلبك من هذه الشرور، ومن هذه الفتن بسؤال الله والضراعة إليه أن يوفقك، وأن يعينك، وأن يحفظ عليك قلبك بالإيمان والهدى، وعليك مع ذلك أن تأخذ بالأسباب فتجتهد بالطاعات وتستقيم عليها، وتحذر المعاصي وطرقها وأسبابها ووسائلها، وأن تسأل ربك العافية والسلامة، وأن يثبتك على الإيمان، وأن يعيذك من شر نفسك والشيطان والهوى، وعليك مع ذلك أيضًا أن تحرص على صُحبة الأخيار، صحبة أهل الهدى، وأن تبتعد غاية الابتعاد عن صُحبة الأشرار، ودعاة الباطل والفساد والبدع، هكذا يكون المؤمن يأخذ بالأسباب التي تسبب نجاته وسعادته، ويبتعد عن الأسباب التي تجره إلى الباطل والهوى والفساد، والله هو الحافظ والواقي، وهو على كل شيء قدير جلَّ وعلا.

فأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يوفق المسلمين في كل مكان لما فيه صلاح قلوبهم، وصلاح أحوالهم، وصلاح دينهم ودنياهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح حكام المسلمين جميعًا، وأن يوفقهم للحكم بشريعته، والتحاكم إليها والثبات عليها، والحذر مما يخالفها، وأن يجزي أخانا فضيلة الشيخ إبراهيم سيف عن كلمته وعن ما أوصى به، ونصح به خيرًا إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

الاغتباط بالإسلام ومعرفة فضله

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المباركات، من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي، في موضوع عظيم، جدير بالعناية ألا وهو موضوع الاغتباط بالإسلام، ومعرفة فضل نعمة الإسلام في قلب من هداه الله له، والمحافظة عليه، والحذر من أسباب زواله، وهذه الكلمات واضحة لا تحتاج إلى كثير من التعليق، وإنما التعليق ينصب على تأكيد ما قاله فضيلته؛ والعناية بهذا الأمر، وأن يهتم الدعاة بهذه النعمة حتى يذكِّروا بها إخوانهم، وحتى يلتزموا بها أيضًا في أنفسهم، وحتى يستحضروا دائمًا فضل الله عليهم بهذه النعمة، وأنه أنعم عليهم نعمة عظيمة حيث هداهم للإسلام: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالفضل لله وحده، والنعمة له سبحانه وتعالى، ولما جرى ما جرى يوم حنين فقال بعض الأنصار ما قال، لا يخفى ما قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ**

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٤).

النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ».

ثم ذكَّرهم بالنعم العظيمة: **«يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي»**. وَيَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ: **«أَلَا تُجِيبُونِي»**. فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ[1].

فالنعمة من الله ﷻ، والمنة لله وحده في أن هدى الناس للإيمان؛ ولرسوله حين دعاهم عليه الصلاة والسلام، وأرشدهم، وصبر على الأذى في ذلك حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة عليه الصلاة والسلام، هذه النعمة العظمى يجب أن يستحضرها المؤمن، وأن تكون على باله، وأن لا يغفل عنها حتى يلتزم بها، وحتى يحققها، فالمسلم هو الذي انقاد لأمر الله، والذي التزم بأمر الله، أسلم؛ يعني: انقاد لله وذل لله ﷻ، والمؤمن آمن به سبحانه، وصدق خبره، وصدق خبر رسوله عليه الصلاة والسلام.

فهذا الإيمان وهذا الإسلام لا بد أن تظهر آثاره في أقوال العبد، وأعماله وسيرته، وسائر تصرفاته، حتى يكون مؤمنًا حقًّا ومسلمًا حقًّا، وهذه الأمور التي أشار إليها صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسن، من أنواع النعم التي يسوقها الله لبعض الناس فيهتم منها، ويعنى بها أصحابه تهنئة له وسرورًا بما جاء من نعمة الوظيفة، أو ولد، أو تجارة، أو غير ذلك، هذه أمور فاشية في الناس لأنهم يعقلونها أمورًا حسية، ويحبون أن يكون لهم مثلها؛ فلهذا تعظم في نفوسهم بسبب ضعف ما في القلوب من تقدير نعمة الإيمان ونعمة الإسلام؛ فلهذا يعتري القلوب ما يعتريها من

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم (٤٣٣٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، برقم (١٠٦١).

تعظيم النعم الأخرى، وأعظم النعم وأكبرها نعمة الإسلام، والاستقامة عليه، والمحافظة عليه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]؛ يعني: بالعلم، بالإسلام والاستقامة عليه؛ ولهذا فسره بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ يعني: أنعم عليهم بأن هداهم للإيمان ووفقهم له، حتى استقاموا عليه، ووالوا عليه، وعادوا عليه، وجاهدوا فيه، فالمؤمن، والمسلم اليوم في أشد الحاجة؛ بل في أشد الضرورة إلى التنبيه على هذه النعمة، وأن يعرف قدرها، وأن يحافظ عليها، وأن يحذر ما يُزيلها أو يُضعفها، فأنواع الكفر تزيلها، وأنواع المعاصي تُضعفها، وقد تجره تلك المعاصي إلى زوالها بالكلية، فالمحافظة على هذه النعمة بأمور:

منها: استشعاره عظمة هذه النعمة، وأنها أعظم نعمة؛ لو أعطي الإنسان ملك الدنيا من أولها إلى آخرها ولم يُرزق الإسلام لكان محرومًا غاية الحرمان؛ لأن مصيره النار نسأل الله العافية، فأعظم نعمة يُرْزَقُها العبد أن يهديه الله للإسلام فيستقيم عليه، فاستشعار هذه النعمة وكونها على البال يتحدث بها ويعظمها في نفسه، ويشكر الله عليها ويعتني بالمحافظة عليها، هذه نعمة عظيمة، ثم أمر آخر، وهو أن يحرص على تثبيتها وبقائها بسؤال الله الثبات عليها والاستقامة عليها، وبالمحافظة على ما يجب في هذه النعمة، وبالحذر مما يضعف هذه النعمة وينقصها في القلب والجوارح.

ثم بمحبة من هداه الله لها واستقام عليها، وكراهة وبغضاء من حاد عنها، ثم بالدعوة إليها، والتوجيه إليها، والأمر بها، والتحذير من خلافها، كل هذه أمور تنبع من تقدير هذه النعمة ومعرفة عظمتها وفضلها، وأنها أعظم نعمة على الإطلاق، وأن كل معصية فإنها تضر هذه

النعمة، وكل بدعة تضر هذه النعمة، فالواجب على أهل الإسلام أن يستقيموا عليه، وأن يحافظوا عليه، وأن يتفقهوا فيه، وأن يعرفوا قدره، ويستشعروا عظمة هذه النعمة، وأن يحذروا الميل عن ذلك بتفريط أو إفراط، بتفريط بالمعاصي، أو إفراط بالبدع والزيادة؛ بل كل مؤمن، وكل مسلم يفهم إسلامه يحرص على أن يلتزمه، وأن يستقيم عليه، وأن يحافظ عليه، وأن يدعو الناس إلى ذلك، وأن يحذرهم مما يخالف ذلك من جهة الزيادة أو النقص، من جهة المعاصي، وهي الأمر الغالب على الناس، أو من جهة البدع وهي الزيادة، فإن هذا يقع أيضًا ممن يعظم الدين في قلبه وممن يحرص على الدين فيأتيه الشيطان فينزغ له أن يزيد ويقول له ما يكفيك، أنت رجل كذا، وأنت رجل كذا فيزين له الزيادة والبدعة، لما رأى في قلبه الميل إلى حب الدين والاغتباط بالدين فيأتيه ويجره إلى الزيادة، ويقول أنت فلان بن فلان، وأنت مشار إليه، وأنت وأنت فلا تكن كالناس؛ لا بد من زيادة، وأما بالنقص هذا بلاء عام لا يسلم منه إلا القليل إلا من عصم الله ﷺ: **«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**(١)؛ لكن مُقلٌّ ومستكثر.

فالواجب على كل مسلم، وعلى كل مسلمة وعلى الدعاة إلى الله، وعلى أهل العلم أن يعرفوا قدر هذه النعمة، وأن يحافظوا عليها، وأن يدعوا الناس إلى المحافظة عليها، وأن يعرفوهم بقدر عظمتها، وفضلها، وأنها أعظم نعمة، وأكبر نعمة، لعل ذلك يؤثر في القلوب حتى تستقيم، وحتى تحافظ على هذه النعمة، وحتى تحذر أسباب نقصها أو زوالها.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس ﷺ في كتاب صفة القيامة عن رسول الله ﷺ باب ٤٩، برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥١)، وحسنه الألباني.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم بالاستقامة على هذه النعمة، ومعرفتها حق معرفتها، وأن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يوفق المسلمين جميعًا لمعرفة هذه النعمة حق معرفتها والاغتباط بها والتفقه فيها، والدعوة إليها، والحذر مما ينقصها أو يزيلها.

كما أسأله سبحانه أن يوفق حكام المسلمين وعلماء المسلمين لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يرزق الجميع الاستقامة على دينه والعافية من مضلات الفتن، وأن يجزي أخانا صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي عن كلمته هذه جزاءً حسنًا، وأن يضاعف له المثوبة، وأن يوفقنا جميعًا لكل ما فيه رضاه إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

الاعتصام بحبل الله والتحذير من الفرقة والاختلاف

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

قد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة المباركة القيمة من صاحب الفضيلة الشيخ زيد بن محمد المدخلي، في موضوع الاعتصام بحبل الله والاستقامة على ذلك، والتعاون في ذلك، والتواصي بذلك، والحذر من الفرقة، والاختلاف؛ ولقد أجاد فضيلته، وأحسن في هذا البيان، وأوضح ما ينبغي إيضاحه، فجزاه الله خيرًا، وزادنا وإياكم وإياه من العلم والهدى والتوفيق.

لا ريب أن الأمر كما قال فضيلته يجب على جميع المسلمين الاعتصام بحبل الله، والتمسكُ بدين الله، والتعاونُ على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، والحذر من الاختلاف الذي يفرق الأمة، ويضيِّع الحق بينهم، يجب على أهل العلم والإيمان أن يدعوا الناس إلى التمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، والاجتماع على ذلك، والتعاون في ذلك، والتواصي بذلك، هذا هو طريق المؤمنين، وهذا هو سبيلهم، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤١٧هـ.

تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فالواجب على الجميع التمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ والتعاون في ذلك، والتواصي بذلك، والتناصح بذلك، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، الله جعل كتابه صراطًا مستقيمًا، وطريقًا واضحًا يهدي من اتبع إلى الحق والهدى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، هذا الكتاب يُخْرِجُ اللهُ به الناسَ من الظلمات إلى النور، ومحمد ﷺ هو الداعي إلى الله، وهو الذي جرى على يديه إخراج الناس من الظلمات إلى النور بهذا الكتاب العظيم، وبما أوحى الله إليه من السُّنَّة الصحيحة فدعا الناس في مكة، ثم في المدينة، وفي مغازيه دعا الناس إلى دين الله، وإلى توحيد الله، حتى أظهر الله به دينه، وأتم به نعمته وأعلى به كلمته، ولم يَتَوَفَّهُ، ولم يقبضه، حتى أظهر الله به الدين، وأتم به النعمة، كما قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالواجب على أهل العلم أن يوصوا الناس بذلك ويدعوا الناس إلى ذلك وأن يسيروا على ذلك كما سار عليه أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، فهم القدوة، أصحاب النبي ﷺ هم القدوة حملوا هذا الدين، فالواجب السير على منهجهم، والاتفاق على ما كانوا عليه، وهكذا أتباعهم بإحسان، من التابعين وأتباع التابعين، وغيرهم من أهل العلم

والإيمان، يجب على أهل العلم، اليوم وبعد اليوم، أن يدعوا الناس إلى التمسك بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وردِّ ما تنازع فيه الناس إليهما، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ويقول النبي ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»**(١).

هذا هو طريق النجاة التواصي بالحق والتناصح والتعاون على البر والتقوى، وما وقع من بعض الخلاف في المسائل الجزئية يُرَدُّ إلى الكتاب والسُّنَّة، يجب على أهل العلم أن يردوه إلى كتاب الله وإلى سُنَّة رسوله ﷺ مع المحبة في الله، ومع التعاون على البر والتقوى، ومع الجدال بالتي هي أحسن، من غير شحناء ولا فرقة ولا اختلاف؛ بل بقصد صالح، ونية صالحة، وأسلوب حسن، كما قال ربنا ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، من ظَلَمَ فله بحث آخر، وله طريق آخر، وهذه فريضة العلماء، وهذا واجبهم، أن يوجهوا الناس إلى الخير، وأن يرشدوهم ويعلموهم في المساجد، والمدارس، وحلقات العلم، والنصائح العامة، وغير ذلك، أن يستقيموا على دين الله، وأن يعتصموا بكتاب الله العظيم وسُنَّة رسوله الصحيحة، وأن يسيروا على ذلك، وأن يتعاونوا في ذلك، وأن يوجهوا الأمة إلى ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﵁ (٢/ ٣٦٧).

فكتاب الله فيه الهدى والنور، والسُّنَّة الصحيحة تفسِّره وتبيِّن وتدل على ما قد يخفى منه، وإجماع سلف الأمة طريق مسلوك، يجب السير عليه، كما سار عليه الصحابة، وأتباعهم بإحسان، يجب السير عليه باتباع كتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، هي الدالة على معنى كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ففي كتاب الله الهدى والنور، وفي سُنَّة رسول الله الصحيحة البيان والإيضاح.

فالواجب على أهل العلم والإيمان أن يرشدوا الناس إلى الخير وأن يوضحوا لهم طريق النجاة بقولهم وأعمالهم، يجب على العالم أن يكون داعيًا إلى الله بعلمه، وقوله، وعمله، يكون قدوة صالحة في سيرته، ويكون معلمًا مرشدًا بقوله، كما كان النبي كذلك عليه الصلاة والسلام، كان هو قدوة في قوله وعمله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهكذا أهل العلم، هم خلفاء الرسل، فيجب أن يكونوا قدوةً في أقوالهم وأعمالهم، وأن يتمسكوا بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ وأن يسيروا على النهج القويم حتى يتأسى بهم غيرهم في أقوالهم وأعمالهم، وسيرتهم، التي ساروا عليها تبعًا للكتاب والسُّنَّة.

نسأل الله أن يوفق الجميع للبصيرة والعلم النافع، وأن يُعيذ الجميع من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، وإن أهم شيء يحصل به الهداية ويحصل به الخير العناية بالقرآن، الإقبال على القرآن، الوصية بكتاب الله، هذا الكتاب فيه الهدى والنور: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

فالواجب التمسُّك بكتاب الله، والعناية به، والإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه، ثم العناية بالسُّنَّة، والحرص على فهمها،

وتفسير ما أشكل من القرآن بها، فإن السُّنَّة تفسرُ القرآن وتُبيِّنُهُ وتدلُّ عليه.

والواجب على أهل العلم أن يرشدوا الناس إلى ذلك، وأن يعلِّموا تلاميذهم حتى يكونوا على هذا الطريق، حتى يتفهَّموا كتاب الله، ويستمسِكوا به، وحتى يتعلَّموا السُّنَّة، ويحفظوها، ويفسِّروا بها كتاب ربهم، وحتى يتعاونوا على البر والتقوى وجمع الكلمة، والحذر من الخلاف والفرقة، أما أهل البدع فقد سمعتم ما يجب، يجب نصيحتهم وتوجيههم إلى الخير، وتعليمهم وإرشادهم، فإن أجابوا فالحمد لله، وإن أبوا وأصروا فالواجب هجرهم، ومنابذتهم، حتى يرجعوا إلى الحق والصواب، وحتى يدينوا بالحق، كما كان حال السلف ﷺ ورحمهم في ذلك.

نسأل الله أن يوفق الجميع للعلم النافع والفقه في الدين، وأن يعيذ الجميع من شرور النفس، ومن سيئات العمل، وأن يجزي أخانا الشيخ زيد عن كلمته خيرًا، وأن يحفظ الجميع بالإسلام، ويحسن للجميع الختام، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعهم بإحسان.

* * *

العناية بأمر الإسلام

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فإني أشكر صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن حماد العمر عن هذه الكلمة الطيبة المباركة، وأسأل الله أن ينفعنا بها جميعًا، نسأل الله أن ينفعنا بها جميعًا، وأن يضاعف له المثوبة، وأن يجعلنا وإياكم، وإياه، وسائر إخواننا من دعاة الهدى، وأنصار الحق، لقد نصح إخوانه نصيحة كبيرة عظيمة، فأسأل الله أن يقبل منه هذه النصيحة وأن ينفع بها من سمعها، ومن بلغته، وأهم شيء، وأعظم شي كما أشار إليه العناية بأمر الإسلام، والفرح بهداية الله لك للإسلام.

أعظم شيء وأعظم نعمة وأكبر نعمة، أن الله هداك للإسلام، وجعلك من أهل الإسلام: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، أعظم نعمة على العبد أن يهديه الله للإسلام ويجعله من أهله، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فليحمد الله على هذه النعمة، وليعرف قدرها، وأنها أعظم نعمة، وأكبر نعمة، كون الله هداه للإسلام، وأكثر الخلق قد أبوا هذه النعمة،

(١) من تعليقات سماحته على كلمات أصحاب الفضيلة المشايخ بعد الفجر في مسجد سماحته بمكة المكرمة وذلك في يوم ١٤١٨/١١/٢٨هـ.

وحادوا عنها، ما بين يهودي، ونصراني، ووثني، ومنافق، وشيوعي إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فالمؤمن يحمد الله الذي هداه للإسلام، وجعله من أهله، وجعله يقبله، ويرضى به، ويستقيم عليه، ويتفقه فيه، هذه النعمة العظيمة ينبغي لكل مؤمن أن يفرح بها، وأن يعتني بها، وأن يسأل الله الثبات عليها، وأن يتفقه في دينه، ويتعلم، حتى يستقيم على الحق على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، يقول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» فأنت أيها المؤمن، أيها المسلم على خير عظيم، وعلى فضل كبير إذا استقمت، وجاهدت نفسك لله، وسألته الثبات، وعرفت قدر هذه النعمة، تفقهت في دينك، وتعلمت ما يجب عليك، وما يحرم عليك حتى تعبد الله على بصيرة، ومن الواجب على كل مؤمن أن ينصح لله ولعباد الله؛ لا بد من النصيحة لله ولعباد الله، كما أعطاك الله علمك، وهداك، ووفقك فاحرص أن يهدي الله غيرك بك، وأن ينفع بك عباد الله، يقول ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1] كما تحب لنفسك الهداية والاستقامة، وهكذا لإخوانك تدعوهم إلى الله ترشدهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

(١) تقدم تخريجه (ص١١٥).

ٱللَّهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١]، وعدهم اللهُ الرحمةَ على هذا العمل الطيب؛ على إيمانهم وتقواهم، وكونهم أولياء، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، فالواجب عليك أن تدرس أمر نفسك، عليك أن تدرس أحوالك هل أنت من هؤلاء، هل أنت من هؤلاء المؤمنين المتخلقين بهذه الأخلاق، هل أنت وليٌّ لأخيك تحب له الخير، وتنصح له، هل أنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، هل أنت تقيم الصلاة كما أمر الله، وتؤديها في الجماعة كما أمر الله، وتؤدي الزكاة كما أمر الله، وتطيع الله ورسوله كما أمر الله، حاسب نفسك، جاهدها لعلك توفق، ثم احرص على أعمال الخير، على النوافل لأنها تجبر النقص من الفرائض، وتعين على قوة الإيمان، وكمال الإيمان: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، صلاة الضحى، التهجد بالليل، والوتر بالليل، الدعوة إلى الله إلى غير هذا من وجوه الخير. ●

الرسول ﷺ، أوصى أبا هريرة، وأبا الدرداء بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، والوتر قبل النوم هذه من الخصال الحميدة، والدعوة إلى الله تارة تكون واجبة، فعليك أن تعتني بها، وتارة تكون مستحبة إذا قام بها غيرك، تشارك في ذلك، وتعتني بالدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تنفع إخوانك، فالعمل بالنوافل يعين على كمال الفرائض، وعلى نقص الفرائض، والنصيحة لله ولعباده يعين أيضًا على كمال الإيمان، فتحب لإخوانك كما تحب لنفسك وتنصح لهم، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، وتصبر على ذلك.

وقد جمع الله هذا الخير العظيم في قوله سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ

بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، هؤلاء هم الرابحون، جمع اللهُ الخيرَ العظيم في أربع خصال، الإيمان بالله ورسوله إيمانًا صادقًا، فتوحده، وتخلص له العمل، وتؤمن بكل ما أخبر الله به ورسوله، ثم تعمل، إيمان صادق بالله ورسوله، وبكل ما أخبر الله به ورسوله، ثم عمل تعمل بما علمت، تعمل بما أوجب الله، تنتهي عما حرم الله، تسارع إلى مراضي الله، تبتعد عن مساخط الله، وأمر ثالث وهو التواصي بالحق والتناصح مع إخوانك، تأمر بالمعروف تنهى عن المنكر تنصح لله ولعباده، أينما كنت، هذا من العمل الصالح، ومن الإيمان أيضًا؛ ولكن الله نص عليه لعظم الحاجة إلى ذلك؛ ولعظم فضل التواصي والتناصح وهو من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ثم الرابعة الصبر؛ لا بد من الصبر، ليس إيمان، ولا عمل، ولا تناصح إلا بالصبر؛ لا بد من الصبر، فاسأل ربك العون، اسأل ربك التوفيق، وتعمل بهذه الوصايا بهذه الخصال الأربع تجتهد للإيمان بالله ورسوله إيمانًا صادقًا على ما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

وأعظم ذلك وأهمه توحيد الله والإخلاص له، وهو معنى لا إلٰه إلا الله، والإيمان بالرسول ﷺ، واتباع شريعته، فأعظم الخصال، وأهم الواجبات توحيد الله والإيمان برسوله، وهذا معنى الشهادتين، شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هاتان الشهادتان هما أصل الدين، هما أساس الملة، هما أعظم الواجبات، أن تشهد عن علم، ويقين، وصدق أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن تشهد عن علم، ويقين، وصدق، أن محمدًا رسول الله، وتُخلص لله العبادة، وتصدِّق رسوله ﷺ، ثم تعمل، تصلِّي، تصوم، تزكي، تحج، تأمر بالمعروف، تنهى عن المنكر، تدع ما حرَّم الله على ضوء هذه الشهادة، تحقيقًا لهذه الشهادة، فإن هذه الشهادة توجب عليك طاعة الله ورسوله، والانقياد لشرع الله، والحذر من محارم الله، والوقوف عند حدود الله، حتى تحقق هذه الشهادة، شهادة

أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فالصادق في شهادة أن لا إلـه إلا الله يؤدي حقه، ويطيع أوامره، وينتهي عن نواهيه، عن إخلاص له، ومحبة له، وتعظيم، وحذر من الشرك دقيقه، وجليله، والشهادة بأن محمدًا رسول الله عليه الصلاة والسلام توجب اتباعه، ومحبته وتعظيم أمره ونهيه، والمسارعة إلى ما دعا إليه، والحذر مما نهى عنه، عن بصيرة وعن علم، هكذا المؤمن، هكذا المؤمنة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، كلها داخل في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، ونسأل الله أن يصلح قلوبنا وقلوبكم، وأعمالنا وأعمالكم، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من دعاة الهدى، ومن أنصار الحق، ومن الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، ومن أهم الأشياء العناية بالأولاد وأهل البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، فالعناية بأهل البيت بالوصية، والنصيحة، والتوجيه إلى الخير، وأن تكون قدوة لهم في الخير، وأن تؤدب من يستحق التأديب كما قال ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ**»(١)، فتنصح لهم وتكون قدوة صالحة، وتقوم بما يلزم لهم من الحاجات، ومع هذا تلزمهم بأمر الله، وتمنعهم من محارم الله، وتؤدب من يستحق التأديب حسب طاقتك، وحسب التوجيهات الشرعية التي جاء بها المصطفى عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة برقم (٤٩٥).

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، وصلاح النية والعمل، كما نسأله سبحان أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في دينه، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، كما نسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمرنا في هذه المملكة، نسأل الله أن يوفقهم لكل خير، وأن ينصر بهم الحق، وأن يصلح لهم البطانة، وأن يجعلنا وإياكم وإياهم من الهداة المهتدين.

كما أسأله أن يجزي أخانا صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن حماد عن كلمته خيرًا، وأن يعيذنا وإياكم من مضلَّات الفتن، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

✲ ✲ ✲

العبادة حق الله

الحمدُ لله وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فإن الله جلَّ وعلا خلق الخلق ليعبدوه، وأرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، للأمر بذلك والدعوة إليه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأمرهم بهذا فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وأرسل الرسل بهذا فقال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الواجب على جميع العباد أن يعبدوا الله، وأن يطيعوا أمره، وأن ينتهوا عن نهيه، وأصل ذلك توحيده والإخلاص له، واتباع رسوله ﷺ، عن إيمان، وصدق، مع أداء الفرائض وترك المحارم، هذا هو الواجب على جميع المكلفين، من الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ يعني: في الإسلام، ادخلوا جميعًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، هذا الواجب على الجميع أن يتقوا الله، وأن يعبدوه وحده.

---

(١) من دروس سماحته في مكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ.

والعبادة هي توحيده وطاعته، سمّاها الله عبادة؛ لأنها تُؤدّى بالذل والخضوع والانكسار لله جلَّ وعلا، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

فالواجب على جميع الرجال والنساء المكلفين أن يتقوا الله، وأن يعبدوه وحده بتوحيده وطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أمره، ونهيه، والحذر من سوى ذلك، وهذا هو طريق الجنة، وهو طريق السعادة، وطريق الأمن في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فمن آمن بالله، واتقى الشرك والظلم حصل له الأمن في الدنيا والآخرة، والهداية في الدنيا والآخرة، فالمؤمن الذي يستقيم على دين الله، ويوحد الله، ويجتنب ما نهى عنه، ويخصه بالعبادة، له الأمن، وله الهداية في الدنيا والآخرة، وهذا يحتاج إلى أن تتفقه في دينك؛ لا سبيل إلى أن تعرف هذه العبادة بالتفصيل إلا بالله ثم بالتفقه في الدين، والتعلم، والسؤال عما أشكل عليك: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول النبي ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**[(١)].

(١) متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، برقم (٧١)، وفي كتاب فرض الخمس باب ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، برقم (٣١١٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧).

وأصل هذا الدين وأساسه شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أن تشهد أن الله معبودك الحق، وتؤمن به سبحانه وتخصه بالعبادة، وتؤمن بكل ما أخبر به الله به ورسوله عن أمر الآخرة، والجنة والنار، والصراط، والجزاء، والميزان، وغير هذا، وتتبع الرسول محمدًا ﷺ، وتنقاد لشريعته، وتعلم أنه رسولُ الله حقًا، إلى جميع الثقلين الجن والإنس، ثم تستقيم على طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وأعظم ذلك بعد الشهادتين هذه الصلاة، الصلوات الخمس والمحافظة عليها، هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، كما قال ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»[1].

فالواجب على جميع المكلفين العناية بالصلاة، والمحافظة عليها في أوقاتها، والرجل يؤديها في الجماعة، والمرأة تؤديها في البيت، مع العناية والاستقامة، والخشوع لله، والذل بين يديه، والإخلاص له، والطمأنينة، وهكذا الزكاة، زكاة المال أحد أركان الإسلام الخمسة، الركن الثالث، هكذا صوم رمضان الركن الرابع، هكذا الحج الركن الخامس، مع الاستطاعة.

كل هذه فرائض على العبد المكلف من الرجال والنساء، يجب عليه أن يقوم بها على خير وجه، يرجو ما عند الله، ويخشى عقابه، وهكذا يجب عليه أداء كل ما أوجب الله، وترك كل ما حرم الله عن بصيرة، وعن إخلاص لله، وعن محبة، يرجو ثوابه، ويخشى عقابه، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا وصف

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله.

المؤمنين، أولياء فيما بينهم، أحباء يتعاونون على البر والتقوى، يتواصون، يتناصحون، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة كما شرع الله، يؤدونها كما شرع الله، ويؤدون الزكاة كما شرع الله، ويطيعون الله ورسوله، في جميع الأوقات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١] وعدهم بالرحمة إذا استقاموا على دينه، بالرحمة في الدنيا، بالتوفيق، والهداية، والتثبيت، وفي الآخرة بدخول الجنة، والنجاة من النار، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

ونوصيكم بتقوى الله دائمًا، والتواصي بالحق، والنصح لله، ولعباده أينما كنتم، هذا طريق الربح، طريق السعادة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، الناس خاسرون، أقسم الله على هذا وحلف ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ③﴾، هؤلاء هم الرابحون، والله يقسم بما يشاء، سبحانه، أقسم بالعصر، بالطور، والذاريات، والنجم إذا هوى، وغير ذلك، مخلوقات عظيمة أقسم بها؛ لأنها دالة على عظمته، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، أما العبد؛ فليس له أن يحلف إلا بالله، المخلوق الإنسان ليس له أن يحلف إلا بربه؛ ليس له أن يحلف بغير الله، قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1] وقال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[2].

فلا يجوز الحلف بالنبي، ولا بالأمانة، ولا برأس فلان، ولا شرف

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٨، ١١٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٨).

فلان لا، الحلف بالله وحده، **«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»** هكذا يقول النبي ﷺ.

وأقسم سبحانه بهذا بالعصر أن الإنسان؛ **يعني**: بني آدم في خسران هكذا بنو الجان، الجن والإنس كلهم في خسران إلا الذين آمنوا بالله ورسوله؛ **يعني**: الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا الله ورسوله، ثم عملوا أدُّوا فرائض الله، وتركوا محارم الله، ووقفوا عند حدود الله، ثم تواصوا بالحق، تناصحوا، وتعاونوا على الخير، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ثم تواصوا بالصبر مع ذلك، صبروا حتى لقوا ربهم، هذا هو طريق النجاة، هذا سبيل النجاة، هذا سبيل الربح.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء الرابحين، ونسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن مضلات الفتن، ونسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يصلح ولاة أمرنا، وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، وأن ينصر بهم الحق، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان.

❊ ❊ ❊

العبودية

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

قد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة من أخينا في الله صاحب الفضيلة الشيخ إسماعيل الخطيب جزاه الله خيرًا وبارك فيه، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا، في موضوع عظيم كما قال فضيلته في موضوع جدير بالعناية، جدير بالمحاضرات المتعددة، جدير بالدعوة إلى الله في كل وقت، وفي كل حين، ببيانه وإيضاحه للناس، ألا وهو موضوع العبودية.

العبودية هي الذل والخضوع لمن يستحق ذلك؛ كالرب عَزَّوَجَلَّ، فإذا كانت لغيره صار شركًا به وعبادة لغيره وكفرًا وضلالًا وجحودًا للحق.

فالعبودية هي واجب الإنسان لله جلَّ وعلا، وهي الحق عليه أن يعبد الله وحده ويذل لعظمته، ويستكين لأمره، ويسارع إلى مراضيه، ويبتعد عن مناهيه، والله سبحانه خلق الثقلين؛ لهذه العبودية، وأرسل الرسل لبيانها، والدعوة إليها، والتحذير من صرفها لغير مستحقها، وأنزل الكتب لهذا الأمر أيضًا، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ **المعنى**: ليعظموني، ويخصُّوني بالعبادة دون كل ما سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المستحق لأن يعبد ويذلل لعظمته، ويطاع أمره،

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٤).

وينتهى عن نهيه، ويوقف عند حدوده؛ لأنه المالك، الخالق، الرازق، القاهر فوق عباده، العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، فهو حق، وما سواه باطل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وكان الناس على هذه العبودية لله وحده دهرًا طويلًا، قال ابن عباس: كانوا على عبادة الله وحده عشرة قرون من عهد آدم إلى عهد نوح ثم وقع في الناس الشرك وعبادة الأصنام وَدًّا وَسُوَاعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ ونسرًا.

وكانوا رجالًا صالحين فماتوا في زمن متقارب حزن عليهم الناس حزنًا شديدًا، ودس عليهم الشيطان أن يعظموهم، ويصوروهم، وينصبوا صورهم في مجالسهم للتذكار، وهو يريد من وراء ذلك عبادتهم من دون الله ﷻ، حتى وقع ما أراده عدو الله، واتُخذت تلك الأصنام آلهة من دون الله، فبعث الله إليهم نوحًا عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى توحيد الله ﷻ، وينذرهم نقمته، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى ترك هذه الأصنام وإخلاص العبادة لله وحده، وتعظيم أمره ونهيه، واتباع رسوله نوح عليه الصلاة والسلام؛ فلم يستجب لهم إلا القليل، واستمر قومهم في طغيانهم، وعنادهم، وكفرهم بالله، وتواصيهم بذلك، حتى أهلكهم الله جميعًا بالغرق، إلا من كان مع نوح في السفينة، كما قال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥].

هذه من آيات الله أن يُعرض الناس عن الحق الواضح، والهدى المستبين، ويعرضوا عن الداعي إلى ذلك، وينفروا منه، ويلجأوا إلى عبادة المخلوقات، مخلوقات مثلهم عاجزة، ويسألوها قضاء الحاجات، وتفريج الكروب، إلى غير هذا مما يفعله عُبَّاد الأصنام والأوثان مع معبوداتهم، ثم هكذا توالت الأحقاب والدهور، وجاءت الأمم يتبع بعضها بعضًا، كلها على الشرك بالله، وعبادة غيره، وعناد الرسل،

والاستكبار عن طاعتهم، رسولًا بعد رسول؛ إلا القليل كما قال الله ﷻ، في مواضع كثيرة: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٦٧] إلى أمثال هذه الآيات الدالة على أن الأكثر استمروا على العناد للرسل، والاستكبار عن طاعته، هذا يبين للعاقل أن الأمر خطير، وأن الواجب الحذر؛ لئلا يصيبهم ما أصاب الناس؛ ولم يزل الناس في صراع مع الباطل؛ ولم يزل دعاة الحق في صراع مع أعدائه حتى بعث الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وهو خاتم الأنبياء، وأفضلهم، وإمامهم، ودعا الناس إلى توحيد الله[1] (وما تبعه) إلا ضعفاء الناس إلا ما قلَّ من كبارهم، ولم يزل في صدعه بالحق عليه الصلاة والسلام، ودعوته إلى الحق، وصبره على الأذى حتى جرى ما جرى من عزمهم على قتله فأنجاه الله من بين أظهرهم، وهاجر إلى المدينة عليه الصلاة والسلام، وتلقاه الأوس والخزرج، وهم الأنصار رضي الله عنهم بالنصر والتأييد، والرضا والقبول، والمحبة والفرح، حتى أظهر الله دينه، ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام.

ولم يزل الأمر كما قال الشيخ إسماعيل؛ لم يزل الأمر بالناس في عناد للحق، واتباع للباطل، فهذا يعبد صنمًا، وهذا يعبد شجرًا، وهذا يعبد إنسانًا، وهذا يعبد ملكًا، وهذا يعبد جنيًا إلى غير ذلك.

وجاءت المذاهب الهدامة الكثيرة في آخر هذا الزمان، من اشتراكية، وبعثية، وقاديانية، وبهائية، وغير ذلك، وهي أشياء لا تحصى كل طائفة زيَّن لها الشيطان أهدافًا تدعو إليها ابتلاءً وامتحانًا؛ وليبين الله

---

(١) هنا انقطع الشريط، وما بين القوسين لعله رابط ما بين وجهي الشريط.

جلَّ وعلا صدق رسله، وصدق كتبه، وأنهم جاءوا بالحق، وأن الكتب جاءت بالحق، فإن من تدبر هذه الصراعات، وهذه المذاهب والأفكار الخبيثة، وتدبر ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام وما جاءت به الأنبياء عرف حكمة الله ﷻ، وأنه يبتلي عباده الأخيار بالأشرار، ويبتلي الرسل بأعدائهم، ويبتلي أهل الحق بأهل الباطل؛ ليتميز الحق، ويظهر الحق، ويظهر أنصاره، ويستحقوا من الله الكرامة والفضل العظيم، والدرجات العالية في دار الكرامة.

وما هذه اليقظة القريبة، والحركة الإسلامية العظيمة في أول هذا القرن، وفي آخر الذي قبله؛ إلا بشائر خير، ودلائل انتباه، ويقظة بما عليه أهل الباطل، وبما يجب على العالم من انتباه ورجوع للحق، ونبذ للباطل، وسيأتي على الناس زمان تكون فيه العبادة لله وحده، والسجدة لله وحده، كما جاء به الإخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام حين ينزل عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام، وحين يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية؛ ولا يقبل إلا الإسلام، فيُهلك الله في زمانه الأديان كلها، وتكون السجدة لله وحده سبحانه وتعالى.

فللَّه في خلقه شؤون، والواجب على صاحب الحق أن لا ييأس، وأن يصبر على حقه ويجاهد دونه، وينشره بين الناس بأدلته وبراهينه، وأن لا ييأس من قول الحق، فإن الحق مآله الانتصار والظهور، وله العاقبة، والباطل له الدثور، والعاقبة الوخيمة، ولولا هذه الصراعات، وهذا الابتلاء والامتحان لم تعظم درجة الأنبياء والرسل وأتباعهم، ولم ترفع منازلهم، ولم يكن لهم الذكر الجميل، والسمعة الحسنة بين العالم، إنما ذاك بأسباب صبرهم وجهادهم وقيامهم بأمر الله وتحملهم الأذى في سبيله.

فجدير بأهل الإسلام، وجدير بالعلماء، وطلاب العلم، وجدير بأئمة الإسلام الذين ينصرون الحق ويحبون ظهوره أن يصبروا، وأن

يجاهدوا، وأن يتحملوا الأذى، وأن لا يغتروا بظهور الباطل، فإن الزبد يذهب جفاء، والحق هو الذي يبقى فينفع الناسَ، وكثيرُ من الناس نصب نفسه لِيُعبدَ من دون الله، ليكون إلـٰهًا يُعبد؛ ليكون ما أحله هو الحلال، وما حرَّمه هو الحرام، في زماننا وقبل زماننا، فهذا يوجب للعاقل لطالب العلم، أن ينتبه لهذا الأمر، وأن يبين للناس أنه لا حاكم إلا الله، وأن من أراد أن يُخدع الناس إلى أن يحلوا ما أحل ويحرموا ما حرم ويشرعوا ما شرع أنه قد أراد أن ينصب نفسه إلـٰهًا مع الله، وأنه جدير بالحرب والقتال حتى يخضع للحق، والحكم لله وحده؛ لا لغيره.

ومن اعتقد أن شخصًا يجوز أن يتبع في ذلك فما أحل هو الحلال، وما حرم هو الحرام فهو كافر مثله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فمن اتخذ حبرًا، أو عابدًا، أو ملكًا، أو رئيسًا لطائفة، أو غير ذلك يحل ما أحل، ويحرم ما حرم من غير كتاب ولا سُنَّة فقد اتخذه إلـٰهًا مع الله، ومعبودًا مع الله، كما فعل أصحاب فرعون مع فرعون، وأصحاب ماركس مع ماركس، وأصحاب ماؤ مع ماؤ، وهكذا أشباههم.

فالواجب على العالم على الثقلين جميعًا أن يحلُّوا ما أحلَّه الله، ويحرِّموا ما حرَّمه الله، وأن يخضعوا لشرع الله الذي جاءت به أنبياؤه، وأن يستجيبوا لما دعاه إليه خاتم الأنبياء وإمامهم عليه الصلاة والسلام، ويخضعوا للحق الذي جاء به، وينتهوا عما سوى ذلك، ويسيروا على نهج نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لأنه خاتم الأنبياء، ولأن شريعته خاتمة الشرائع، فالواجب على أهل الأرض أن يأخذوا بها وأن يستقيموا عليها، وأن يدعوا ما خالفها، هذا هو الطريق السوي، وهذا هو الهدى، وهذا هو الحق، وما سواه هو الباطل.

وأسأل الله أن يوفق المسلمين جميعًا في كل مكان أن ينتبهوا للحق، وأن يستيقظوا من نوم الغفلة، وأن يرجعوا إلى الحق والصواب،

كما أسأله سبحانه أن يولي عليهم خيارهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى، وأن يصلح حكام المسلمين، ويمُنَّ عليهم بالتوبة الصادقة، والاستقامة على دينه، حتى يُحَكِّمُوا شريعته، وحتى يتحاكموا إليها، وحتى يدعوا ما خالفها، كما أسأله سبحانه أن يجزي أخانا فضيلة الشيخ إسماعيل خيرًا، وأن يرزقنا جميعًا الاستقامة، والفقه في الدين، والثبات عليه، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

❁ ❁ ❁

التذكير بحق الله والدعوة إلى سبيله

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فإني أشكر الله ﷻ، على ما منَّ به من هذا اللقاء بإخوة في الله في بيت من بيوت الله، للتناصح، والتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، والتذكير بالله وبحقه، والدعوة إلى سبيله، والتحذير من أسباب غضبه، أسأله ﷻ أن يجعله لقاء مباركًا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والنصح له، ولعباده، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن مضلات الفتن، إنه ﷻ جواد كريم.

أيها الإخوة في الله، من المعلوم أن الله ﷻ، إنما خلق الخلق ليعبد وحده لا شريك له؛ لم يخلقهم سُدًى، ولا عبثًا، ولا باطلًا؛ بل أنكر هذا جلَّ وعلا، قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ يعني: يظن أن يترك مهملًا، هذا ظن باطل، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ يعني: أفظننتم ذلك هذا؟ ظن باطل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧]؛ بل خُلق الله الجميع لحكمة عظيمة، وهي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ لهذا خلق الناس، الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(١) محاضرة لسماحة الشيخ لأهل الحاير بالرياض في شهر شعبان من عام (١٤١٧هـ).

[الذاريات: ٥٦]، هذه الحكمة في خلقهم، خُلقوا ليعبدوا الله؛ ليعظموه، ويطيعوه.

وهذه العبادة هي الإسلام، والإيمان، هي توحيد الله وطاعته، هي تقواه والإيمان به، هي اتباع شريعته، وترك ما نهى عنه، هذه العبادة التي خُلق الناس لها، وقد أمرهم بذلك، قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

هذه العبادة التي خُلقنا لها بعث الله بها الرسل جميعًا عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، جميع الرسل بُعثوا؛ ليدعوا الناس إلى توحيد الله وطاعته؛ ليدعوا الناس؛ ليعبدوا الله بطاعة أوامره وترك نواهيه، وعلى رأسهم خاتمهم، وإمامهم وأفضلهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام هو أفضلهم، وهو خاتم النبيين أرسله الله إلى الناس عامة، جنّهم، إنسهم، ذكورهم، وإناثهم، عربهم، وعجمهم، ملوكهم، وعامتهم، أرسل الله إليهم محمدًا عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهو خاتم الأنبياء قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، هو خاتمهم عليه الصلاة والسلام، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إِلَى**

النَّاسِ عَامَّةً»[1]، ويقول: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[2] عليه الصلاة والسلام.

فالواجب على جميع الثقلين الجن والإنس، العرب والعجم، الذكور والإناث، الواجب عليهم اتباع هذا الرسول ﷺ، وذلك بتوحيد الله وطاعته، واتباع شريعته، وتعظيم أوامره وترك نواهيه، هذا هو الواجب على الجميع، وهذا هو الحكمة في خلقه، أن يعبدوه ﷻ، وذلك بإخلاص العبادة له جلَّ وعلا، وأداء فرائضه من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وغير ذلك، وترك محارمه من الشرك، وسائر المعاصي.

هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، توحيد الله وطاعته، وأصل ذلك وأساسه شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هاتان الشهادتان هما أصل الدين، هما أساس الملة، هما أعظم واجب، وأهم واجب أن تشهد عن علم، ويقين، وصدق، أنه لا إلـه إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، فهو الإلـه الحق؛ لأهل السماء؛ ولأهل الأرض جلَّ وعلا، هو المستحق لأن يعبد، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

---

(١) سبق تخريجه ص(٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ثوبان ﷺ في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، برقم (٤٢٥٢)، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، برقم (٢٢١٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (١٦٨٣) وأصل الحديث متفق عليه بهذا اللفظ: «**فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»؛ أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، برقم (٣٥٣٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، برقم (٢٢٨٦).

فالواجب على جميع الثقلين الجن والإنس، والذكور والإناث، والعرب والعجم، والأغنياء والفقراء، الواجب على الجميع أن يعبدوا الله، وأن يخلصوا له العبادة دون كل ما سواه؛ فلا يُدعى مع الله أحد؛ لا ملك، ولا نبي، ولا شجر، ولا حجر، ولا صنم، ولا جن، ولا إنس، العبادة حق الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ **يعني**: أمر وأوصى، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، قال جلَّ وعلا: ﴿...فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، أن توحد الله، وأن تخصه بالعبادة، وأن تتابع رسوله محمدًا ﷺ، بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، عليك أن تؤديها بإخلاص وصدق، ومحبة، وتعظيم، تعلم أن الله هو المعبود بالحق، وأن من عبد سواه فقد أشرك، كمن يعبدون الأموات، أو الأصنام، أو الجن، أو الملائكة، ينذرون لهم، أو يستغيثون بهم، أو يدعونهم، هذا هو الشرك الأكبر، هذا هو الكفر الأكبر، هذا يناقض قول لا إلـٰه إلا الله، فإذا قال: يا جن كذا أغيثونا، أو أيها الملائكة أغيثونا، أو يا نبي الله فلان أغثنا، أو للصنم الفلاني أغثنا، أو أصحاب القبور أغيثونا، هذا هو الشرك الأكبر، أو دعاهم؛ لينفعوا بكذا أو ينقذهم من كذا، أو يرزقهم كذا، هذا هو الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]،

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فالعبادة حق الله، الخوف، والرجا، والمحبة، والصلاة، والصوم، والدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، كله لله، فمن ذبح لغيره؛ كأن يذبح للجن، أو للملائكة، أو لغير الله من الناس، أو للصنم، أو للجبل، أو النجوم يذبح يتقرب إليها، صار هذا شركًا بالله جلَّ وعلا، يناقض قول لا إلـه إلا الله، وهكذا من دعاها، أو استغاث بالجن، أو بالملائكة، أو بالأنبياء بعد وفاتهم، أو بالنجوم، أو بغيرها من المخلوقات فقد عبدهم من دون الله.

فالواجب إخلاص العبادة لله وحده، وهذا هو معنى لا إلـه إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، فلا بد من توحيد الله والإخلاص له؛ ولا بد من الإيمان بأن محمدًا بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقًا إلى جميع الناس عليه الصلاة والسلام فالواجب اتباعه، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤]، والعياذ بالله.

فالواجب علينا جميعًا أن نتقي الله، وأن نعبده وحده، وأن نبتعد عن الشرك به سبحانه، وأن نتواصى بذلك، وأن نتعاون على ذلك، فبعد الشهادتين، بعد توحيد الله وطاعته، والإيمان برسوله ﷺ، الصلوات الخمس، هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، فالواجب العناية بها، والتواصي بها، يقول النبي ﷺ: «بُنِيَ

الإِسْلَامُ عَلَى خَمْس»؛ يعني: خمس دعائم: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[1]، هذه أركان الإسلام، وعمده الظاهرة، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»[4].

فالواجب علينا جميعًا التواصْي بها، والتعاون في ذلك، الرجل مع أهل بيته، يوصي أهل بيته، يوصي أولاده، يتعاون مع جيرانه في هذا الأمر العظيم، حتى تؤدى في الجماعة في مساجد الله، على الرجل أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن بريدة في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، برقم (٢٦٢١)، والنسائي، في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، برقم (٤٦٣)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، برقم (١٠٧٩)، وقال الترمذي حديث: حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، و قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

يقوم على أولاده، وعلى أهل بيته، وعلى المرأة أن تقوم على بيتها، من بنات، وأخوات، وأيتام، وغير ذلك، على الجميع التعاون في ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، قال ﷺ: «كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ» وهو السلطان «وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

فأنت يا عبد الله مسؤول عن أهل بيتك في إقامتهم للصلاة، ومحافظتهم عليها من زوجة، وأولاد، وأخوات، وخدم، وعمال، وغير ذلك، أنت مسؤول، عليك أن تتقي الله في ذلك، وأن تعتني بهم حتى يؤدوا ما أوجب الله عليهم ومسؤول عن جميع أمورهم، أن تأمرهم بطاعة الله، وأداء حقه، وأن تمنعهم من معاصي الله، وأن تجتهد في ذلك وتدعو لهم بالتوفيق والهداية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

وهكذا المرأة تقوم على أهل بيتها مع زوجها يتعاونون في أمر الأولاد بالصلاة، في تعليمهم الصلاة، تعليمهم ما أوجب الله عليهم، تحذيرهم مما حرم الله عليهم، هكذا الرجل والمرأة يتعاونان في أهل البيت، حتى يستقيموا على دين الله، وهكذا الرجل مع جيرانه، ومع جلسائه، ومع زملائه، يتعاون معهم على الخير، والتناصح، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه أخلاق المؤمنين، كل مؤمن يحاسب نفسه، وهكذا كل مؤمنة تحاسب نفسها، هل تخلَّق بهذه الأخلاق، هل اتصف بهذه الصفات: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ جميع الذكور والإناث: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ كل واحد يحب لأخيه الخير، ويكره له الشر، المرأة والرجل، كل واحد يحب لأخيه الخير، ويكره له الشر، وينصح له، يوصيه بالخير، يوصيه بطاعة الله ورسوله، يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، الرجل والمرأة، هو يأمر، وهي تأمر، كل يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، مع أهل البيت، مع الجيران، مع الجلساء، هذه أخلاق المؤمنين، وهذه أخلاق المؤمنات، التي مدحها الله، وبيَّنها في كتابه، ورتب عليها الرحمة والجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ كلهم أولياء فيما بينهم يتحابون في الله، ويتناصحون، ويرشد بعضهم بعضًا، وينصح بعضهم بعضًا، ويحب له الخير، ويكره له الشر، لا يغشه في المعاملة لا يكذب عليه لا يظلمه بل يتقي الله فيه، يحب له الخير، ويكره له الشر.

هكذا المؤمن، والمؤمنة، مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، كل واحد يقيم الصلاة ويؤدي الزكاة، زكاة المال، الذي عنده مال يزكيه، ربع العشر، الذي عنده مائة ريال عشرها ريالان ونصف، الذي عنده ألف يؤدي عشرها، وهكذا، يتواصون بأداء الزكاة، كما يتواصون بالصلاة.

وهكذا صيام رمضان، وهو قريب نسأل الله أن يبلغنا وإياكم إياه، ويعين الجميع على صيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا، التواصي بهذا، الرجل يؤدي صيام رمضان، والمرأة كذلك يتواصون بهذا، يقول النبي ﷺ: «مَنْ

صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١)، هذا الشهر العظيم هو الركن الرابع من أركان الإسلام، فالواجب التواصي بصيامه، وقيامه، عن إخلاص لله ومحبة وتعظيم: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**(٢)، مع صيانة الصيام وحفظه عمَّا حرَّم الله من الأكل والشرب، والمعاصي كلها، يقول ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**(٣)، فالمؤمن إذا صام صامت جوارحه، إذا صام المؤمن صام عن الأكل والشرب، وصام عن معاصي الله أيضًا، والحذر من معاصي الله.

وهكذا الحج فرض، كل من استطاع السبيل إليه، عليه أن يحج مرة في العمر، يقول النبي ﷺ: **«الْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»**(٤)، يقول الله سبحانه: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية، برقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم (٧٥٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً. وَقَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»، برقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب الصوم، باب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، برقم (٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الصوم، باب مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، برقم (١٩٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس ﷺ في كتاب المناسك، باب فرض الحج، برقم (١٧٢١)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فرض الحج، برقم (٢٨٨٦)، والنسائي في كتاب الحج باب وجوب الحج، برقم (٢٦٢٠)، وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧).

[آل عمران: ٩٧]، فعلى الرجل والمرأة حج البيت مع الاستطاعة، مرة في العمر، كما قال النبي ﷺ: «**الْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»، ويقول ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**»[1]، فعلى كل إنسان أن يعتمر مرة في العمر، ويحج مرة في العمر، يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[2].

فالواجب على المؤمنين، والمؤمنات التواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى في جميع الأمور، في الصلاة، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في بر الوالدين، في صلة الرحم، في إكرام الجار، في ترك المعاصي كلها؛ كالغيبة والنميمة، وشرب المسكرات، والزنى، وغير ذلك، يتواصى المسلمون بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، هذا الواجب على الجيران، وعلى أهل البلد جميعًا عليهم التواصي بالحق، والتناصح في أداء فرائض الله، وترك محارم الله؛ لأنهم خُلقوا لهذا، خلقوا ليعبدوا الله، والعبادة تحتاج إلى التفقه في الدين، والتواصي والتناصح، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، يرحمهم في الدنيا بالتوفيق والإعانة، والتسديد، وفي الآخرة بالجنة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة، برقم (١٣٤٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم (١٥٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٥٠).

طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، هذا جزاءهم في الآخرة، إذا استقاموا على دين الله، فالواجب التناصح والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

هذا الواجب على المؤمنين، الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، هذه صفات الرابحين، هذه أعمال الرابحين الناجين المؤمنين، كل الناس في خسارة، الرجال والنساء، الجن والإنس، كلهم في خسران: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، هؤلاء هم الرابحون الذين آمنوا بالله ورسوله، آمنوا بأن الله ربهم ومعبودهم الحق، الذي فوق السماوات فوق العرش جلَّ وعلا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، هذا ربنا جل وعلا: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

فأنت يا عبد الله، تعبد هذا الرب الكريم الذي هو في السماء، فوقك، فوق العرش، تسأله من فضله، تستغيث به، تنذر له، تذبح له، تتقرَّب إليه بأنواع القُربات، ومن ذلك الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وسائر الطاعات، وترك المعاصي، ترجو ثوابه، وتخشى عقابه، قال الله عن النبيين، والأخيار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ

﴿فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى في المؤمنين الصادقين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾؛ يعني: من الأعمال الصالحة: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يعملون مع الخوف من الله جلَّ وعلا: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٠]، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

بسبب صدقهم، وإخلاصهم، وخوفهم، سارعوا، وسبقوا، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، إذا أفلحوا في الصلاة خشعوا واطمئنوا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، اللغو كل الباطل، الشرك والمعاصي، وكل شيء ليس فيه فائدة كله داخل في اللغو، فالمؤمن يُعْرِضُ عما لا فائدة فيه، ويشتغل بما ينفعه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، زكاة النفوس بطاعة الله، وزكاة المال بأداء حق المال، المؤمن يؤدي الزكاة، زكاة نفسه بطاعة الله، وزكاة ماله بأدائها للفقراء والمساكين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٤ ـ ٧].

هكذا المؤمن يحفظ فرجه، ليس بالزاني؛ بل يحفظ فرجه، إلا من زوجته، وملك يمينه أمته، إذا كان عنده أَمَة؛ يعني: يحفظ فرجه من الزنى، واللواط وسائر المعاصي: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]؛ يعني: يرعون الأمانات والعهود، إذا عاهدوا وفوا، وإذا ائتُمنوا أدوا الأمانة، هكذا المؤمنون، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، الأمانات تشمل العبادات،

وتشمل أمانات الناس، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والصوم أمانة، والحج أمانة، عليك أن تؤديها على الوجه الشرعي، وأن تتقي الله في ذلك، كما أن عليك أن تؤدي أمانات الناس التي عندك، وتحفظها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ - ١١].

وقال في سورة المعارج: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٣٥].

هذه صفة المؤمنين، هذه أعمال المؤمنين، فعلينا أن نتقي الله، وأن نراقب الله، وأن نتخلَّق بأخلاق المؤمنين، على الرجل أن يتخلَّق بأخلاق المؤمنين، وعلى المرأة أن تتخلَّق بأخلاق المؤمنات المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، هؤلاء هم الرابحون.

أقسم الله بالعصر، وهو الزمان، الله يقسم بما يشاء من خلقه، كما أقسم بالذاريات، والطور، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، وغير ذلك؛ لأن المخلوقات تدل على عظمته، وأنه رب العالمين،

وأنه الخلاق العليم ﷻ، وأما العبد؛ فليس له أن يحلف إلا بالله، العبد؛ ليس له أن يحلف إلا بربه، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»**[(١)]، ويقول النبي ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»**[(٢)]؛ فالله يقسم بالعصر، فإن الإنسان في خسران من جن وإنس في خسارة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، هؤلاء هم الرابحون من الرجال والنساء، هم السعداء الذين آمنوا بالله، ورسوله، وصدَّقوا الله ورسوله، ووحَّدوا الله، وأخلصوا له العبادة، وعملوا فأدوا فرائض الله، وتركوا محارم الله، صلوا، وصاموا، وزكوا، وأدوا الحقوق، ثم مع هذا يتواصون، يتناصحون: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ يتناصحون ويصبرون، هكذا المؤمنون، والمؤمنات، ينصح لله؛ ولعباده، ويتواصون بالحق، يتواصون بالصلاة، بالزكاة، بالصوم، بالحج، بر الوالدين، إلى غير ذلك، أنت هكذا.

يقول النبي ﷺ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[(٣)]، فأنت يا أخي تنصح لله ولعباده، وأنتِ يا أيتها الأخت في الله كذلك تنصحي لله ولعباده، إذا رأى الإنسان من أخيه معصية، يرى يعق والديه، يقول اتقِ الله، بر والديك، حقهما عظيم، حق الوالدين عظيم، يرى يتكاسل عن الصلوات في الجماعة ينصحه، يزوره في جماعة من إخوانه اثنين ثلاثة يجتمعون يزورون أخاهم ينصحونه، إذا تخلف عن الصلاة، أو تكاسل، يرونه يحلق لحيته ينصحونه حتى يوفرها، يقول النبي ﷺ:

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٨، ١١٢، ١٦٣).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٨، ١١٢، ١٦٣).
(٣) سبق تخريجه في (ص١١٥).

«قُصُّوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى خالفوا المشركين»[1]، يراه يسبل ثيابه ينصحونه ارفع ثيابك لا تُسبل، يقول النبي ﷺ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»[2]، ويقول ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»[3].

فالواجب الحذر من هذا، والتناصح في هذا، كذلك تعرف أنه يشرب المسكر تنصحه، تذهب إليه أنت وبعض إخوانك تنصحونه، تحذرونه من المسكر، من الربا، من عقوق الوالدين، من قطيعة أرحامه، من التخلف عن الصلوات هكذا المؤمنون يتناصحون، ويأمر بعضهم بعضًا بالمعروف، وينهاه عن المنكر لا يغفلون، هكذا الرجال والنساء جميعًا، يتناصحون فيما بينهم، ولو بالزيارة، ولو يجتمع اثنان أو ثلاثة يزورون أخاهم المتكاسل حتى إذا كانوا ثلاثة أبلغ، ثلاث أبلغ من الواحد، يزورون يقولون يا فلان ما رأيناك صليت يوم كذا أو يوم كذا أو وقت كذا، أو رأيناك تفعل كذا، وكذا ينصحونه لله، يخوِّفونه، يعظمون أمر الله عليه، يهدونه إلى الخير، يقول النبي ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ وهذا لفظهما: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب تَقْلِيمِ الأَظْفَارِ برقم (٥٨٩٢)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب خِصَالِ الْفِطْرَةِ، برقم (٢٥٩)، ورواه الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢/٢٢٩) بدون لفظ خالفوا المشركين.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب اللباس، باب مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، برقم (٥٧٨٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة، برقم (١٠٦).

مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[(١)]، ويقول ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(٣)]، فالإنسان يتعلم يسأل أهل العلم، عما أشكل عليه بالمكاتبة، أو من طريق الهاتف التلفون، أو بالمباشرة يقابل ويسأل يتفقه، يسأل، الله يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فالذي لا يصل، بالتلفون، ما حكم كذا؟ ما حكم كذا؟ أو بالمكاتبة، يسأل أهل العلم عما أشكل عليه لا يغفل ولا يرضى بالجهل لأن ربه أمر بهذا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

والله المسؤول جلَّ وعلا أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والثبات عليه، وأن يعيذنا وإياكم من مضلات الفتن، وإني أنصحكم جميعًا، أنصحكم ونفسي بالعناية بالقرآن، أوصيكم بالقرآن الكريم، والإكثار من تلاوته هو أعظم كتاب، هو أصدق كتاب، وأنفع كتاب، فأوصيكم بالقرآن، أكثروا من تلاوته، أوصي الرجال والنساء بالقرآن، بسماع إذاعة القرآن، إذاعة القرآن فيها خير عظيم، فيها فوائد، ومحاضرات، ونصائح، ونور على الدرب، في إذاعة القرآن، أوصيكم بها أيضًا، فأوصيكم بالقرآن بالإكثار من تلاوته في الليل، والنهار بالتدبر، والتعقل؛ لأنه كتاب الله فيه الهدى والنور، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]،

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العلم، باب من سَنَّ سُنَّة حسنة، برقم (٢٦٧٤).

(٣) سبق تخريجه (ص١٦١).

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، فأوصيكم بالقرآن، أكثروا من تلاوته، وتدبر معانيه، والمذاكرة فيه، واسمعوا من إذاعة القرآن، واسمعوا ما فيها من النصائح والفوائد، والجواب عن الأسئلة في نور على الدرب، كل هذه مهمة تنفع المؤمن إذا استعان بذلك يعرف وقتها في الساعة التاسعة من كل ليلة نور على الدرب، وإذاعة القرآن في كل وقت، فيها النصائح، فيها المحاضرات، فيها قراءة القرآن، فيها الأسئلة عن مسائل الدين، فأنت يا عبد الله عليك بمراجعة إذاعة القرآن واستماعها تستفيد كثيرًا، وهكذا المرأة، أوصي الرجال والنساء جميعًا بإذاعة القرآن والإقبال على إذاعة القرآن للاستفادة منها.

أسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية، ونسأل الله لنا ولكم صلاح القلوب، وصلاح الأعمال، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المتعاونين على البر والتقوى، ومن المتواصين بالحق، والصبر عليه، ومن الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، إنه جواد كريم.

كما أسأله سبحانه أن ينصر دينه ويُعلي كلمته، ويصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في كل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن ينصر بهم الحق، وأن يصلح لهم البطانة، ويجعلنا وإياكم وإياهم من الهداة المهتدين إنه سميع قريب.

وصلَّى الله وسلَّم، وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

الأسئلة

س١: جميع الأسئلة يا سماحة الشيخ ذكرت السلام عليكم ويبلغونكم حبهم في الله، ويسألونكم الدعاء بظهر الغيب؟

ج: نقول: أحبهم الله الذي أحبونا فيه، ونسأل الله أن يجعلنا من المتحابِّين في جلاله، وأن يصلح قلوبنا جميعًا، وأعمالنا جميعًا، نسأل الله للجميع التوفيق، وصلاح النية، وصلاح القول والعمل، والثبات على الحق حتى الموت.

س٢: ما هي أسباب قسوة القلوب وما علاجها؟

ج: من أسباب قسوة القلوب المعاصي، والغفلة عن الله، وعن ذكره، وعن القرآن، ومجالسة البَطَلة الذين أعرضوا عن الله، هذه من أسباب قسوة القلوب، المعاصي، ومجالسة من لا يُذكِّر بالله، مجالسة العصاة والغافلين، وتعاطي الحرام، تعاطي الربا، تعاطي الأكساب الرديئة، كلها من أسباب قسوة القلوب، ومن أسباب لينها واستقامتها طاعة الله ورسوله، وأكل الحلال، والتعاون على البر والتقوى، والضراعة إلى الله أن يصلح قلبك، وأن يعينك على ذكره وشكره، وأن يجنبك الحرام هذه أسباب قسوتها، وأسباب لينها واستقامتها، المعاصي كلها من أسباب القسوة، والغفلة من أسباب القسوة، والبعد عن ذكر الله، وعن قراءة القرآن، ومجالسة الأشرار والغافلين من أسباب الغفلة، ومن أسباب لينها وتقواها، واستقامتها الإكثار من ذكر الله، والإكثار من قراءة القرآن، وصحبة الأخيار، وذكر الله جلَّ وعلا، وأنك صاير إليه، وأنك موقوف بين يديه، وأن الموت حق، والجنة حق، والنار حق، تذكر هذه الأمور مما يعين على لين القلب.

س٣: هذا سائل يقول: بعض العلماء يا سماحة الشيخ يفتون بعدم وجوب زكاة الحُليّ الملبوس ما هي أدلتهم على ذلك؟ وما مدى صحة هذا القول؟ أفيدونا مأجورين.

ج: الحُلي فيها خلاف، بعض أهل العلم يرى أن لا زكاة فيها، والصواب أنها فيها الزكاة، ومن قال: إنها لا زكاة فيها يقيسها على العوامل وعلى الملابس وعلى الفرش المستعملة، والصواب أنها ليست مثلها، الحُلي من الذهب والفضة فيها الزكاة، النبي ﷺ قال لامرأة عليها حُلي: **«أَتُؤَدِّينَ زَكَاةَ هَذَا»**. قَالَتْ: لَا. قَالَ: **«أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ ﷻ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ»**[١]؟ وقال لأم سلمة لما سألته عن الحُلي قَالَتْ: كُنْتُ أَلْبَسُ أَوْضَاحًا مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَنْزٌ هُوَ؟ فَقَالَ: **«مَا بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ»**[٢].

فالذهب والفضة إذا لم تؤدَّ زكاته صار كنزًا، يعذب به صاحبه يوم القيامة.

س٤: ما حكم وسم الأنعام بالكي إذا لم يوجد البديل عن ذلك وخاصة الإبل؟

ج: كيُّها لا بأس، النبي كوى، وَسَمَ بالكي، تكوى في أفخاذها وأرقابها لا في الوجه، الكي لا بأس به في الإبل ونحوها في الفخذ، أو في الرقبة، أما الوجه لا توسم في وجوهها لا إبل ولا بقر، ولا الغنم، إنما تكون في الفخذ، في الأذن، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أسماء بنت يزيد (٦/ ٤٥٥) وأبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو وزكاة الحلي، برقم (١٥٦٣)، والترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الحلى، برقم (٦٣٧)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب زكاة الحلي، برقم (٢٤٧٩)، وصححه الألباني في المشكاةُ برقم (١٨٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أم سلمة ﵅ في كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو وزكاة الحلي، برقم (١٥٦٤).

س٥: هل من مات في حوادث السيارات يدخل في حكم صاحب الهدم، أو المطعون في ثبوت حكم الشهادة التي وردت في الحديث؟

ج: نعم من مات بسبب السيارات، انقلاب، أو مصادمة كله إن شاء الله في حكم الشهداء، في حكم صاحب الهدم.

س٦: رجل جامع زوجته في شهر رمضان ثلاثة أيام، وذلك لمدة أربعة أعوام وهو يا سماحة الشيخ لا يقدر على الصيام، فماذا عليه؟

ج: عليه التوبة إلى الله من هذا المنكر، وعليه عتق رقبة عن كل سنة ثلاث رقاب، فإن لم يستطع فصيام ستة أشهر عن كل مرة شهرين متتابعين متى استطاع فعل ذلك، إنما يجتهد لعله يستطيع، فإذا استطاع صام شهرين عن كل عمل مع التوبة إلى الله جلَّ وعلا تبقى في ذمته حتى يستطيع إلى الموت.

س٧: ما حكم الغش في الاختبارات في أي مادة من المواد وكذلك من حصل على الشهادة عن طريق الغش فماذا عليه بعد التوبة؟

ج: لا يجوز الغش في جميع المواد، لا في المواد الدينية ولا في غيرها؛ ولا في الإنجليزية؛ ولا في اللغة، الغش لا يجوز، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[1]، ومن غش سابقًا فعليه التوبة والحمد لله، من صدر منه شيء سابق فعليه التوبة إلى الله والندم والإقلاع، والعزم على أن لا يعود لمثل هذا. والحمد لله.

س٨: هذه سائلة تقول: إن والدَيَّ شيخان كبيران، وإن والدتي تعاني من بعض الأمراض فانتقلت إلى بيت أحد إخواني بعد استئذان والدي؛ ولكنه لم يأذن في ذلك، ولم يسامحها رغم المحاولة الدائمة على أن يسامحها لأنها لم تقوَ على البقاء فما الحكم في ذلك أثابكم الله؟

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث رقم (١٠١)، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب النهي عن الغش، برقم (٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ج: الواجب عليها السمع والطاعة لزوجها في المعروف في البيت، والواجب عليه أن لا يضرها إذا كانت لا تستطيع ليس له مضارتها، يقول النبي ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»(١)، فإذا انتقلت للعلاج أو لأنها يعمل معها أشياء تضرها فلا حرج عليها، وأما إذا كان لا يضرها فعليها أن تبقى في بيتها لا تخرج، وأما إذا كان يضرها ولا يرحمها، فلها الخروج والذهاب إلى أولادها، وعليه تقوى الله وأن لا يضرها لأن الرسول ﷺ قال: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**» لا يجوز للزوج أن يضر زوجته، قال جلّ وعلا: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، فإذا اضطرت للخروج عند أولادها، أو للمستشفى فلا بأس، وإذا لم يكن هناك ضرورة، ولم يعمل معها ما يضرها، فالواجب بقاؤها في البيت.

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم (٢٣٤٠ و٢٣٤١)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٥٠).

الأصلان العظيمان

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

قد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات من صاحب الفضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس فيما يتعلق بكتاب الله ﷻ، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأنهما الأصلان العظيمان لمعرفة الهدى، والأخذ به والثبات عليه، والرد على من خالفه، وأن الطريق إلى ذلك ينحصر في شيئين أحدهما التدبر والتعقل لكتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام بقصد الهدى، وطلب الحق لا لأمر آخر بل يتدبر ويتعقل كتاب ربه وسُنَّة نبيه عليه الصلاة والسلام؛ ليعرف الحق منهما؛ وليأخذ الحق منهما وليهتدي بهما؛ لأن الله جعل كتابه هدى، وجعل سُنَّة نبيه هدى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢] هو طريق الهدى، هو طريق السعادة.

والأمر الثاني هو تطهير القلوب وتنزيهها من الأفكار الملحدة، والآراء الفاسدة التي تضاد كتاب الله، وتضاد سُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، فيأتي إلى كتاب الله، وإلى سُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٤).

بقلب مقبل عليهما، يعلم أن الحق فيهما، وأن الهدى فيهما، وقد طهر قلبه وفكره من الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة التي تضاد كتاب الله، وتضاد سُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وفي ضمن ذلك ـ وإن كان شيخ جعفر لم يشر إليه؛ لكنه معلوم ـ الاستعانة بكلام أهل العلم، أهل الحق المعروفين، وبما جاءت به اللغة العربية حتى يستعين بذلك على فهم كلام الله، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فلا بد من هذا.

الأمر الثالث أيضًا وهو الاستعانة بما جاءت به اللغة العربية، وما درج عليه سلف الأمة في تفسير كتاب الله والاستنباط من كتاب الله، من كلام أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ومن تبعهم بإحسان، فهو يتدبر كتاب الله مستعينًا بما نزل به كتاب الله من اللغة العربية التي جاء بها القرآن، وجاءت بها السُّنَّة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فتعقل اللغة العربية ولأساليبها التي جاء بها القرآن، وجاءت بها السُّنَّة، والاستعانة بكلام أهل العلم في ذلك المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والعلم والفضل، وعلى رأسهم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، فإن المؤمن عند تدبره كتاب الله، وتعقله كتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام بهذا القصد، يقصد طلب الهدى، والاستعانة على فهم الحق، وأخذه من كتاب الله، وبسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، والاستعانة على ذلك بما دلت عليه اللغة العربية التي جاء بها القرآن، وجاءت بها السُّنَّة، وبما دل عليه كلام أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم، فإنَّ هذا هو الطريق والسبيل إلى معرفة الحق، يستعين بما دلت عليه اللغة العربية، وما دل عليه كلام سلف الأمة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، على فهم كتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ثم من المعلوم أن السُّنَّة تفسِّر القرآن وتبيِّنه وتدل عليه فهو أيضًا يستعين بالسُّنَّة على فهم كتاب الله ﷻ، فالسُّنَّة هي الشارحة والمفسرة

لكلام الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وهو يستعين بكلام الله على تفسير كلام الله، ويستعين بكلام الرسول عليه الصلاة والسلام على تفسير كلام الله، ويستعين باللغة العربية، ومن كلام أهل العلم، وأهل الحق، والبصيرة من أصحاب النبي ﷺ، على ذلك، وهكذا يستعين بكلام أتباعه من أهل العلم والهدى على ذلك، حذرًا مما عليه دعاة الباطل، ودعاة الإلحاد من الأفكار السيئة، والعقائد الملحدة الضالة التي إذا ضمر أهلها في كتاب الله أو السُّنَّة إنما يريدون تأييدها فما وافقها من كتاب الله أخذوه، وما وافقها من السُّنَّة أخذوه، وما خالفها طرحوه، فجعلوا عقولهم وآراءهم الفاسدة أصلًا، وحاولوا أن يأخذوا من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ما يؤيد أباطيلهم وهذا هو الضلال ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، هذا عمل المنافقين للتشبيه والتضليل ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ نسأل الله العافية، ليس قصدهم من كتاب الله؛ ولا من سُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا ما يوافق أهواءهم، وأفكارهم الباطلة، وإلحادهم.

فالواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، وأن يكون قصده من تدبر كتاب الله، وتعقل كتاب الله فَهمَ الحق الذي أراده الله حتى يعمل به، وحتى يَرُدّ به على أهل الإلحاد والشبهِ الضالة؛ وهكذا يتدبر السُّنَّة ويتعقلها، ويريد من ذلك أن يفهمها كما جاءت عن الله، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام؛ لا لتأييد هواه؛ ولا لتأييد شيخه ونحلته، وطائفته ونحو ذلك.

وإنما يجعل كتاب الله أصلًا أصيلًا، وهكذا السُّنَّة، يَرُدّ إليهما ما تنازع فيه الناس، وما اشتبه على الناس فما وافقهما قبله، وما خالفهما رده على قائله كائنًا من كان مع التثبت، ومع سؤال الله الإعانة والتوفيق، ومع الضراعة إليه، والانكسار بين يديه أن يعينه على فهم كتابه وسُنَّة

رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يوفقه لإصابة الحق؛ هكذا يكون المؤمن؛ وهكذا يكون طالب العلم ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وهناك قسم آخر أعرضوا عن هذا وهذا، وهؤلاء لا قيمة لهم، ولا عظة بهم، هناك قسم آخر وهم الأغلب والأكثر أعرضوا عن كتاب الله، وعن سُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يتدبرون ولا يتعقلون؛ بل هم أشباه الأنعام، لا همَّ لهم إلا أهواء نفوسهم وشهواتهم؛ ليس لهم همٌّ في فهم كتاب الله؛ ولا في فهم سُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ ولا في العمل بذلك، هؤلاء ليس لهم قيمة؛ بل هم كما قال الله: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية والبصيرة كما نسأله سبحانه أن يرزقنا وإياكم الاستقامة على دينه، والعافية من مضلات الفتن، وأن يرزقنا جميعًا حسن الدعوة إليه على بصيرة، والسلامة من أسباب غضبه، وأن يجزي أخانا الشيخ جعفر عن كلمته خيرًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

❋ ❋ ❋

الإخلاص

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا هذه الكلمة المباركة الطيبة من صاحب الفضيلة عبد الله التويجري في موضوع عظيم؛ بل أعظم الأمور وأهمها وهو الإخلاص، ولقد أجاد وأفاد جزاه الله خيرًا، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدىً وتوفيقًا.

لا شك أن موضوع الإخلاص هو أهم الأمور وعليه مبنى جميع الأعمال، تبنى الأعمال كلها على الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ على هذين الأمرين على شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، كل أعمال العباد دقيقها وجليلها قلبيها وجارحها كلها مبنية على هذا الأساس، ويكفي في هذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] ما أُمروا إلا بهذا ليعبدوا الله مخلصين لا رياءً ولا سمعة ولا شركًا به جلَّ وعلا في عبادته لا مع الأنبياء، ولا مع الأولياء، ولا مع الجن ولا مع الأصنام ولا مع غير ذلك، إنما خُلقوا ليعبدوا الله وأُمروا ليعبدوا الله ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿وَلَقَدۡ

(١) من تعليقات سماحته بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج ١٤٠٧هـ، شريط رقم (٢٠٤).

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾.

يخاطب الله نبيَّه: ﴿...فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]؛ فالإخلاص أساس الدين هو أساس الملة، ويقابل ذلك الشرك الأكبر، والشرك الأصغر الشرك الأكبر أهله في النار مخلدون فيها، والشرك الأصغر، وهو الرياء محبط للعمل الذي قارفه، قد قال فيه النبي ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»[(١)]، خاف على أصحابه فكيف بغيرهم؟ «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» فسُئل عنه، قال: «**الرِّيَاءُ**» يقوم الرجل فيصلي فيُزين صلاته لِما يرى من نظر الرجل إليه.

قد وصف الله المنافقين بالرياء فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]، يكفي في ذم الشرك أنه من عمل المشركين وفي ذم الرياء أنه من عمل المنافقين، ما عند المخلوق ضرًا ولا نفعًا، الضرُّ والنفع كلهُ عند الله، فليتذكر المؤمن أن الله هو النافع الضار وأن بيده كل شيء سبحانه وتعالى.

فالواجب أن يخلص له العمل؛ وليتذكر أن الشرك والرياء من أعمال المشركين، ومن أعمال المنافقين، ومما يُزينه الشيطان، والشرك

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٩) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وتمامه قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ يَقُولُ اللهُ عز وجل لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**».

يحبط الأعمال، والرياء يحبط العمل، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ويقول سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧] أعمالهم تنادي عليهم بالشرك، فلهذا حبطت أعمالهم.

فالواجب عليك يا عبد الله، أن تخلص عملك لله من صلاة، وصوم، وصدقة، واتباع جنازة، وعيادة مريض، وأمر بالمعروف، ونهي عن منكر، ودعوة إلى الله، وغير ذلك تقصد وجه ربك، يقول النبي ﷺ: «**يقول الله جلَّ وعلا أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» أخرجه مسلم في الصحيح[1]، ويقول ﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارِ**»[2].

فالواجب الحذر، الحذر من هذا الداء العُضال وهذا الذنب العظيم، احذر من الشرك كله دقيقه وجليله، واحذر الشيطان وتزيينه؛ فليس عند الناس لك ضرٌّ ولا نفعٌ، الضر والنفع بيد الله جلَّ وعلا، والرزق عنده، والخير عنده، جلَّ وعلا، فاعبده وأخلص له، واسأله من فضله واستعن به، وأبشر بالخير العظيم.

يقول جلَّ وعلا: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ أعوذ بالله ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

فعليك بالهمة العالية، اقصد ربك، اقصد وجهه، وارجو فضله

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار، برقم (١٥٢).

وإحسانه، واحذر طلب الدنيا أو مراءاة أهلها أو قصد بالعمل لأهلها؛ ولكن اقصد بعملك وجه الله، فشرط العمل أمران: أن يكون لله، وأن يكون موافقًا للشريعة فالتزم بهذين الأمرين دائمًا في كل عمل، كل عبادة؛ لا بد أن تكون؛ ولا بد أن تكون موافقًا للشريعة، فإن كانت فيها شرك بطلت ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وإن كانت بدعة بطلت لقول النبي ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»**(١)، **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**(٢)، **«إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**(٣).

فالحزم، والواجب، والكيس، والفرض، الإخلاص لله في كل شيء، في جميع أداء عباداتك وأن تكون متحريًا فيها ما شرعه الله، متحريًا فيها موافقة الشرع، وعليك بالإكثار من قراءة القرآن حتى يعمر قلبك بالإخلاص لله، عليك بالإكثار من قراءة القرآن وتدبره ومراجعة السُّنَّة الصحيحة وكلام أهل العلم الموفقين المهديين، حتى يعين ذلك على الإخلاص لله، والثبات عليه، واتباع السُّنَّة، والثبات عليها، هذا هو طريق النجاة، هذا هو طريق السعادة.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام، باب إِذَا اجْتَهَدَ الْعَامِلُ أَوِ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ خِلَافَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ. لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»**، وقد وصله مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم (١٧١٨).

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الصلح، باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأمور، برقم (١٧١٨).

(٣) جزء من حديث العرباض بن سارية ﵁، أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة، برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة في اجتناب البدع، برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهدين، برقم (٤٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح المشكاة، برقم (١٦٥).

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، ونسأل الله أن يمنحنا وإياكم الفقه في الدين، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

بعض الناس قد لا ينتبه لسجود التلاوة، قد سجد إمامنا الآن في سورة تنزيل السجدة للتلاوة، فإذا سمع المصلي الإمام كبَّر ساجدًا؛ فليسجد بعض الناس يركع، بعض الناس يحار، السُّنَّة إذا سمعت الإمام قرأ السجدة وسجد تسجد مثلما سجد إمامُك، وإذا رفع ترفع بعده، وهكذا في جميع الأمور، يقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا**»(٢).

فالإمام هو الأول والمأموم تابع، فإذا كبَّر الإمامُ ساجدًا للتلاوة فاسجد كما في الصلاة، إذا كبر للإحرام وانتهى صوته كبر، وإذا كبر للركوع وانتهى صوته كبِّر واركع، وإذا رفع صوته قال: سمع الله لمن حمده فارفع؛ وهكذا، لا تعجل؛ لا تكون قبله ولا بعده؛ ولكن بعده.

وفَّق الله الجميع، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

(١) متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، برقم (٧١)، وفي كتاب فرض الخمس باب ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، برقم (٣١١٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، برقم (٣٧٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، برقم (٤١١).

تفسير شهادة أن محمدًا رسول الله

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[١]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن غانم في تفسير شهادة أن محمدًا رسول الله، قد أحسن فيما ذكر، وأوضح الحق والصواب فجزاه الله خيرًا وبارك فيه، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا؛ لا شك أن أصل دين الإسلام، وأساسه أمران، أحدهما: شهادة ألا إلـه إلا الله والثاني: شهادة أن محمدًا رسول الله.

هاتان الشهادتان هما أصل الدين هما أساس الملة، وكل الأعمال والأقوال، والعقائد ترجع إليهما؛ فلهذا كان ﷺ أول شيء يدعو إليه أن يقول لهم: تشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فهذان الأمران هما أصل الدين، هما أساس الملة، وهما الركن الأول من أركان الإسلام، شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

الواجب على كل مكلَّف، وعلى كل مكلَّفة الإتيان بهاتين الشهادتين، عن إيمان وصدق، تشهد أن لا إلـه إلا الله، أنه لا معبود حق إلا الله، هو المستحق لأن يُعبد، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤١٧هـ.

تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، قال ﷻ: ﴿...فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

لا بد من إخلاص العبادة لله؛ لا يدعو إلا الله؛ لا يستغيث إلا به؛ لا يصلِّي إلا له؛ لا يسجد إلا له؛ لا يذبح إلا له، والذين يتخذون أصحاب القبور معبودين مع الله يدعونهم يستغيثون بهم ينذرون لهم، يذبحون لهم، أو للأصنام، أو للجن، هؤلاء قد نقضوا هذه الشهادة، وأخلُّوا بهذه الشهادة، فلم يؤمنوا بالله وحده؛ ولم يعبدوه وحده، فصاروا بهذا مشركين؛ لأن الشرك صرف العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]؛ فلا بد من إخلاص العبادة لله وحده: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] الشهادة الثانية، شهادة أن محمدًا رسول الله؛ لا بد من هذا، كما سمعتم؛ لا بد أن يشهد أن محمدًا رسول الله.

وهذه الشهادة، تتضمن أربعة أمور كما بيَّن:

الأمر الأول: طاعته فيما أمر، **الثاني**: تصديقه فيما أخبر، **والثالث**: اجتناب ما نهى عنه وزجر، **والرابع**: أن لا يعبد الله إلا بشريعته، عليه الصلاة والسلام.

هذه الشهادة لها شروط، إذا شهدت أن محمدًا رسول الله؛ **معناه**: أن الواجب عليك تصديقه في إخباره عليه الصلاة والسلام، وأنه لا يقول

إلا الحق، وقد أخبرنا أن الله سبحانه هو المستحق للعبادة، ونهانا عن الشرك، وأخبرنا عن الرُّسل الماضين وعن الجنة والنار، وعن الصراط والجزاء، وعن الحساب وغير ذلك، فالواجب تصديقه في ذلك؛ لا بد أن نصدق الرسول في كل ما أخبر به: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]، علينا أن نؤمن بالله ورسوله، علينا أن نصدق الله، ونصدق رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن الإيمان به أيضًا أن نطيع أوامره، فيما أمرنا به وأن ننتهي عن نواهيه؛ لا بد من طاعة الأمر، واجتناب النهي: ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

الرابع: أن تعبد الله بشريعته؛ لا بالهوى ولا بالبدع؛ لا بد أن تعبد الله بشريعة محمد التي جاء بها عن الله جلَّ وعلا وأخبرنا عن الله، بصلاتك وصومك، وحجك، وغير ذلك؛ لا بد أن تتبع الشريعة التي جاء بها، ودل عليها القرآن، ودلَّت عليها السُّنَّة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أمره أن يبلغ الناس الجن والإنس، العرب والعجم، الأغنياء والفقراء، جميع الثقلين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ يعني: قل يا محمد للناس: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والقرآن نزل للعالمين جميعًا ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، فالقرآن نذير، والرسول نذير، للعالمين جميعًا، للجن، والإنس، للعرب، والعجم، للذكور والإناث، يجب على الجميع، أن يعبدوا الله وحده، وأن يمتثلوا أوامر الله، وأن ينتهوا عن نواهي الله على ما جاء به رسول الله؛ لا يزيدون؛ ولا يبتدعون؛ ولا ينقصون؛ بل عليهم أن يعبدوا الله وحده، باتباع ما دل عليه كتابه، وما جاء في سُنَّة رسوله الصحيحة، عليه الصلاة والسلام، من غير زيادة ولا نقص، مع الإيمان، والتصديق، والإيمان، بأن الله هو المستحق للعبادة، وأن محمدًا رسول الله وخاتم الأنبياء، وأنه الصادق المصدوق؛ لا نبي بعده، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فهو رسول الله للثقلين، وخاتم الأنبياء لا نبي بعده، من ادعى النبوة بعده فهو كافر.

فالواجب على المسلمين جميعًا، وعلى المكلفين جميعًا، الإيمان بالله ورسوله وتصديق الله بما أخبر، وتصديق رسوله واتباع شريعته، التي جاء بها عن الله ﷻ. هذا هو الواجب عند جميع أهل العلم، عند أصحاب النبي ﷺ وجميع أتباعه، هذا أمر مجمع عليه، إجماعًا قطعيًّا أن الواجب على جميع الثقلين اتباع محمد ﷺ، والانقياد بما جاء به من الشرع، والموالاة في ذلك، والمعاداة في ذلك، هذا هو دين الله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأركان هذا الإسلام الظاهرة خمسة:

أولها: وأعظمها شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله،

الركن الثاني: الصلوات الخمس، الركن الثالث: أداء الزكاة، الركن الرابع: صيام رمضان، الركن الخامس: حج بيت الله الحرام مع الاستطاعة، كما قال ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**»؛ يعني: على خمس دعائم: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

وجاءه جبرائيل يومًا وهو جالس بين الناس عليه الصلاة والسلام، فجاءه جبرائيل في صورة إنسان لا يُعرف فقال: **يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ**. دنا من النبي ﷺ حتى وضع يده على ركبته وَقَالَ: **أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ صَدَقْتَ**. قَالَ: **فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»؛ يعني: تعبده كأنك تشاهده، الاستحضار، استحضار القلب، وإخلاص وصدق: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».؛ يعني: فإن لم تشاهده، معلوم أنه لا يشاهد الله؛ لكن بإحضار القلب؛ كأنه يشاهد ربه، حتى يكمل العمل، حتى يصدُق في العمل، ويخلص فيه، فإذا لم يستحضر هذا؛ فليعبد الله على مراقبة، أن الله يراقبه، ويشهد عليه، وأنه على مرأى من الله ومسمع كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، برقم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، «**ثم قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»؛ يعني: الساعة ما أعلمها، أنا لا أعلمها وأنت لا تعلمها، ما يعلم الساعة إلا الله، ما يعلم متى تقوم الساعة إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

«**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**» هذا يبين لنا أن الساعة علمها عند الله، وأنه لا يعلمها النبي ﷺ؛ ولا غير النبي؛ بل ما يعلم متى تقوم إلا الله جلَّ وعلا، هو الذي يعلم متى تقوم، هذا من علم الغيب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

فالواجب على المكلفين الإعداد لهذا اليوم؛ ليوم القيامة، وكل من مات فقد قامت قيامته، كل إنسان مات قد قامت قيامته، فالقيامة الصغرى موتك، والكبرى موت الجميع، فالقيامة لا بد منها، ينفخ في الصور نفختان، النفخة الأولى، فيها موت الناس، وصعق الناس، والنفخة الثانية فيها، قيام الناس من قبورهم لرب العالمين، للحساب والجزاء، هذه لا بد أن تقع ولكن؛ لا يعلم متى تقع إلا هو سبحانه وتعالى، هو الذي يعلم متى تقوم الساعة، ويبعث الله ريحًا في آخر الزمان طيبة، تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات؛ فلا يبقى إلا الأشرار، فعليهم تقوم الساعة؛ لا تقوم الساعة على أحد يقول لا إلـٰه إلا الله؛ لا يبقى إلا الأشرار؛ لا يعرفون الله، ولا يعرفون دين الله، وعليهم تقوم الساعة، وكل مؤمن

ومؤمنة يموتون قبل ذلك بمدة يعلمها الله، يرسل الله ريحًا طيبًا في آخر الزمان، تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات؛ ولا يبقى في الأرض إلا المشرك؛ لا يبقى في الأرض من يقول لا إلـٰه إلا الله؛ بل لا يبقى فيها إلا أهل الشرك؛ كالأنعام، كبهيمة الأنعام، فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

فالواجب على كل مؤمن أن يُعِدَّ العُدة، وأن يستقيم على طاعة الله ورسوله، وأن يعبد الله وحده، وأن يؤمن برسوله ﷺ، وأن يطيع أوامره، وينتهي عن نواهيه، ويصدق أخباره، وأن يعبد الله بشريعة رسوله محمد ﷺ، أينما كان، في البر، والبحر، في الشتاء والصيف، في الصحة والمرض، في الشدة والرخاء، في الجو، في السيارة، في القطار، في الباخرة، في أي مكان عليه أن يعبد الله وحده، وأن يستقيم على دينه، على اتباع رسوله محمد ﷺ، في القول، والعمل، والعقيدة.

وفق الله الجميع، وجزى أخانا الشيخ عبد الله عن كلمته خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

الاتباع

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضير في موضوع عظيم، جدير بالعناية، وهو موضوع اتباع الرسول ﷺ، والعناية بسُنَّته، والتمسُّك بها، والدعوة إليها، والحذر مما يخالفها؛ لأن الله بعثه مرشدًا للناس ومعلِّمًا، وهاديًا، فالواجب اتباعه والسير على منهاجه؛ لأنه يبلغ عن الله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، هو السراج المنير، هو الداعي إلى الله، وقال جلَّ وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] الهدى هو العلم النافع، والأخبار الصادقة، ودين الحق الشرائع العظيمة، المستقيمة العادلة التي بعث بها نبيَّه ﷺ، فالله بعثه بالهدى، بالعلم النافع، والأخبار الصادقة، وبدين الحق الذي هو الشرائع المستقيمة، من توحيده سبحانه، والإخلاص له، وترك الإشراك به، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والجهاد في سبيل الله، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنهي

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤١٧هـ.

عن كل ما حرم الله من سائر المعاصي، من الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والعقوق، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، وشرب المسكرات، إلى غير هذا. هذا مما نهى الله عنه، فهو الرسول المبين، هو الداعي إلى الله، هو الهادي إلى الصراط المستقيم، كما قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، هو الهادي الدال على صراط الله بما أوحى الله إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، فهو ﷺ أرسله ليبلغنا، ويعلمنا، وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]، دل على أن الهداية في طاعته، والشقاوة والضلال في معصيته، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال بعض أهل العلم: الفتنة الشرك بالله، إما أن يقعوا في الشرك، وإما في العذاب أعوذ بالله بسبب المخالفة.

وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، فعند النزاع والخلاف يجب الرد إلى الله وإلى الرسول عليه الصلاة والسلام، الرد إلى الله، إلى القرآن العظيم، والرد إلى الرسول إليه في حياته، وإلى سُنَّته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وقد أكثر سبحانه في كتابه العظيم من الأمر بطاعة الرسول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور: ٥٤]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: ٩٢]، فهو سبحانه في كتابه العظيم أرشد عباده إلى طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام والسير إلى الله من طريقه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور: ٥٤]، لا بد أن يكون من طريقه، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ

ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ يعني: قل يا محمد للناس قل لهم بلغهم ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ كل مسلم يحب الله فإذا كان صادقًا في محبة الله فليتبع الرسول ﷺ، فإن الرسول هو الذي يدل على محبة الله، وعلى ما يرضي الله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ﴾؛ يعني: قل يا أيها الناس: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فطريق محبة الله، وطريق النجاة من النار، وطريق دخول الجنة، وطريق الفوز بالسعادة من طريق النبي عليه الصلاة والسلام؛ وذلك باتباع القرآن، فيه الهدى والنور، بلَّغه إلينا نبيُّهُ محمد ﷺ، وباتباع سُنَّة الرسول، وما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام.

هو الذي فسر لنا الصلاة، فسر لنا الزكاة، فسر الصيام، فسر الحج، فسَّر المعاملات، فسر الجهاد، هو المبلغ عن الله، هو المرشد عن الله جلَّ وعلا؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

السبل الطرق المخالفة لشرْعه، هذه السبل، السبل التي تخالف هدي الله وشرعه، من أقوال وأعمال، من بدع، وأهواء، هذه يقال لها السبل، فطريق الله واحد، هو توحيده وطاعته واتباع رسوله، هذا الطريق الواحد ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] السبيل هو صراط الله المستقيم، وقال جلَّ وعلا في الفاتحة، التي هي أعظم سورة في القرآن: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، كل مسلم يدعو ربه في الصلاة في الفريضة والنفل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] الصراط المستقيم هو الصراط الذي جاء به محمد ﷺ.

هذا الصراط المستقيم، هو توحيد الله، وإخلاص العبادة له جلَّ وعلا، والإيمان به وبرسله، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله، من

أمر الجنة والنار، والحساب والجزاء، وغير ذلك، وطاعة الأوامر، وترك النواهي هذا هو الصراط المستقيم، توحيد الله، والإخلاص له، وترك الشرك به ﷻ، وأداء فرائضه، وترك محارمه، والوقوف عند حدوده، هذا الصراط المستقيم، هذا دين الله، وهذا هو الإسلام هذا هو البر والهدى، وهذا هو الإيمان والتقوى، صراط الله المستقيم: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذه العبادة، وهذا الهدى، وهذه التقوى والبر، وهذا الإسلام، هو الصراط المستقيم. الصراط المستقيم؛ يعني: الطريق الواضح، وهو توحيد الله، والإيمان به، وبرسوله عليه الصلاة والسلام، واتباع ما جاء به، من فعل الأوامر، وترك النواهي، مخلصًا لله، طالبًا مرضاته، تريد السعادة؛ لا تفعله رياءً ولا سمعة؛ ولكن تعمل بطاعة ربك وترك ما نهى عنه، محبة لربك، وطاعة له، ورجاء رحمته، وحذر عقابه، وحذر غضبه ﷻ، فأنت تسلك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم الرسل وأتباعهم، المنعم عليهم، هم الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة، تسلك هذا الصراط، هذا صراطهم، هذا طريقهم، توحيد الله، تخصه بالعبادة، تدعوه وحده، تصلي له وحده، تسجد له وحده، تنذر له وحده، تسجد له وحده، تخافه وترجوه، تخصه بالعبادة جلَّ وعلا، من طريق رسوله ﷺ، من طريق شرعه، من طريق ما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام؛ لا تبتدع، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[1]؛ يعني: هو مردود،

(١) تقدم في(ص١٩٩).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

إن كان في خطبه ﷺ يقول في الخطبة:

أما بعد: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهدي هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

يحذر الناس في الخُطبة، خير الكلام كلام الله القرآن، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، السيرة والهدي، سيرة محمد ﷺ، فهو المبلغ عن الله، والمرشد عن الله، والمعلم، فالواجب على الأمة سلوك طريقه، والاستقامة على دينه، عن محبة وإيمان وإخلاص لله، وعن محبة لنبيه ﷺ، والصدق في متابعته، والإيمان بأنه رسول الله حقًّا، وأن اتباعه هو طريق النجاة، وطريق السعادة، وطريق محبة الله للعبد: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أتباعه، ونسأل الله أن يمنحنا الفقه في دينه، كل مسلم محتاج للفقه في الدين: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام، باب إِذَا اجْتَهَدَ الْعَامِلُ أَوِ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ خِلَافَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ. لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»، وقد وصله مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (٨٦٧).

(٣) متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، =

فنسأل الله أن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، والعناية بكتابه، والإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، والعمل بسُنَّة نبيه عليه الصلاة والسلام، والسير على منهج الصحابة، أصحابه ﷺ، واتباع سبيلهم وهو الصراط المستقيم، وهو منهج أهل السُّنَّة والجماعة، منهج أهل العلم والإيمان، وهم الرسل وأتباعهم: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم الرسل وأتباعهم، فالمنعم عليهم هم الرسل وأتباعهم ثم أعم وأخص الأتباع وأفضل الأتباع أصحاب النبي ﷺ، فإن نبينا هو أفضل الرسل، وأمته هي أفضل الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالرسول هو أفضل الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، وأصحابه خير الأمة، وهذه الأمة هي خير الأمم، فالواجب اتباع سبيله عليه الصلاة والسلام، والسير على منهاجه الذي رواه عنه أصحابه، ونقله إلينا أصحابه ﷺ، وسار عليه أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، فعلينا أن نسير على هذا المنهج بتوحيد الله والإخلاص له وعدم الشرك به، وبطاعة أوامره وترك نواهيه الموضحة في القرآن الكريم، وفي السُّنَّة الصحيحة المطهرة.

وفق الله الجميع لما يرضيه ورزقنا وإياكم الثبات على دينه، والعافية من مضلات الفتن، وجزى الله أخانا عن كلمته خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

= باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، برقم (٧١)، وفي كتاب فرض الخمس، باب ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، برقم (٣١١٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧).

النِّيَّة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة والتنبيه المهم المتعلق بالنية وإخلاصها لله ﷻ، من صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح العقل جزاه الله خيرًا، وزادنا وإياكم وإياه من العلم والهدى والتوفيق.

لا ريب أن أمر النية عظيم جدًّا، ولا ريب أنها جديرة بالعناية، فالأمور بأُسسها، فمتى استقام الأساس فالعمل يستقيم ومتى خرب الأساس خرب العمل؛ فالنيات بيَّن الرسول ﷺ حالها، وبيَّن الرب جلَّ وعلا في كتابه العظيم في مواضع كثيرة شأنها، وكل من له أدنى إلمام بالعلم يعلم عظم شأن النية، وأن عليها مدار الأعمال صحة، وفسادًا، وثوابًا، وعقابًا، ومزيد أجر، وضعفًا إلى غير ذلك، فلها أحوال ولها صفات.

فالواجب على المؤمن أن يُعنى بالنية في أعماله كلها، فإنَّ العادات بالنيات الطيبة تكون أعمالًا صالحة، والأعمال الصالحة بالنية السيئة تكون آثامًا وأوزارًا، فالواجب على المؤمن أن يعنى بالنية في جميع أعماله، وفي جميع تصرفاته ولا سيما العبادات فإنها الأساس لأن العبد خلق ليقوم بها، وبقية الأعمال للنية فيها مجال وتجعلها صالحة أو

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٤).

فاسدة؛ ولهذا يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»**(١).

فإذا أُريد بها العبادات فالأمر واضح، وكل عبادة لا تصحبها النية لا يكون لها أثر وتكون باطلة، لا بد من نية لله وحده في عباداته؛ ولا بد أن ينويها أيضًا حتى يفصلها عن غيرها، فالنية يحتاج إليها من جهة الإخلاص، ويحتاج إليها من جهة التمييز بين العبادة والعبادة، وبين العبادة والعادة، فإذا صحبت النية العمل وصارت نية طيبة صالحة، صارت له آثاره العظيمة، وعواقبه الحميدة، وإذا صحبت النية العمل لغير الله وصارت نية فاسدة أبطلت العمل وصارت له عواقبه السيئة، وهكذا تكون النية في الأعمال الأخرى من البيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، وغير ذلك، ولها آثارها في ذلك كما هو معلوم عند أهل العلم، وقد يكون العقد بالنية عقد أجر وثواب، وقد يكون بالنية عقد إثم وعقاب.

فالرجل يتزوج يريد العفاف يؤجر في ذلك، ويثاب، والرجل يتزوج يريد التحليل يكون ملعونًا آثمًا نسأل الله العافية، وهكذا في البيع والشراء، وفي التأجير، وفي غير ذلك، فمن أراد الآخرة وقصد بعمله وجه الله ربح في الدنيا والآخرة في عباداته، وفي أعماله كلها حتى تكون العادات في حقه عبادات؛ لكونه أراد بها وجه الله أو أراد بها الاستعانة على الأعمال الصالحات، كالرجل يأكل الأكلة يريد التقوي على طاعة الله، وينام النومة يريد التقوي على طاعة الله فيؤجر على ذلك، وإن

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم (١) وبرقم (٥٤ و٢٥٢٩ و٣٨٩٨ و٥٠٧٠ و٦٦٨٩ و٦٩٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، برقم (١٩٠٧).

كانت أمورًا عادية، والرجل يُؤَجِّر داره أو دكانه لإنسان يريد بذلك وجه الله فيرفق به؛ ليتسبب ويُحصِّل ما يعينه على طاعة الله فيرفق ويُؤَجِّر عليه بأُجْرَة مناسبة قليلة رفقًا بحاله ورحمة لحاله وليعينه على طاعة الله فيُؤْجَرُ بذلك، ويُؤَجِّرُ الدار أو دكانه لمن يبيع ما حرم الله لمن يبيع الخمور ونحو ذلك فيأثم في ذلك على هذه النية التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد تكون هناك أعمال ظاهرة يعلمها كل أحد فتعاب عليه، وتنكر عليه في إقدامه عليها لأنها أمور ظاهرة، ولو قال لم أردها فهي أمور ظاهرة تدل على نيته الفاسدة.

فالحاصل أن النية مثلما قال فضيلة الشيخ عبد العزيز لها شأن عظيم، وقد جاءت أعمال مطلقة، وجاءت أعمال مقيدة، فبعض أهل العلم حمل المطلق على المقيد، وقال ما جاء فيه ذكر النية هو مقيد لما تُرك فيه النية، مثلما: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[1].

في الرواية الأخرى فيحتسبْه، والأقرب والله أعلم في ذلك أنه مأجور بغرسه وزرعه، وما يصيبه في ذلك؛ لكن إذا كانت هناك نية صالحة مع هذا العمل كان الأجر أكثر، وكان الفضل أعظم، فهو في غرسه وزرعه ما حصل له من نكبة أو أكل منه دابة أو طير، فله بذلك أجر وإن لم تكن له نية في ذلك لأنها مصيبة؛ ولأنه نقص عليه فيؤجر بذلك المسلم؛ لكن إذا كان مع ذلك احتساب، وطلب الثواب من الله عز وجل، صار الأجر أكبر، وأعظم؛ وليس هناك حاجة إلى التقييد، وهكذا الرجل ينفق على أهله يؤدي ما أوجب الله عليه يؤجر على أدائه

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع إذا أُكل منه، برقم (٢٣٢٠)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الزرع والغرس، برقم (١٥٥٣).

الواجب؛ لأن نفقتها واجبة فما أداه من الواجب يُؤجَر عليه؛ ولكن إذا كان مع ذلك يحتسب ذلك، ويعتبر ذلك عملًا صالحًا، ويرجو فيه ثواب الله، ويستصحب النية في إنفاقه، وفي تصرفاته كان أجره أكثر، وكان فضل الله عليه أعظم؛ لأنه قرن مع أداء الواجب نية صالحة، وهي احتساب الأجر عند الله ﷻ، في رحمة هذه المرأة، والإحسان إليها، وقصد عفتها أو قصد أداء ما أوجب الله عليه لها إلى غير ذلك، وهو يحتسب في ذلك ثواب الله ﷻ، وهو مع ذلك مؤد للواجب.

وهكذا مع العمال، وهكذا مع الدواب، فإذا أدى حق الدواب، وحق العمال فهو مأجور، وإذا احتسب ذلك عند الله يرجو ثواب الله في إعطائهم حقوقهم، وعدم إيذائهم، وعدم تأخير حقوقهم، وهكذا في الدواب كان له أجر في ذلك، كقصة المرأة التي لما رأت الكلب الذي يأكل الثرى من شدة العطش نزلت وجلبت له الماء في مُوقها حتى غفر الله لها بسبب ذلك، وهكذا الرجل الذي وقع له مثل ذلك.

فَسُقي الحيوانات فيها أجر، وإطعامها فيه أجر، الحيوانات المعصومة فيها أجر؛ ولكن إذا كان ذلك عن نية، وعن احتساب، وعن باعث ديني، صار أجره أعظم وأفضل، غير العمل العادي الذي فعله من غير إحضار النية فهذا أولى من التقييد، فالعمل مع النية الصالحة، العمل الصالح، والعمل الواجب مع النية الصالحة والاحتساب الحاضر يكون أجره أعظم، ويكون فضله أكثر، وإذا لم يستحضر النية والاحتساب؛ ولكنه أداه على العادة المتبعة في أداء الواجبات، وأداء الحقوق صار له أجر من أدَّىٰ الحقوق، وأدَّىٰ الواجبات، وإن فاته أجر الاحتساب الذي يحصل للآخر إذا استحضر احتساب الأجر في ذلك، وقصده أداء الحقوق، وقصده عدم إيذاء صاحب الحق، وعدم بخسه حقه، فهو يحتسب ذلك مع كونه أمرًا واجبًا قد أداه.

وهذا والله أعلم هو الأقرب من قول من قال بالتقييد، وعلى كل

حال فالنية شأنها عظيم، والاستحضار للنيات في كل الأعمال أولى، وأفضل، وأحوط، ليحصل له كمال الأجر وثواب العمل على الوجه الأكمل؛ وليخرج من خلاف من قال إنه بدون إحضار النية لن يفوته هذا الأجر، وأن الأعمال التي أطلقها الرسول ﷺ، مقيدة بما قيده به الرسول عليه الصلاة والسلام من النية.

ثم الإنسان إذا تأمل أحوال العالم، وتأمل الأعمال وتفاوتها، عرف يقينًا أن استحضار النية بالأعمال له شأن عظيم، وأنه يدل على كمال الإيمان، وكمال الإخلاص، وأيضًا من الرغبة فيما عند الله ﷻ، حتى صار يستحضر النية في دقيق أعماله وجليلها، وفي الأعمال العادية وغيرها، فيكون ذلك دليلًا على كمال الإخلاص، وكمال الإيمان، وقوة الرغبة فيما عند الله، واستحضاره أيضًا أن ربه جلَّ وعلا يحب من عبده أن يستحضر هذه الأمور، وأن تكون على باله حتى تكون أعماله كلها دقيقها وجليلها صادرة عن إخلاص لله، ورغبة فيما عنده، ومحبة لما يحب، وكراهة لما يكره.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وجزى أخانا فضيلة الشيخ عبد العزيز خيرًا، وجعلنا وإياكم من المسارعين إلى كل خير، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن مضلات الفتن إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[١]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المباركات فيما يتعلق بموضوع عظيم، ألا وهو موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير، ولقد أحسن، وأجاد فيما ذكر، وفيما رغَّب فيه.

ولا ريب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم الفرائض، وأعظم الواجبات، والواجب على جميع المسلمين على حسب طبقاتهم، وعلى حسب قدراتهم أن يقوموا بهذا الواجب، كل بقدر طاقته، وما يسر الله له؛ لأن في هذا الواجب إذا قام به المسلمون استقام أمرهم، وصلح مجتمعهم، واستحقوا النصر من الله ﷻ، والتأييد والتمكين في الأرض كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

فالقيام بهذا الواجب، وبهذه الأمور، ومن العلماء، ومن كل مسلم على حسب طاقته وقدرته، من أعظم أسباب الصلاح، والسعادة، والنصر

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رحمه الله على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٦).

على الأعداء، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، والإعراض عن ذلك والغفلة عن ذلك من أسباب حلول العقوبات والنقمات، وغضب الله ﷻ، وفساد المجتمع، وظهور الباطل، واختفاء الحق، كما قال الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

هذا يوجب الحذر العظيم، وقد لعنوا على تقصيرهم وعدم التزامهم بهذا الواجب، بيَّن أسباب اللعن ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ هذا تفسير قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾، ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾.

فالمقصود أن إهمال هذا الواجب وإضاعته له خطره العظيم، وعواقبه الوخيمة، وكل من له أدنى بصيرة يعرف ذلك في مجتمعه على اختلاف طبقاتهم، واختلاف أحوالهم، وثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**»(١).

وقد وصف الله المؤمنين والمؤمنات بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فجعل هذا الواجب أهم صفاتهم بعد ما وصفهم بالولاية فيما بينهم أخبر أنهم أولياء، ثم قال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقدمه على الإيمان مع أن الإيمان هو الأصل الأصيل، وهو الأساس العظيم الذي لا يصلح العمل إلا به؛ لكن لعظم الأهمية،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢ و٥ و٩)، وابن ماجه من حديث قيس بن أبي حازم رضي الله عنه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥١٤٢) وفي الصحيحة، برقم (١٥٦٤).

ولعموم المصلحة في إقامته وفي عموم الهلكة والخسارة في إهماله، والمعروف كل ما أمر الله به ورسوله، والمنكر كل ما نهى الله عنه ورسوله، فهو أخص من تعريف العبادة، المعروف والواجبات التي أمر الله بها، وفرضها على عباده يجب الأمر بها، والدعوة إليها والإنكار على من تركها، والمنكر كل ما نهى الله عنه ورسوله، وحرمه الله على عباده يجب النهي عنه، والحذر منه، والتحذير منه، ولا يجوز لأحد أن يتعلل بكذا وكذا؛ بل يجب أن يشمر عن ساعد الجد، وأن يقوم بما يلزمه حسب طاقته؛ لأن الأمر خطير، وعظيم؛ لكن مثل ما سمعتم؛ لا بد من العناية بالعلم؛ لا بد أن يتثبت في الأمر، ويكون على بصيرة فيما يأمر به وفيما ينهى عنه، فقد يُنكر ما ليس مُنكرًا، وقد يأمر بما لا يجب الأمر به لجهله؛ ولا بد من البصيرة أيضًا بما يترتب على ذلك، بصيرًا بحال الناس وطبقاتهم، عند الأمر والنهي، فقد يأمر بالمعروف ويترتب عليه ما يضر المجتمع، قد ينهى عن منكر ويترتب عليه ما يضر المجتمع، وقد يترتب عليه ما هو أنكر منه، ولا سيما عند وجود الفتن، واختلاف أحوال الناس، فلا بد من عناية ونظر فيما يترتب على أمره ونهيه، والأصل هو وجوب الأمر والنهي، هذا هو الأصل، فعند الاشتباه وعند تغير الأحوال يتبصر، ويتثبت حتى يُقدم على بينة، وعلى بصيرة، راجيًا أن يكون إنكاره في محله، وأمره في محله، وليس عليه إلا أن يجتهد، ويتحرى الحق، والله سبحانه ولي التوفيق والإعانة.

فالآمر والناهي يتحرَّى ويتبصر فيما يأمر به وينهى عنه، ويتحرى الحالة بحال الناس وبحال المجتمعات، فإذا رأى أن هذا المنكر ينبغي أن يتولى إنكاره فلان، واستطاع أن يأتي فلان ويقول يا أخي هذا المنكر فعله فلان، ويفعله فلان وأنت أولى بإنكاره، وربما أخذوا منك أكثر من غيرك فسعى إلى ذلك لعله ينجح في ذلك، وهكذا المعروف، المقصود أن الناس في هذا أقسام وطبقات، فقد يقبل الحق من فلان ولا يقبله من فلان، فإذا سعى إلى أبيه أو إلى أخيه الكبير، أو إلى غير ذلك مما يظن أنهم إذا قالوا

أخذ منهم، وامتثل أمرهم ذلك الذي يفعل المنكر، ولم يترتب على ذلك ما يخشى منه سعى إلى ذلك وكان هذا نوعًا من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد يكون بعض الناس إذا أُمر بمعروف ترتب على ذلك من الشر، والفساد، والغضب، والأذى ما لا يعلمه إلا الله، وقد ينهى عن منكر فيتعاطى ما هو أنكر وأشد، وأضرُّ على المسلمين؛ ولكن الغالب والحمد لله هو أن من تحرى هذا الأمر، وصدق فيه، وأخلص فيه، ورفق به، ولم يأتِ الأمور بعنف، وشدة؛ بل بالأساليب الحسنة، والإخلاص لله، والصدق في ذلك، فالله جل وعلا نصيره، ووليه، ومعينه ﷻ، والغالب بإذن الله أنه لا يترتب على عمله، وعلى ما يقوم به إلا الخير، والهدى، والصلاح، بسبب إخلاصه، وصدقه، ورغبته للخير، وتحريه للحق.

وإنما تؤتى الأمة من جهة من يأمر، وينهى على غير بصيرة، أو بطرق غير مناسبة من جهة العنف، والشدة، واستعمال الألفاظ البذيئة التي ينفر منها المأمور، والمنهي، ويترتب عليها ما لا تحمد عقباه والله يقول ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالأمر والنهي دعوة إلى الله دعوة وإرشاد؛ لكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر له صفة أقوى من صفة الداعي؛ لأنه يأمر بالمعروف ويؤكد في فعله، وينهى عن المنكر ويؤكد في تركه، وقد تكون له في الغالب قدرة على التنفيذ، بخلاف الداعي، فكل داع آمر وكل آمر بالمعروف وناهٍ عن منكر داع إلى الله ﷻ، وليس كل داع إلى الله جلَّ وعلا يصدق عليه حد الآمر والناهي من كل الوجوه.

فالآمر والناهي أخص، في هذا الأمر العظيم، وأقدر على الأمر العظيم من عموم الدعاة، فالدعاة يبينون، ويرشدون، ويوضحون ما هو معروف، وما هو منكر، ويرغبون الناس في المعروف، وينهونهم عن المنكر، ويرغبونهم في تركه، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قد تكون له قدرة فوق ذلك؛ لإزالة المنكر باليد فكان في هذه الحالة أقوى

من الداعي، وله خصوصية غير خصوصية الداعي في هذا الحال، ويشترك مع الداعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان، فهو مع الداعي في هذا سواء، فالدعاة والآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر كلهم يدعون إلى الله باللسان؛ ولكنه يزيد عليه الآمر والناهي بما يستطيعه من إزالة المنكر، والإلزام بالمعروف لما له من القوة على ذلك، والقدرة على ذلك، إما بسبب مقامه في أهل المعروف، وأهل المنكر، أو بسبب ولاية وُكل إليه في ذلك استطاع بهذا الأمر.

فالحاصل أنهما مشتركان في الدعوة إلى الله ﷻ، والتبليغ عن الله وإنكار المنكر والأمر بالمعروف، وكل منهما على خير عظيم وعلى جانب كبير من الفضل، ولهما مثل أجور من هداه الله على يديهما؛ ولكن الآمر والناهي وظيفته أشد وأخطر، وتعبه أكثر، والواجب عليه أعظم؛ لأنه يجب عليه أن يزيل المنكر إذا استطاع، وأن يلزم بالمعروف إذا استطاع، لما لديه قدرة وظيفية أو قدرة محلية في محله، كشيخ القبيلة أو عميد الأسرة وما أشبه ذلك ممن له قدرة على إزالة المنكر والإلزام بالمعروف، ولا ينبغي للمؤمن أن يحقر نفسه في هذا الباب؛ بل ينبغي له أن يكون شجاعًا حريصًا على الخير راغبًا فيه أينما كان؛ لكن بالأسلوب الحسن، والحكمة، والصبر، والمصابرة، والحث على الألفاظ الطيبة لعل الله ينفع بذلك، ولعل الله يجعل فيما يقوم به الخير والبركة.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يوفقنا وسائر المسلمين لما يرضيه ويجعلنا وإياكم من الموصوفين بهذا الوصف العظيم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وأن يجعلنا جميعًا من الهداة المهتدين، ومن الصالحين المصلحين، وأن يجزي أخانا الشيخ عبد الله بن صالح عن كلمته خيرًا، وأن يوفقنا جميعًا لما فيه صلاح العباد والبلاد إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

الفرق بين الدارين

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الفنتوخ، هذه الكلمات الطيبات المنبهات على أمور عظيمة جدير بالمؤمن أن يهتم بها، وأن يعنى بها، ألا وهي الفرق بين الدارين: دار الدنيا، ودار الآخرة، وما ينبغي للعاقل أن يعمله لهذه ولهذه، وأن الناس في ذلك أقسام لا يحصيها إلا الله ﷻ، منهم من تغلب عليه العاجلة ومنهم من تغلب عليه الآخرة، ومنهم من ضاع عليه أمر هذه، وأمر هذه، ومنهم من حظه من الدنيا قليل ولا حظ له من الآخرة، فالحاصل أن الناس في ذلك أقسام كثيرة لا يحصيها إلا الله ﷻ.

والله سبحانه نبَّه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيِّه الأمين على حقارة هذه الدار، وسوء نظر من آثرها وقلة بصيرته وأنها غير جديرة بإيثار مع ما فيها من أنواع النعم الكثيرة؛ لكنها نعم زائلة وبعدها ما ينكدها من العقاب عليها لمن لم يشكر الله عليها، ولم يقم بحقها، فهي دار لا تزن عند الله جناح بعوضة؛ ولهذا أعطاها من أحب ومن لا يُحب، وصار حظ الكفرة منها أكثر؛ ولكنها دار ذات أهمية، ولها شأن عظيم في حق

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رحمه الله على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٦).

المؤمن الذي يعمرها بطاعة الله، ويزرع فيها الخيرات، ويعمل فيها الصالحات، ويصل فيها الأرحام، ويجاهد فيها في سبيل الله، وينفق في وجوه البر، ويتقي ربه، ويحسن إلى إخوانه، ويواسي الفقير، والمسكين، إلى غير ذلك، فهي دار عظيمة لمن زرع فيها الخير، وجعلها دار إعداد، ودار عمل، ودار اجتهاد في الخير، فهي نِعْمَ الدار لهذا الصنف من الناس؛ لأنهم اتخذوها مزرعة للآخرة، وأعدوا فيها العُدة للقاء ربهم من سائر أنواع الخير، والعمل الصالح؛ ولهذا يقول جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]، ويقول ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، فأطلق فيها بين الآيتين وقيَّد في آية بني إسرائيل فقال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

فأخبر سبحانه أنه لا يعجل له إلا ما شاء، وما أراد ﷻ ليس كل من أرادها تحصل له، كم من خلائق أرادوها ولم تحصل لهم، ونعرف من ذلك ما لا يحصى لمن أرادها وكدح لها، وجاهد في طلبها فعاش فقيرًا، ومات فقيرًا؛ فليس كل من طلبها تحصل له؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]، فمن أراد الآخرة؛ يعني: صادقًا، وسعى لها سعيها عمل لها عملها عن إيمان وعن صدق وإخلاص، فهذا له الجزاء العظيم الوافر من عند الله ﷻ.

وهذه حال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وحال أتباعهم بإحسان، بخلاف حال الأولين الذين آثروا الدنيا، ومالوا إليها، قال تعالى في

حقهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

الحاصل أن الواجب على العاقل، المكلف أن يؤثر الدار الأخرى؛ لأنها دار النعيم، دار البقاء والدوام، وهي الجنة، وأن يعمل لها أعمالها، وأن يتخذ هذه الدار وسيلة، ومعملًا، ومزرعة؛ لتلك الدار، فلا يقصدها لنفسها، ولا يتخذها لنفسها، ولا يريدها لنفسها؛ ولكن يريدها دارًا تُزرع فيها الأعمال الصالحات، يتقى فيها الرب، يُعد فيها الخير، يجتهد فيها فيما يوصل إلى دار الكرامة والنعيم، هكذا يكون المؤمن في حياته يعد هذه الدار للآخرة، والله خلقها لذلك، ما خلقها لتؤثر على الآخرة، وما خلقها ليستعين بها العبد على الباطل وما خلقها ليعدها لشهواته فقط لا، خلقها ليستعين بها العبد على طاعة الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، لماذا؟

خلقها لنا لنستعين بها على طاعته: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، فهي خُلقت ليستعين بها المؤمن على طاعة الله؛ ليعمل فيها الصالحات ليتقي فيها ربه، ليصل فيها رحمه، ليحسن فيها إلى عباد الله، ليجاهد أعداء الله طاعة لله وإرضاء له، هكذا المؤمن في هذه الدار يقلب نفسه، ويصرفها في طاعة الذي خلقها وهيأها له ﷻ، يرجو فضله وإحسانه ويخشى غضبه وعقابه جلَّ وعلا، فهذا هو الذي نعم الدار داره ونعم العمل عمله؛ لأنه اتخذها مزرعة للآخرة ومعملًا للآخرة، ولم يتخذها وطنًا، ولم يُردها لذاتها، ولشهواتها، لا، وإنما أرادها ليعمل

فيها ما يرضي الله؛ ليتخذ فيها مركبًا له يوصله إلى الآخرة، هذا هو السعيد الناجي؛ ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: **«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»**[1].

هكذا الدنيا **«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»** فهي دار امتحان، ودار اختبار، ودار عمل، ثم قال: **«فَاتَّقُوا الدُّنْيَا»**؛ يعني: اتقوا شرها، وفتنتها وما تتبع إليه من إيثار شهواتها وحظوظها من مأكلها، ومشربها، ومنكحها، ومركبها، ومسكنها، وغير ذلك، واجعل من ذلك طريقًا للآخرة، ووسيلة للآخرة، هكذا المؤمن، وهكذا ذو العقل السليم، والفطرة السليمة وجاء عن عتبة بن غزوان أنه خطب الناس وقال رحمه الله: **«ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا»**[2].

فهذا هو المعروف الذي نعرفه أنه من كلام عتبة رضي الله عنه: **«ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا»**؛ يعني: آثروا الآخرة وأعدوا لها العُدة.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم (٢٧٤٢).

(٢) لم أجد عزوه لعتبة ولكن علقه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد حديث (٦٤١٦)، ووصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٣٣٧).

فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم اتخاذها طريقًا للآخرة، ومعملًا للآخرة وأن يعيذنا وإياكم من شرها، وفتنتها، وأن يرزقنا وإياكم وسائر المسلمين الاستقامة على طاعته، والمنافسة لما يرضيه، ويقربنا إليه والحذر من هذه الدنيا وشرها، وفتنتها وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يولي على المسلمين خيارهم ويُكثر بينهم دعاة الهدى، وأن يجزي عنا أخانا فضيلة الشيخ عبد الله خيرًا على كلمته، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

❊ ❊ ❊

حاجة الإنسان إلى الرسالة الإلهية

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[(١)]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المفيدة، من صاحب الفضيلة الشيخ عثمان جمعة، فيما يتعلق بحال الإنسان عند فقد الرسالة، وعدم البصيرة بالدين، وعندما يوفقه الله بمعرفة ما جاءت به الرسل، ويكرمه الله باتباع ذلك، فرق بين الحالتين عظيم.

جزاه الله خيرًا وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

............[(٢)]

التي رأوها أهلًا لأن يفرق، فلما هداهم الله للإسلام، وأكرمهم بالإسلام صارت لهم حال أخرى.

لا ريب أن الإنسان ضعيف البصيرة، قليل الإدراك، عندما يفقد دعوة الرسل، وعندما يجهل سُنَّة الله في عباده، فتكون أفكاره ورغباته حسب ما يدركه من قومه، ومن جماعته، ومن أهل عصره، وتكون مفاخرته ودعواه ومسارعته بالشيء الذي أدركه وفهمه من قومه، وجماعته، وأدرك عليه آباءه وأجداده فهو يفخر بذلك، ويدعو لذلك، ويسارع لذلك، ومتى أدرك شيئًا من الأمور الأخرى التي يدركها الإنسان

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٧).

(٢) هنا انقطاع.

بتفكيره، أو باتصاله بآخرين، من صنعة، أو عمل، أو اختراع، أو غير ذلك، فخروا بذلك أيضًا، ويقول: إنه أدرك كذا، أدرك كذا، أدرك كذا، وحصل على كذا، كما قال الله ﷻ، في أمثال هؤلاء: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ص: ٧]، فليس عندهم إلا ما أدركوا عليه أسلافهم، وما أدركوا عليه أهل عصرهم، فهم به يفخرون إن كان في رأيهم حسن، وعنه يبتعدون إن كان في رأيهم ليس بحسن، على حسب ما أدركوا عليه أهل بلادهم، وأهل منطقتهم، وما أدركوا عليه آباءهم وأسلافهم، وما بلغهم عنه.

فلما جاء الله بالإسلام، ورحم به العباد، وبعث الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام بالدعوة العامة إلى الثقلين صارت للعرب وغيرهم أحوال أخرى، وأدركوا ما في دين الله من الخير العظيم والعزة للإنسان، والكرامة، وما يهدف إليه من أمر آخر، غير ما عرفوه، وغير ما عاشوا عليه من أمر الآخرة، والسعادة الأخروية، وما يدعو إليه من أسباب جوار الرب في دار الكرامة، في دار آمنة، في حياة طيبة لا يعتريها مُكدِّرات، ولا موت فصارت لهم أهداف أُخرى، وأعمال أُخرى، وصارت لهم أخلاق أُخرى، كانوا في السابق يفخرون بالأحساب والأنساب ويتعلقون بالنجوم، والكهنة وبغير ذلك، ويحاربون عند أدنى حادث، وعند أدنى عثرة، ويوالون على غير شيء، ويعادون على غير شيء؛ بل على حسب ما أدركوا عليه أسلافهم، وآباءهم، فلما رحمهم الله بالإسلام وأكرمهم بالإسلام عرفوا أن هذه الدار ليست أهلًا لأن يوالى عليها ويعادى عليها، ويُسعى لأجلها، ويُبغض لأجلها، ويحب لأجلها، وإنما هي متاع، وإنما هي وسيلة، وذريعة لأمر وراء ذلك، فهي برزخ يراد فيها عمل؛ لإدراك سعادة عظيمة وحياة أخرى كريمة، فعملوا فيها بما شرع الله، وجاهدوا نفوسهم لله واستعانوا بها على طاعته فلم يعملوا

لها؛ ولكنهم لم يضيعوها ولم يهملوها؛ بل عملوا لهذا؛ ولهذا، وجعلوا معظم القصد، ومعظم الهمّ ما يتعلق بالآخرة؛ لأن هي المقصودة، وهي دار الأمان، ودار السعادة، ودار الحياة الطيبة الدائمة، وعاملوا الدنيا معاملة من يستعين بها على حصول الأخرى، والسعادة الأخرى، فعاملوها معاملة الوسائل، والذرائع، والأدوات لا معاملة الغايات التي ينشدها المصلحون، وينشدها العقلاء.

وبيَّن الله لهم ذلك، وأن عليهم ألا يضيِّعوها؛ بل عليهم أن يستعينوا بها على طاعة الذي خلقها لهم، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، هؤلاء هم الأخيار، وهم الذين جمعوا بين الخيرين: خير الدنيا، وخير الآخرة، وهم الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام، في الحديث الصحيح: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**»[1] الحديث، فجمعوا بين هذا، وهذا، أخذوا من الدنيا ما يعينهم على طاعة الله، وما يمكنهم من جهاد أعداء الله، وأعدوا العدة، وأخذوا الحذر، وجاهدوا في سبيل الله، وصبروا نفوسهم على طاعة الله، وعلى صحبة الأخيار من عباد الله، ولم تشغلهم الدنيا وشهواتها وحظوظها العاجلة عن مطلبهم الأعلى، وعن هدفهم الأسمى.

هكذا يكون الأخيار، هكذا يكون أهل البصائر، فلم يضيعوا الدنيا ويعرضوا عنها، ويسألوا الناس، ويحتاجوا إلى الناس، ولم يُقبلوا عليها،

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤)، وابن ماجه في كتاب السُّنَّة باب في القدر، برقم (٧٩)، والإمام أحمد (٢/ ٣٦٦ و٣٧٠).

ويُشغلوا بها كفعل الأكثرين الذين صدَّتهم الدنيا عن الآخرة، وصارت أكبر همهم، وأغلب قصدهم، فشغلوا بها عن الآخرة، وصارت نصيبهم، وحظهم إلى الله؛ ولكنهم جمعوا بين هذا وهذا، وجعلوا الأولى خادمًا للأخرى وطريقًا للأخرى، ووسيلة إلى حصول الأخرى، والله عز وجل يعطي هؤلاء وهؤلاء كما يشاء سبحانه وتعالى حسب حكمته وسُنَّته بعباده، ولو أن من أضاع الدنيا وطلب الآخرة لا يعطى شيء؛ لكانت المصيبة أعظم، ولو أن من أقبل على الدنيا وأرادها وأعرض عن الآخرة لا يعطى شيء لكان الناس كلهم مسلمين، ودخل الناس كلهم في دين الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

فلا بد من اختبار وامتحان، فيبتلي هؤلاء بالسراء، وهؤلاء بالضراء، وهؤلاء بالسراء والضراء، حتى يتميز الصادق من الكاذب، وطالب الحق من غيره.

ففي بعض الآيات يقول جلَّ وعلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]، هذا واقع لكثير من الناس فيما مضى، وفي الحاضر، أُعطوا من الدنيا ما أُعطوا من الشيء الكثير، وحُرموا الآخرة، وماتوا على غاية الشقا نسأل الله العافية، وهكذا في الآية الأخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وفي بعض الآيات يبين ما يقيد هذا الإطلاق وأنهم لا يعطون كلما أرادوا، وإنما يعطون ما شاء الله لهم سبحانه لحكمته العظيمة، وقدرته العظيمة، وعلمه الشامل، حيث قال سبحانه في سورة بني إسرائيل: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، هذا حال من أراد الدنيا وهي العاجلة، يعطى ما أراده الله وما شاء الله؛ لا كل ما أراد، قد يريد شيئًا كثيرًا، يريد قصورًا كثيرة، وملايين كثيرة، وزوجات جميلات حسان إلى غير ذلك؛ ولكن لا يحصل له ما أراد، وإنما يعطيه الله ما شاء ﷻ، فليس كل مَنْ أراد الدنيا حصلت له؛ بل على حسب حكمته سبحانه ومشيئته وقدره السابق: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩].

هذا هو الرابح هو السعيد: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، هؤلاء هم الذين سعيهم مشكور، وهم على خير عظيم بسبب إيثارهم الآخرة، وعملهم لها عن إيمان وصدق، وإخلاص ورغبة، فهؤلاء أدركوا المراد، ولم يحرموا من الدنيا ما يعينهم على طاعة الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فأعطاهم من الدنيا ما يعينهم على طاعته، وما يصلون به أرحامهم، وما يواسون به الفقراء والمحاويج، وما يجاهدون به في سبيل الله، وأعطاهم الأجر كله الأكبر والأعظم؛ لأنهم جمعوا بين الأمرين طلبوا الدنيا من طريقها وأرادوها من سبيلها على وجه لم يشغلهم عن الآخرة، ولم يصدهم عن الآخرة؛ بل استعانوا بها على طاعة الله، وجاهدوا بها أعداء الله، وأعدوا منها ما يعينهم على مقارعة الأعداء، ففازوا بهذا وهذا، وأعطاهم الله هذا وهذا، وربحوا في الدنيا والآخرة بسبب إيمانهم، وإخلاصهم، وصدقهم، ورغبتهم فيما عند الله ﷻ، وعلمه سبحانه أنهم ما أرادوا الدنيا لذاتها، وإنما أرادوها لغير ذلك، أرادوها للآخرة، فأعطاهم الله منها ما يشاء، وأعانهم على أمر الآخرة، فصارت لهم السعادة، والسيادة، والقيادة في هذه الدار مع ما أُعطوا من الدنيا مما يعينهم على طاعة الله، فلا يحرموها، ولم تكن أكبر همهم؛ ولكنهم أخذوها ليستعينوا بها على طاعة مولاهم وليجاهدوا بها

أعداءهم، وليحسنوا بها على عباد الله، ويواسوا بها من احتاج إليها من إخوانهم.

هكذا سُنَّته في عباده ﷻ، فالمؤمن لا يحرم نفسه حظه من الدنيا فليأخذ نصيبه ويستمتع منها بما يسر الله له مما لا يشغله عن الآخرة؛ ولهذا سمعتم إنكاره ﷺ على من قال: أما أنا فأصوم ولا أُفطر، وقال الآخر: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، وقال الآخر: لَا آكُلُ اللَّحْمَ إلى غير ذلك، فخطب الناس عليه الصلاة والسلام وحمد الله وأثنى عليه وبيَّن لهم خطأهم مما قالوا: قال: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[1]؛ لكن خشية الله وتقواه لا تمنع تعاطي ما أباح الله، والأكل من الطيبات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، خشية الله ومراقبته وتعظيمه كل ذلك لا يمنع من تعاطي ما أباح الله والتمتع بما يسر الله في هذه الدار والاستعانة بذلك على طاعة المولى سبحانه؛ فلهذا قال: «**لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»، بيَّن لهم عليه الصلاة والسلام أنه لا مانع من الجمع بين هذا وهذا؛ بل يجب الجمع بين هذا وهذا؛ ولا يجوز التبتل للعبادة، وطرح الأسباب وإضاعتها، فإن هذا يفضي إلى إضاعة نفس الإنسان حتى لا يقوم بواجب جهاد، ولا دعوة، ولا أمر

---

(١) يشير بذلك للحديث الذي روه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، برقم (١٤٠١)، والنسائي في كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، برقم (٣٢١٧)، وهذا نصه أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

بمعروف ولا نهي عن منكر؛ لأن هذا الجسم إذا لم يُعْط حقه ضاع وهلك؛ ولأن المسلم محتاج إلى أن ينفع أخاه وإلى أن يأخذ بيد أخيه عند الحاجة، ومحتاج إلى أن يُعِدَّ العُدَّة لأعدائه، فبماذا يعد إذا ضيع الدنيا ولم يلتفت إليها؛ ولهذا ذكر الله في وصية الصالحين لقارون فقال: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

أحسن إلى الناس، وأحسن في عبادة ربك فالإحسان يشمل طاعته لله واتباعه لموسى وإحسانه للناس: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]، بالمعاصي والشرك، والتكبر، وعدم اتباع الرسل هذا هو الفساد العظيم، والإعراض عما جاءت به الرسل والتمتع بالشهوات التي حرم الله، هذا هو الفساد العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، فالشرك والمعاصي فساد، والتوحيد والطاعة صلاح.

رزقنا الله وإياكم التوفيق والهداية، والفهم عن الله وعن رسوله، كما أراد سبحانه، وكما بيَّن لعباده، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن القول على الله بغير علم، وجزى أخانا الشيخ عثمان جمعة خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

محاسبة النفس

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

هذه كلمة مباركة وجَّهها إليكم أخوكم للتحذير، والترغيب والترهيب ليقوم كل واحد منا محاسبة نفسه، وجهادها؛ ليستقيم على طاعة الله، ويبتعد عن محارم الله، ويقف عند حدود الله، ويتعاهد من حوله، من أهل، وأولاد، وجيران، وزملاء، وغيرهم بالنصيحة والتوجيه؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، وعدهم بالرحمة على استقامتهم، وطاعتهم، وإيمانهم، وتقواهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فالإنسان على خطر في المخالفة لأمر الله بالمعاصي، وأعظمها

(١) تعليق على كلمة لأحد الدعاة في مسجده بالطائف.

الشرك بالله، ثم البدع، ثم بقية المعاصي، فالواجب الحذر من جميع ما نهى الله عنه، من شرك، وبدعة، ومعصية، كما أن الواجب أيضًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع اجتهادك في صلاح نفسك، أنت أيضًا مطالب بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجو ثواب الله وتخشى عقاب الله، وتبتعد عن أن تصيبك الفتنة، والفتنة الشرك، هي أعظم الذنوب: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بمعاصيهم وسيئاتهم إما عاجلًا، وإما آجلًا.

فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم الاستقامة والتواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، وأن يجزي أخانا عن كلمته خيرًا، ويجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن مضلات الفتن، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

وجوب المبادرة بالتوبة بعد الإلمام بالذنب

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[(١)]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة والتنبيه العظيم على ما يتعلق بطريقة القرآن الكريم في اتباع الذنوب بذكر التوبة، وأن ذلك من الدلائل على وجوب المبادرة بالتوبة بعد الإلمام بالذنب. من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله التويجري، جزاه الله خيرًا.

ولا شك أن الموضوع مهم، وجدير من كل مؤمن، ومن كل مؤمنة بالعناية، والبدار بالتوبة، فالتوبة هي فرض العمر، وفرض الوقت دائمًا، الواجب على كل مسلم، وعلى كل مسلمة لزوم التوبة دائمًا، والأمر كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[(٢)]، بني آدم؛ **يعني**: وبنات آدم نبَّه بأحد الصنفين على الآخر، كل بني آدم وبنات آدم كلهم خطاء، كلهم تقع منهم السيئات، «**وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»، الذين لا يُصرُّون على السيئة بل يبادرون بالتوبة منها لقباحتها وشناعتها، وسوء عاقبتها؛ ولأن المؤمن دائمًا لا يدري متى يهجم عليه الأجل عنده إيمان، وعنده يقين أن الأمر بيد الله، وأن

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رحمه الله على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٤٧).

الآجال بيد الله، لا يعلم العبد متى تنزل به المنية، فجدير به ألا يزال تائبًا في ليله ونهاره، وفي جميع ساعاته وآنائه.

هكذا المؤمن، يلزم التوبة دائمًا لعلمه وإيمانه بكثرة ذنوبه سواء انتبه لها، أو لم ينتبه فهو خطاء، وفي آيات القرآن الكثيرة، مثلما قال فضيلة الشيخ عبد الله تعقيب الذنوب بالتوبة، وهذا واجب من وجوه كثيرة في كتاب الله ﷻ، وذلك للتنبيه على وجوبها، ووجوب المسارعة إليها، تارة بالحث عليها والترغيب بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٤]، وتارة بالأمر: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وتارة بالثناء على أهلها كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

فإذا علم العاقل هذا المعنى لازمه، واستقام عليه عن إيمان بأن ربه هو التواب، وعن إيمان بأنه في أشد الضرورة إلى التوبة، وعن إيمان بأنها فرض عليه، وعن إيمان بأن عاقبتها حميدة، عاقبة التوبة الفلاح، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وغفران الخطايا، فكيف يغفل العاقل المؤمن عن ذلك؟ لا يليق به أبدًا؛ ولا يليق بالمؤمنة أبدًا؛ لا يليق بهما جميعًا الغفلة عن هذا الأمر العظيم، في أي وقت، وفي أي مكان، وقد يقع منه بعض الذنوب ليس معقبًا بالتوبة، أو بالدعوة إلى التوبة أو بالاستغفار، وهذا لأن الأمر معلوم من الآيات الأخرى، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٢، ٣٣] الآيات، المقصود أن تعقيب الذنوب بالتوبة أمر

واقع، وكثير في كتاب الله ﷻ، والسر في ذلك واضح، والحكمة في ذلك واضحة، والتوبة عند أهل العلم تشمل أمورًا ثلاثة.

الإقلاع من الذنب هذا واحد؛ **يعني**: ترك الذنب والإقلاع منه، والحذر منه تعظيمًا لله، وحذرًا من عقابه سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني: الندم على ما فات منه ومضى يندم عليه، ويتأسف، ويحزن مما وقع.

الأمر الثالث: العزم الصادق ألا يعود في ذلك.

فإذا توافرت هذه الشروط الثلاثة محا الله الذنب عن العبد وغفر له، فإذا أتبع ذلك بالإيمان والعمل الصالح أبدل الله سيئاته حسنات، كما في آية الفرقان لما ذكر الشرك، والقتل، والزنى، قال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]، ومن تمام التوبة، والدلائل على صدقها إتباعها بالعمل الصالح، بالاستقامة، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وهناك **شرط رابع** من شروط التوبة فيما يتعلق بحقوق بني آدم؛ لا بد منه أيضًا وإلا يبقى الحق معلقًا، وذلك فيما يتعلق بالدماء، والأموال، والأبشار، والأعراض، فإن الله حرم على العباد دماءهم، وأموالهم، وأبشارهم، وأعراضهم، كما في خطبته ﷺ في حجة الوداع يوم النحر، قال: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[1].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «**رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»، برقم (٦٧)، ومسلم في كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم (١٦٧٩).

فمن شرط التوبة من ذلك، أن يؤدي الحق إلى صاحبه بتمكينه من القتل من القصاص، برد ماله إليه، أو باستحلاله من ذلك، واستباحته من ذلك فإذا سمح عن ماله، ودمه، وعرضه، وبشرته، سقط الحق، فإما القصاص، وإما السماح، وهكذا الأموال، إما ردها وإما السماح عنها، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»**[1]، وهذا خطر عظيم، وهو محتاج يوم القيامة إلى الحسنة الواحدة فكيف بالحسنات؟

فالواجب البدار بالتخلُّص من حقوق الناس أيضًا، في صحيح مسلم عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لأصحابه يومًا: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ»**. قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**[2] والعياذ بالله، أو كما قال عليه الصلاة والسلام هذا يدل على عظم الأمر، وعظم الخطر في حق المخلوق، وأن هذا يعتبر مفلسًا حيث

---

(١) أخرجه في كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبيِّن مظلمته، برقم (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨١)، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، برقم (٢٤١٨).

تنزع أعماله الصالحة، وحسناته يوم القيامة ويعطاها غيره، تدفع لغيره بسبب ظلمه، وعدوانه في الدنيا، ثم يُحمل أيضًا من سيئاتهم إذا لم تَفِ حسناته بحقوقهم، ثم يُطرح في النار بأسباب ذلك، فالواجب على كل مسلم ومسلمة الانتباه لهذا الأمر، ولزوم التوبة دائمًا في جميع الأوقات، وفي كل مكان، والحذر من حقوق الناس، والمبادرة بأدائها بالتمكين منها، وإيصالها إليهم، أو باستحلالهم منها؛ لأن ذلك واجب؛ ولأن خطر الترك عظيم، والعاقبة وخيمة.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يمن على الجميع بالتوبة النصوح، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يجزي أخانا الشيخ عبد الله خيرًا عن تنبيهه، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

صفات الداعي إلى الله ﷻ

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة المباركة التي تفضَّل بها صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد الفايز فيما ينبغي أن يكون عليه الداعية، أعني الداعي إلى الله ﷻ.

ولقد أحسن وأفاد فيما نبَّه عليه جزاه الله خيرًا، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

وقد نبَّه على جوانب أربعة ينبغي للداعي إلى الله أن يعنى بها كثيرًا وأن يهتم بها كثيرًا، قد نبَّه إخوانه فيما مضى من الكلمات على هذه البحوث والجوانب بكلمات متفرقة مفيدة في محلها، وقد جمعها صاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم وعُني بها وهي جديرة بالعناية.

الجانب الأول: جانب العبادة.

والجانب الثاني: جانب العلم.

والجانب الثالث: جانب الخلق والتواضع.

والجانب الرابع: سعة الأفق، والعناية بمشاكل الأمة وعدم اقتصاره على بلده أو قومه، أو دولته ونحو ذلك.

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رحمه الله على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٦).

وكل واحد من هذه الجوانب جدير بالعناية؛ ولا شك أن تقديم العلم والعناية بالعلم له أهميته العظيمة، فإن بالعلم يحصل ما بعده من الخُلق، والعبادة، وسعة الأفق لمشاكل الأمة، وقد سبق في هذا الباب كلمات كثيرة كلها حول العلم.

ولا ريب أن الداعي لا يمكن أن يكون داعية إلى الله، ولا يمكن أن يتحمل أعباء هذه المهمة، ولا يمكن أن يكون من أهلها في الحقيقة إلا إذا كان على علم، على بينة، على بصيرة، لما يدعو إليه، وفيما يحذر منه.

والله عز وجل، جعل القول عليه بغير علم فوق مرتبة الشرك لعظم خطره وما يفضي إليه من المفاسد العظيمة والخطر العظيم على الأمة كما قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وأخبر أن هذا الأمر مما يدعو إليه عدو الله الشيطان كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]، وحذر من هذا في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالداعي إلى الله في أشد الضرورة إلى التفقه والعناية بالعلم، والحرص على معرفة المسائل بأدلتها حتى يكون على بينة في جميع ما يدعو إليه وفي جميع ما ينهى عنه، وفيما ينبغي له أن يتخلق به، ولا ريب أن العلم يتلقى من كتاب ربنا، وسُنَّة نبينا عليه الصلاة والسلام، ويستعان على ذلك بما ذكره أهل العلم رحمة الله عليهم في كتبهم العظيمة الواسعة، فهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يعنوا بكتاب الله تلاوة، وتدبرًا، وتعقلًا، وعملًا، ومذاكرة، ومراجعة لكتب التفسير حتى يزداد علمهم

يومًا بعد يوم، وليلة بعد ليلة، وحتى يشجعوا إخوانهم في ذلك أيضًا، فإن المذاكرة بين الإخوة تعين كل واحد على أن يهتم بنفسه، وأن يعنى بما يلزمه، وكذلك العناية بالسُّنَّة ولا سيما الصحيحان فإنهما أعظم كتاب، وأشرف كتاب، وأنفع كتاب بعد كتاب الله ﷻ، فالصحيحان لهما أهميتهما العظيمة، وفيهما من العلم والخير الكثير، والفائدة العظيمة ما ليس في سواهما، ثم بقية كتب السُّنَّة الأربع، ومسند أحمد، وموطأ مالك وغيرها من كتب السُّنَّة، فطالب العلم في أشد الحاجة إلى أن يُعنى بكتب السُّنَّة مع العناية بكتاب الله ﷻ، ومع العناية بكتب التفسير، ولا سيما كتب أهل التحقيق من أهل السُّنَّة والجماعة؛ كالإمام ابن جرير والحافظ ابن كثير والبغوي ونحوهم.

وهذا بلا شك يُكْسِبُه علمًا كثيرًا ويجعله في صفوف أهل العلم بالله، وأهل البصيرة في حقه حسب ما يسَّر الله له من الاجتهاد والصبر والمصابرة، والعناية بهذا الواجب، وهكذا يُعنى بالعبادة والأخلاق التي تجعله يؤثر على الناس ويحسنون به الظن ويطمئنون إلى كلمته ودعوته، وكلما كان الداعي إلى الله أكثر عبادة، وأكثر خوفًا من الله ﷻ، وأكثر ملازمة للحق كان ذلك أبلغ في دعوته وأكمل في دعوته وأشد في تأثيرها، وقد عاب الله قومًا قصروا في هذا فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقال عن شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ﴾ الآية [هود: ٨٨].

هكذا ينبغي للعالم الذي يعلِّم الناس، والداعي إلى الله الذي ينذر الناس ويحذرهم، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والذي يأمر الناس بالخير، وينهاهم عن الشر، أن يحرص على أن يكون على مستوى

كبير رفيع في أخلاقه، وأعماله، وسيرته، وجهاده نفسه، وتخلُّقه بالأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والابتعاد عن كل ما يشينه من أخلاق، وأقوال، وأعمال، ومعلوم عند كل من له أدنى بصيرة، أن الداعي إلى الله، وأن العالم المعلم، وأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، كلما حسنت أخلاقه وحسنت سيرته، وطابق قوله عمله، وعمله قوله، كان ذلك أجدى في دعوته، وتعليمه، وإرشاده للناس، وكان ذلك أقرب إلى أن يتأثروا لدعوته، ويطمئنوا إلى ما يقول.

وأما التواضع والعناية بالأخلاق الفاضلة فهذا أيضًا معلوم، فالمتكبر مغرور مكروه ينفر منه الناس، ويكرهونه في كل مكان، وفي كل حديث، ولا شك أن الداعي إلى الله، وأن العالم من أولى الناس بالتواضع، كما هو خُلُق نبينا عليه الصلاة والسلام، ومن تواضع لله رفعه الله، والله سبحانه يقول: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، فأمر بخفض الجناح لأتباعه؛ لأهل الإيمان.

هكذا ينبغي للداعي إلى الله، ومعلم الناس الخير، وآمرهم بالمعروف، وناهيهم عن المنكر، أن يكون على مستوى رفيع من التواضع؛ وليراجع نفسه وحسابها ومناقشتها والبُعد عن التكبر والترفع على الناس أو مخاطبتهم بالمخاطبة التي لا تليق من العنف، والشدة، والكلمات البذيئة، كل هذا مما ينبغي أن يترفع عنه المعلم، والداعي، والآمر، والناهي، فيحرص على أن تكون ألفاظه طيبة، ووجهه طليق، وعباراته واضحة، وجانبه متواضع حتى لا يُرمى ولا يُذم بالتكبر، والتعاظم، والترفع والعُجب بنفسه، وحتى لا يقال: إن قوله يخالف عمله، وعمله يخالف قوله، ومتى شاع ذلك بين الناس ازدروه، وكرهوا سماع حديثه، ولم ينتفعوا به إلا ما شاء الله، فالتواضع له شأن عظيم، وطلاقة الوجه حسن الكلام، طيب الكلام، والعناية بأمور الناس وعدم احتقارهم،

وعدم افترائهم، كل ذلك له مكانته في التعليم والدعوة إلى الله ﷻ.

وأما ما يتعلق بالجانب الرابع، وهو سعة الأفق، وأن يكون بعيد النظر، بعيد الأفق، عظيم العناية بإخوانه في كل مكان، وألا يختص بدولته، أو بلاده، أو جماعته، فهذا أمر أيضًا معلوم، وحق، ولا بد منه، فإن الأمة شيء واحد، والمؤمنون شيء واحد، وجسد واحد، فالواجب على أهل العلم والدعوة إلى الله أن يجتهدوا في حل مشاكل الأمة والعناية بحاجاتها من جهة العلم والدين، والعقيدة، ومن جهة المشاكل الأخرى والحاجة والفقر والاضطهاد وغير ذلك حسب طاقته كل بما يستطيع، ومشاكل المؤمنين، مشاكلهم جميعًا في كل مكان، وما ينزل بهم من مضار، ومن شرور، واضطهاد، وحاجة وفقر وغير ذلك، كل ذلك يجب على إخوانهم أن ينتبهوا له وأن يشاركوهم فيه وأن يبذلوا الوسع في تخفيفه عنهم، وفي تحمل بعضه حتى يكونوا جميعًا جسدًا واحدًا، وبناءً واحدًا، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1]، وأبلغ من هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، قوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله تعالى في صفات الرابحين: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

فالقرآن الكريم دل على هذا المعنى بوجوه كثيرة، والسُّنَّة جاءت بذلك، في أحاديث كثيرة، وما ذاك إلا لعظم شأن هذا الأمر، فإن

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ (٤٨١)، وفي كتاب المظالم، باب نَصْرِ الْمَظْلُومِ، برقم (٢٤٤٦)، وفي كتاب الأدب، باب تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، برقم (٦٠٢٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِم برقم (٢٥٨٥).

المؤمن متى علم أن أخاه في بلاد أخرى وفي الدولة الأخرى يهتم به، يعتني بمشاكله اطمأن قلبه، وارتاحت نفسه، وصار أقرب إلى ثباته على الحق لأنه يعلم أن إخوانه قد اهتموا به وقد لاحظوا حاجته، وهم حريصون على حل مشاكله، وحاجاته.

فطالب العلم إنما يكون متأثرًا بمشاكل إخوانه وحاجات إخوانه، إذا بذل وسعه حسب الإمكان، أما مجرد أنه يعلم ذلك، ويتحدث بذلك، فلا يكفي، لا بد من سعيه، لا بد من عمل، حتى تحصل بذلك لهم الفائدة، ويحصل لهم بذلك حل المشكل، وقضاء الوطر، وسد الخلة، ومعلوم أن هذا يكون في أمور كثيرة، من كتابة مقالات تُحرك القلوب، وتدعو الأغنياء إلى المساعدة، وتدعو الحكام إلى العمل، وتدعو كل ذي خير إلى أن يقوم بمهمته، وهكذا المقالات التي تذاع، وتبث عن طريق التلفاز، وهكذا المؤلفات الخفيفة السائرة بين الناس، التي توزع ها هنا وها هنا، ينفع الله بها من يشاء، وهكذا الرسائل الخاصة، والبرقيات بينه، وبين إخوانه، وحثهم، وتحريضهم على أن يقوموا بواجبهم، وهكذا اتصاله بالمسؤولين في دولته، وفي بلاده، وفي غيرها، حسب ما له من الشهرة، حسب ما له من سمعة، وحسب ما له من تأثير، كل على قدر ما أعطاه الله ﷻ، وبهذا يحصل التأثر، ويحصل التأثير، ويتحقق سعة الأفق، ويتحقق قدر المستطاع في هذا السبيل، أما مجرد أن يعرف ذلك، أو يتحدث بذلك بين إخوانه من دون عمل، هذا لا يحصل به المطلوب، ولا يجدي شيئًا على إخوانه.

وأسال الله أن يجزي أخانا فضيلة الشيخ إبراهيم خيرًا عن كلمته وتذكيره، وأن يعين جميع المسؤولين، وجميع الدعاة إلى الله وجميع العلماء في كل مكان، نسأل الله أن يعين الجميع على أداء واجبهم، وعلى النصح لله؛ ولعباده، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**

وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم[١]، وجاء في بعض الروايات في إسنادها ضعف: **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم»**[٢].

وإن كان هذا اللفظ فيما بلغنا وما علمنا ضعيفًا؛ لكن معناه صحيح، معناه من جهة الأحاديث الصحيحة صحيح؛ لأن قوله: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** يشمل هذا كله؛ يعني: أدِّ النصيحة في كل وقت، في ليلك، في نهارك، في جميع أوقاتك، وهكذا ما ثبت في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ أنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[٣].

وهكذا قوله ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[٤]، وقوله ﷺ: **«فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»**[٥]، خرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

فهذه الأحاديث وأشباهها كلها دالة على المعنى الذي فيه نصح لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم في كل وقت، وفي كل حين؛ لأن بذلك بتوفيق الله وتسديده يحصل التعاون، ويحصل التذكير، أما مع الغفلة والإعراض فإن ذلك لا يكون على الوجه المطلوب.

---

(١) تقدم تخريجه في (ص١١٥).
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث حذيفة ﷺ (٧/ ٢٧٠).
(٣) تقدم تخريجه (ص١١٥).
(٤) تقدم تخريجه (١١٥).
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم (١٨٤٤)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، برقم (٣٩٥٦)، والنسائي في كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الامام وأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، برقم (٤١٩١)، والإمام أحمد (٢/ ١٦١و ١٩١ و١٩١).

رزق الله الجميع التوفيق والاستقامة على الحق والثبات عليه، وأعاذنا وإياكم وسائر المسلمين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن مضلَّات الفتن إنه سميع قريب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.

* * *

الدعوة إلى الله

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المباركات من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن حمد الشبانة في موضوع جدير بالعناية، في موضوع أهميته لا تخفى على الجميع، وهو موضوع الدعوة إلى الله ﷻ، ولقد أحسن فيما ذكَّر به، وأوضحه بشأن الدعوة، جزاه الله خيرًا، وزادنا وإياكم وإياه من العلم والهدى والتوفيق.

لا ريب أن الدعوة إلى الله ﷻ، هي منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد بعثهم الله بها لإصلاح الأمم، وإقامة الحجة عليهم، وبيان ما أوجب الله عليهم، وما حرم عليهم، وإرشادهم إلى سبيل النجاة، وتحذيرهم من سبل الهلاك.

ولقد بلَّغ الرسل عليهم الصلاة والسلام البلاغ المبين، ونصحوا الأمم، وأوضحوا لهم ما أمرهم الله به، ونهاهم عما يضرهم، وكل مؤمن يشهد للرسل بذلك، يشهد أنهم قد بلَّغوا الرسالة، وأدُّوا الأمانة، ونصحوا الأمة، عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم وأفضلهم، إمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فقد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رحمه الله على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٦).

فالواجب على أهل العلم، وهم خلفاء الرسل أن يقوموا بهذه المهمة، وأن يحافظوا عليها وأن يولوها أعظم عناية؛ لشدة ضرورة العالم إلى ذلك، فالجن، والإنس كلهم في حاجة إلى التعليم والتوجيه، والكافر، والمسلم في حاجة إلى التوجيه والتعليم كل الناس في حاجة، فالدعوة إلى الله جلَّ وعلا في كل وقت مهمة عظيمة، وواجب عظيم؛ ولكن في هذا الوقت بوصف أخص ووجه أخص وجوبها أشد وأعظم لانتشار الأمة وكثرة المشاكل بينها، وكثرة دعاة الضلالة، والملبسين بالحق بالباطل، وكثرة المنحرفين الذين تشعَّبت بهم الطرق، وصار كل واحد منهم يدعو إلى خلاف ما يدعو إليه الآخر، فما بين يهودية، ونصرانية، ووثنية، وبوذية، وشيوعية، وقاديانية، وغير هذا من أنواع طرق الضلالة والكفر.

ثم هناك وسائل للإعلام ما كانت في الزمن السابق تنشر الشر، والخير، وتنشر الهدى والضلال فعظمت المصيبة واشتدت الفتنة بسبب تزين الباطل وكثرة أهله؛ ولكن بحمد الله مع ذلك نشرت هذه الوسائل أيضًا دعوة الحق وإرشاد الخلق إلى الله ﷻ، فكانت هذه بهذه؛ ولكن دعاة الضلالة ومروِّجي الباطل أكثر، وأقوى على أعمالهم في غالب هذه الأرض يبذلون فيها الأموال على كثرتهم، ويتكاتفون ضد الحق، وحرصًا على إقامة الباطل منهم المتعمِّد الذي يعلم أنه يدعو إلى ضلالة وينشر الضلالة ويدعو إلى النار، ومنهم الجاهل الذي يظن أنه على هدى كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ولا ريب أن انتشار الباطل، وكثرة الدعاة إليه يوجب على أهل العلم العناية بواجبهم، والاجتهاد في تبليغ رسالة ربهم أينما كانوا، ومعلوم عند أهل العلم أن الدعوة إلى الله فرض كفاية في كل مكان وأنه إذا قام بها من يكفي صارت في حق الباقين سُنَّة، وعملًا عظيمًا، وهكذا

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من جنس الدعوة إلى الله فرض كفاية في كل مكان متى قام بذلك من يكفي صار ذلك في حق الباقين سُنَّة وعملًا عظيمًا، ومتى تأخر الجميع ولم يقوموا بهذا الواجب أثم الجميع؛ ولا ريب أن الدعوة إلى الله من أشرف الأعمال وهي أشرف عمل يقوم به المؤمن في نصيحة إخوانه، وتبليغ إخوانه وهدايتهم إلى الخير، فهي أشرف عمل يقوم به المؤمن وتقوم به الرسل بل هو واجب عليهم - كما تقدم - لهداية الخلق وإرشادهم وإيضاح طريق السعادة لهم؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1].

ويقول لعلي ﷺ: «**فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[2].

والرسل عليهم الصلاة والسلام أنصحُ الناس وأقوم الناس بهذا الواجب، وهم يحبون هداية الخلق، يحبون أن يهدوا الخلق، يحبون أن يرشدوهم، فهم حريصون على إرشاد الناس وتبليغهم دعوة الله وتعليمهم ما ينفعهم، وتحذيرهم عما يضرهم، وهم يحبون هداية الخلق ويحبون أن يقبلوا منهم الحق، وأن يتبعوهم في الخير؛ ولهذا بذلوا كلما استطاعوا من ذلك حتى قتل بعضهم في ذلك، وحتى أُوذوا في ذلك أشد الأذى كل ذلك من حرصهم على هداية الخلق ومن محبتهم لهداية الخلق، ورغبتهم في هداية الخلق، بذلوا ما بذلوا من الجهود العظيمة التي أفضت ببعضهم إلى أن قتل في هذا الحق، وفي هذا السبيل.

فجدير بخلفائهم من أهل العلم أن يبذلوا ما استطاعوا في هذا السبيل، وأن يبلغوا الناس دعوة ربهم، ويعلِّموهم دينهم حسب الطاقة

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٥).

(٢) متفق عليه من حديث سعد بن سهل ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ، برقم (٢٩٤٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، برقم (٢٤٠٦).

والإمكان، وكل إنسان في قبيلة، أو في قرية، أو في أي مكان ليس فيه من يقوم بالدعوة، والأمر والنهي سواه وجب عليه ذلك، وصار فرض عين، إذا كان في قبيلة، أو قرية، أو حي من الأحياء؛ ليس فيه من يقوم بالدعوة والبلاغ والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجب عليه ذلك حسب طاقته، وجوب عين، وإذا كان فيه جماعة وجب عليهم وجوب كفاية فمن قام به منهم فاز بالأجر العظيم، وفاز بأداء هذا الفرض، وصار أولى بالرسل وأتباعهم ممن ضعف عن ذلك؛ ولكن يجب كما أشار صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله يجب على المؤمن، وعلى الداعية إلى الله أن يلاحظ الأمرين اللذين ذكرهما صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله.

أحدهما: الإخلاص لله في دعوته؛ لا يكون مرائيًا ولا طالبًا لأمر آخر، إنما يدعو لله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، إنما أراد بدعوته وجه الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور حتى يحصل له بذلك الفضل العظيم والأجر الكبير.

والأمر الثاني: أن يكون على بصيرة، أن يكون على علم؛ لا يدعو على جهالة، الجاهل قد يدعو إلى الباطل، وينهى عن الحق لجهله، فلا بد أن يكون عنده علم لا بد أن يتعلم ويتبصر حتى يدعو على علم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ **يعني**: على علم، فلا بد أن يكون عالمًا بما يأمر به من جهة الشرع، عالمًا بما ينهى عنه من جهة الشرع، كونه ينهى عن الأشياء التي نهى عنها الشرع، ويأمر بالأوامر التي أمر بها الشرع، فلا بد من الفقه في ذلك، والبصيرة في ذلك حتى يأمر بما أمر الله به ورسوله وحتى ينهى عما نهى الله عنه ورسوله.

ولا بد من أمر ثالث هو التأسي بالرسول ﷺ، برحمته ورفقه، وعدم العجلة، بل يتحمل، ويتصبر، ويرفق بالناس، هكذا كانت الرسل

عليهم الصلاة والسلام؛ لا يعجل؛ ولا يُعَنِّف بل يكون لينًا رفيقًا، لعل دعوته تجد المجال لعلها تُقبل، لعل الناس يقبلونها كما قال جلّ وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، بسبب رحمة من الله: ﴿لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهذا كله مما يقرِّبه منهم، ويقرِّبه منه، ويجعلهم يقبلون الحق، وهكذا قال جلَّ وعلا؛ لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما بعثهما إلى فرعون اللعين: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أهل الكتاب، من هم أهل الكتاب؟ هم اليهود والنصارى، من أكفر الناس وأضلهم، يقول الله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛ يعني: إلا من ظلم، الظالم له شأنه يقابل بقدر ظلمه؛ لكن قبل ذلك يجادل بالتي هي أحسن، ويرفق به، وهكذا بقية الكفرة.

وقد قال في الآية الأخرى قولًا عامًا ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ لأن هذا هو السبيل في إدخال الحق على الناس، وإلى تَقَبُّلِهِ منهم، وإلى قَبولهم له، وليكن بالحكمة؛ يعني: بالعلم ليس بالجهل، الحكمة: العلم، سُمِّي العلم حكمة؛ لأنه يمنع الناس عن الشر، ويردعهم عن الشر، ويأخذهم للحق، فالعاقل البصير الذي ليس عنده شُبَهٌ، وليس عنده انحراف عن قبول الحق بل يطلب الحق ويريده متى أقيمت عليه الحجة، وبُيِّن له المطلوب قَبلَ، وقد يكون البعض عنده عدم رغبة، عدم نشاط في قبول الحق فيوعظ ويُذَكَّر بالموعظة الحسنة، وقد يكون عنده شبهٌ يريد إزالتها وكشفها فيجادل بالتي هي أحسن، حتى تزول الشبهة، وحتى يتضح الحق.

فالداعي ينظر في أحوال المدعوين، ويخاطبهم بما يليق بهم، ويرفق بهم، ويكشف شبهتهم ويُذكِّرهم بالله، ويعظهم، لعلهم يستجيبون، لعلهم يقبلون الحق.

وهناك أمر آخر رابع، وهو أن يكون الداعي من أسرع الناس إلى ما يدعو إليه، ومن أبعد الناس عما ينهى عنه حتى لا يُنتقد، وحتى لا يُفضح، وحتى لا يكون حديثَ المجالس، وحتى لا يتركُ الناسُ دعوته، فهو يحرص على أن يبادر إلى كل خير دعا إليه، وحتى يحذر كل شر نهى عنه، على أن يكون ذلك واضحًا بينًا في مجالسه، وفي طريقه، وفي مسجده، وفي أي مكان، يكون هذا ظاهرًا من تابعه وراقبه رأى ذلك فهو حريص على أن ينفذ ما قال، وأن يعمل ما قال، مما يدعو إليه، وهو حريص على ترك ما نهى عنه، يريد ثواب الله، يريد أن يقبل الناس دعوته، وأن يستقيموا، وأن لا يحتجوا على عدم قبولها بأنه تكاسل في كذا، ولم يفعل كذا؛ وليس معنى هذا أن يكون معصومًا، أو أنه لا يخطئ لا؟ قد يخطئ، وقد يغلط، قد يكون عنده معصية، فليس من شرط ذلك أن يكون كاملًا، ولو كان لا يدعو ولا يأمر، ولا ينهى إلا من كان كاملًا لتعطل هذا الأمر؛ ولكن عليه أن يلاحظ هذا عليه أن يجتهد والتوفيق بيد الله، وليس من شرط ذلك كماله وعدم هنة منه؛ ولكن المطلوب منه أن يحرص على حسن السيرة، حسن السمعة؛ لا للرياء والسمعة؛ ولكنْ لتُقبل الدعوةُ وليفوزَ بالأجر العظيم.

وأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه، وأن يجزي أخانا فضيلة الشيخ عبد الله خيرًا، وأن يوفق المسلمين جميعًا لما فيه رضاه، ولما فيه صلاحهم وهدايتهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى، وأن يوفق علماء المسلمين في كل مكان، ودعاة الحق في كل مكان في الفقه في دينه، والبصيرة بحقه، والمسارعة إلى مراضيه، والصبر على دعوة الناس إليه، والصبر على أذاهم، وأن يكون علماؤنا ودعاتنا أسبق الناس إلى كل خير، وأبعدهم من كل شر، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

الدعوة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المباركة الطيبة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن بكر السميري في موضوع الدعوة، وهي كلمة طيبة مباركة أجاد فيها وأفاد جزاه الله خيرًا، وزادنا وإياكم وإياه من العلم والهدى والتوفيق، ونفعنا جميعًا بما سمعنا.

لا ريب أن الأمر كما قال: أمر الدعوة أمرها عظيم، والناس في أشد الضرورة إليها، فليس لهم علم بما بُعثت به الرسل إلا من طريق الدعوة، من طريق البيان، والله جل وعلا بيَّن لعباده ما بعث به رسله في كتابه الكريم القرآن وعلى لسان رسوله الأمين محمد عليه الصلاة والسلام، وليس للعباد علم ولا طريق إلا من طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهو خلقهم ليعبدوه وأرسل الرسل بهذا الأمر العظيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد أمرهم بهذا الأمر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وأرسل الرسل بهذا فقال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ولا طريق للعباد في معرفة هذه العبادة إلا من طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد

(١) من تعليقات سماحته بعد الفجر في مسجد التوعية بمكة المكرمة في الحج.

ختمهم الله بأفضلهم وبإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، أرسله الله إلى الناس عامة، كان الرسل قبله كل رسول يبعث إلى قومه خاصة، أما محمد ﷺ فبعثه الله إلى الناس عامة، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(١) عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]؛ يعني: قل يا محمد للناس: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فهو رحمة للعالمين جميعًا للجن، والإنس، العرب، والعجم، الذكور، والإناث، الأغنياء، والفقراء، الملوك، والعامة هو رسول الله للجميع.

بعثه الله بالدين الحق، بعثه الله بالإسلام دين الرسل جميعًا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قد شرحه النبي ﷺ للناس، كان جالسًا يومًا بين الناس، فجاءه جبرائيل عليه الصلاة والسلام في صورة إنسان لا يعرف، **وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ والناس يسمعون فقال: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ**

---

(١) سبق تخريجه ص(٦٤).

الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». وفي اللفظ الآخر قال: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». ثم أخبرهم أن هذا جبريل أتاهم يعلمهم دينهم.

فالإسلام هو توحيدُ الله والإيمان به والشهادةُ بأنه هو المعبود بالحق لا إلـٰه إلا هو، والاستقامة على ذلك، هذا هو معنى لا إلـٰه إلا الله؛ معناها: لا معبود بحق إلا الله، فهو الإلـٰه الحق، وجميع المعبودات من دون الله كلها باطلة، ما عبده الناس من أصنام، أو أولياء، أو أنبياء، أو ملائكة، أو جن أو غير هذا كله باطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]؛ فالعبادة حق الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وعلى العباد أن يستقيموا على ذلك، وأن يعبدوه وحده بالإخلاص له واتباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه، وأداء حقه وترك معصيته على الطريق السليم الذي رسمه لهم في كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام.

هذا هو الواجب على الجميع أن يتقوا الله ويعبدوه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] فعلى الجميع أن يتقوه ويعبدوه، والتقوى هي العبادة، تقوى الله هي عبادة الله وهي الإسلام، والإيمان، والهدى، وهي البر، فعلى العباد جميعًا أن يتقوا الله ويعبدوه بالإخلاص له بأداء فرائضه وترك محارمه بالوقوف عند حدوده تابعين في ذلك لنبيهم ورسولهم محمد

عليه الصلاة والسلام؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله جل وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

فالواجب على جميع الثقلين الجن والإنس أن يعبدوا الله، وأن يمتثلوا أوامره، وأن ينتهوا عن نواهيه، وأن يقفوا عند حدوده على ما رسمه سبحانه وبيَّنه في كتابه القرآن، وعلى ما أوضحه نبيُّه محمد عليه الصلاة والسلام من قوله وفعله عليه الصلاة والسلام، هذا هو الواجب على الجميع.

وعليهم أيضًا التواصي بذلك، والتعاون في ذلك، هذا هو الواجب على الجميع ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢]، فعلى الجميع أن يعبدوا الله، وأن يخصُّوه بالعبادة، وأن يطيعوا أوامره، وأن ينتهوا عن نواهيه، وأن يتبعوا رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام، وعليهم أن يقفوا عند حدوده، مع محبة الله والبراء في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، والتواصي بذلك، يجب التواصي بهذا، والدعوة إلى هذا، والعلماء هم خلفاء الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

فالواجب على العلماء جميعًا أن يتقوا الله، وأن يوضحوا للناس دينهم، وأن يعلِّموهم ما شرعه الله لهم، وأن يحذروهم ما نهى الله عنه، وعلى الناس أن يمتثلوا، عليهم أن يعملوا بما دل عليه القرآن والسُّنَّة، وما أرشدهم إليه علماؤهم علماء الحق، عليهم أن يتبعوا الحق، وأن يعبدوا الله وحده، وأن يمتثلوا أوامره، وينتهوا عن نواهيه، وأساس ذلك

كله وأصله شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هاتان الكلمتان هما أصل الدين هما أساس الملة.

شهادة أن لا إلـه إلا الله. المعنى: الشهادة بأنه لا معبود حق إلا الله وأنه إلـٰهنا ومعبودنا وخالقنا ورازقنا وأن علينا الانقياد لشرعه، واتباع ما جاء به نبيه عليه الصلاة والسلام، والحذر مما نهى عنه.

والشهادة الثانية: الشهادة بأن محمدًا رسول الله، أرسله الله إلى جميع الثقلين، فعلينا الإيمان به، وتصديقه، وعلينا اتباعه قولًا وعملًا، وعقيدة، عن محبة وإيمان، وعن إخلاص وصدق، نرجو ثواب الله ونخشى عقاب الله، عملًا بقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وعملًا بقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وعملًا بقوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

فعلى أهل العلم أن يبينوا، وعلى جميع الناس أن يقبلوا الحق، على العلماء أن يبينوا الحق بأدلته، وعلى جميع الناس من الجن والإنس أن يتبعوا الحق، وأن يأخذوا به، وأن يستقيموا عليه، وأن يتواصوا به، وأن يتحابوا في ذلك، وأن يتباغضوا في ذلك، يواصلون من اتبع الحق، ويحبون من اتبع الحق ويوالونه، ويعادون من خالف الحق وحاد عن سبيله.

يقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا طريق المؤمنين، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، هذا طريق النجاة، هذا طريق الربح والسعادة، الإيمان بالله ورسوله والإخلاص لله والإيمان به، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عما

كان، وما يكون، ثم الاتباع، إيمان معه عمل بطاعة الله وأداء فرائضه وترك محارمه، والوقوف عند حدوده مع المحبة في ذلك والبغضاء في ذلك والموالاة في ذلك، والمعاداة في ذلك، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ﷻ، حتى يلقى ربه حتى يموت على ذلك، ويجب الاعتصام بحبل الله في ذلك، والتواصي بذلك والاجتماع على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذا هو الواجب على الأمة جميعًا، على الأمة اتباع الحق، وعلى العلماء الإيضاح والبيان والدعوة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾؛ يعني: بالعلم ووضع الأمور في مواضعها: ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذا هو الواجب على أهل العلم كما أمرهم الله بذلك، والواجب على الناس أن يقبلوا الحق، وأن ينقادوا له، وأن يوالوا في ذلك، ويعادوا في ذلك، ويجتمعوا على ذلك، ويتواصوا بذلك حتى يلقوا ربهم سبحانه متَّبعين لكتاب ربهم القرآن، ولسُنَّة نبيهم الصحيحة التي بيَّنها لهم نبيهم رسولهم بما جاء عنه، ونقلها العلماء وأوضحها علماء الحق للأمة، حتى يسيروا عليها وحتى يستقيموا عليها حتى يلقوا ربهم جلَّ وعلا.

نسأل الله أن يوفق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، ونسأل الله أن يمنحنا وإياكم وسائر المسلمين في الفقه في دينه والثبات عليه.

كما نسأله سبحانه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم.

كما نسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا في هذه البلاد لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن يصلح لهم البطانة، وأن ينصر بهم الحق، ويجعلنا وإياكم وإياهم من الهداة المهتدين.

كما نسأله أن يوفق علماء المسلمين في كل مكان، نسأل أن يوفق علماءهم في كل مكان لما يرضيه، وأن يزيدهم من العلم النافع والفقه في الدين وأن يعينهم على أداء الواجب قولًا وعملًا إنه سميع قريب.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

احفظ الله يحفظك

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[١]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات من صاحب الفضيلة الشيخ علي بن حسن في تفسير قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**احفظ اللهَ يَحْفَظْكَ**» الحديث[٢].

وقد أحسن وأجاد جزاه الله خيرًا، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدى وتوفيقًا، ونسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وعلمنا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يرزقنا الفهم الصحيح عنه، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، والعمل بما عَلَّمنا من كتابه وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام.

أيها الإخوة في الله؛ لا ريب أن هذه الوصية وصية عظيمة من إمام المتقين، وسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام لحبر الأمة وترجمان القرآن أبي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، فهي جديرة بأن يعض عليها المؤمن بالنواجذ، وأن يتعقلها كثيرًا، وأن يعمل بها،

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧)، والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب صفة القيامة، باب، برقم (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في المشكاة، برقم (٥٣٠٢).

فإن وصية الرسول ﷺ، لواحد من الأمَّة، وصية للأُمَّة؛ لأنه بعث للجميع عليه الصلاة والسلام، فإذا أوصى ابن عباس أو أبا ذر، أو فلانًا، أو فلانًا فالوصية للجميع للرجال والنساء جميعًا، إلا ما خصه الدليل.

وقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عباس: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**» كلمة عظيمة من جوامع الكلم، فجدير بالمؤمن والمؤمنة وبكل مكلف سمعها أن يتعقلها، وأن يستفيد منها، وأن يعرف معنى الحفظ، ما هو معنى الحفظ؟ الله سبحانه غني عنا؛ وليس في حاجة إلى حفظنا له ولا إلى نصرنا له؛ ولكن نحن المحتاجون، نحن الفقراء المضطرون إليه سبحانه وإلى حفظه، وإلى نصره وتأييده، وإلى تثبيته وإعانته فلا بد أن نعرف معنى الحفظ «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**».

قد سمعتم من كلام الشيخ عليّ معنى «**احْفَظِ اللهَ**»، وأن المقصود حفظ أوامره بالامتثال، وحفظ نواهيه بالاجتناب، وحفظ حدوده بالوقوف عندها، هكذا المؤمن يحفظ أوامر الله بامتثاله لها بطاعته لها بأدائه لها على الوجه الذي شرعه الله من غير زيادة ولا تنطع ولا تكلف ولا بدعة، ومن غير نقص ولا تفريط وإضاعة؛ بل يؤدي تلك الأوامر كما شرعها الله يعتني بها ويؤديها كما أمر الله، هكذا يكون الحفظ لأوامر الله عن إيمان، وعن إخلاص لله، وعن رغبة فيما عنده لا عن عادة، ولا عن رياء للناس؛ ولكن يؤديها عن إيمان، عن إخلاص لله جلَّ وعلا، عن رغبة فيما عنده، عن حذر من عقابه سبحانه وتعالى.

وهكذا النواهي يحفظها بالحذر منها، والابتعاد منها عن إيمان أيضًا، وعن تصديق، وعن إخلاص له سبحانه، وعن رغبة في ثوابه، وحذر من عقابه، وهكذا حدوده التي حدَّها في أوامره ونواهيه، ما يتعداها، بل يؤدي الأمور على حدودها في جميع الأمور فلا يزيد شيئًا ولا ينقص شيئًا لا في المعاملات ولا في العبادات ولا في غير ذلك؛ بل

يحفظ الحقوق التي حدها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فالحدود التي نهي عن قربانها هي المعاصي، والحدود التي نهي عن تعديها هي فرائضه وما حدّه لعباده في جميع الأشياء، في معاملاتهم، في مواريثهم، في حكوماتهم وخصوماتهم، في شهاداتهم، في غير ذلك لا يتعدى الحدّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومتى جمع المؤمن هذه الأشياء فقد جمع الدين كله، متى حفظ الأوامر والنواهي والحدود فقد حفظ الدين كله، وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فنصر الله نصر دينه، نصر دينه بالطاعة والامتثال، والتنفيذ، والجهاد في سبيله، وترك محارمه، والوقوف عند حدوده، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والتواصي بالحق، والصبر عليه، هذا نصر دينه، وهذا هو نصر الله ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، فمن نصر دين الله وحفظ دين الله نصره الله وحفظه، ومن أضاع ذلك هلك، وخُذل، فالله غني عنا، وعن أعمالنا، وإنما نحن فقراء إليه؛ لأن ننصر دينه، ونحفظ دينه ونبتعد عمّا يغضبه سبحانه وتعالى.

ثم يقول عليه الصلاة والسلام: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**» هذه التاء مثلثة عند أئمة اللغة «**تُجَاهَكَ**» وتَجاهك وتِجاهك؛ يعني: أمامك كما في الرواية الأخرى، وهذا معناه: أنك توفق، أنك من الله موفق مهديٌّ، متى حفظت أوامر الله ونواهيه تجده أمامك مُوَفِّقًا لك، وهاديًا لك، ومرشدًا لك، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى؛ لكن بتوفيقه لك، وإرشاده لك، وهدايته لك تستقيم أحوالك، وتنتظم أمورك؛ لأنك تجده تجاهك سبحانه، بتسديده وتوفيقه، وهدايته وإرشاده؛ وليس معناه أنه معك في بيتك كما تقوله الحلولية، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا؛ بل

معناه أنك تجده هاديًا، ومرشدًا، ومُعلِّمًا، وموفِّقًا، فكلما حفظت دينه، ونصرت دينه يسَّر الله أمرك، وفتح لك أبواب العلم، ويسَّر لك ما تريد من الخير، وأعانك عليه، وكفاك شر الأعداء والحسَّاد حتى تسير على الوجه المطلوب، فهو الهادي وهو فوق العرش، وهو المعلم وهو فوق العرش، وهو المعين وهو فوق العرش ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طـه: ٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهكذا قوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، هو معناه بعلمه وإحاطته، وتوفيقه، وهدايته؛ وليس معناه أنه مختلط بالخلق، وأنه معهم في بيوتهم، وحماماتهم وسياراتهم، وطائراتهم، وغير ذلك بذاته، حاشا وكلا، هذا قول باطل عند أهل السُّنَّة والجماعة، بل هو فوق العرش كما أخبر عن نفسه، وعلمه مع عباده في كل مكان، فالمؤمنون يؤمنون بأنه سبحانه العالي فوق جميع الخلق، وأنه استوى على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، وأنه سبحانه مع عباده بعلمه، واطلاعه، وقدرته، ومشاهدته، وبتوفيقه لأوليائه كما قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طـه: ٤٦]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، إلى غير ذلك.

فكل مقام له معناه اللائق به، فمع المؤمنين بتوفيقهم وهدايتهم، ومع الصابرين بتثبيتهم واطلاعه عليهم وعلمه بأحوالهم وإعانته له، ومع نبيِّه بتوفيقه وهدايته إياه، وحفظه له وكلاءته له مع صاحبه في الغار، ومع موسى وهارون بتوفيقهما وهدايتهما ونصرهما، وحفظهما من كيد عدوهما فرعون، إلى غير ذلك.

مع العلم المحيط بكل شيء، والاطلاع على كل شيء منه ﷻ،

فهكذا القول في نصر الله وحفظ الله ونحو ذلك، هو مثل ما تقدم، حفظ الأوامر، ونصر الدين، والقيام بأمر الله والتواصي بالحق والصبر عليه إلى غير هذا مما شرعه الله لعباده، وبهذا يحفظ الله العباد، ويوفقهم، ويعينهم، ويسدد خطاهم، وينصرهم على أعدائهم، ويحسن لهم الخاتمة بسبب حفظهم لأوامره، وحفظهم لنواهيه، وحفظهم لحدوده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

فجدير بالمؤمن، وجدير بطالب العلم، وجدير بالداعي إلى الله جلَّ وعلا أن يستشعر هذا دائمًا في دعوته إلى الله، وفي لقائه بمن يلاقي من أهل الشغب والفتن والبدع إلى غير ذلك بالصبر، والعلم بأن الله مع أوليائه بنصره وتأييده، ما داموا ينصرون دينه، ما داموا يحفظون دينه، ما داموا يقصدون وجهه الكريم بجهادهم وأعمالهم هو تجاههم، وهو معهم ناصرًا، ومؤيدًا، وحافظًا وكالئًا، ومتى أعرضوا عنه وتابعوا أهواءهم جاء الخذلان وجاء الإعراض عنهم كما أعرضوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم بيَّن بعد ذلك عليه الصلاة والسلام ما هو أمره عظيم «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، وجَّهه إلى أن يوجه قلبه إلى الله في جميع حاجاته؛ لأنه سبحانه هو المعبود بالحق، هو المسؤول وهو القائل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فالمؤمن والمؤمنة كلاهما جدير بهما أن يوجها قلوبهما إلى الله في جميع الحاجات «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، كما يقول سبحانه: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وهو المدعو، والمرجو، والمسؤول ﷻ في جميع الأمور؛ ولا يستثنى من ذلك إلا ما كان في قدرة العبد الحي الحاضر، ما كان في قدرته فلا بأس أن تسأله إياه، على الوجه الشرعي إذا كان حيًّا حاضرًا قادرًا يستطيع أن يعينك على ما تريد، فلا بأس بالطرق الشرعية، هذا مستثنى كما قال ﷻ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ

ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وهكذا تكون أيضًا بالمكاتبة، وبالهاتف، وبالتلكس بهذه الأشياء الجديدة.

وأسأل الله أن يحفظنا وإياكم بحفظه، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يجزي أخانا فضيلة الشيخ علي بن حسن عن كلمته وعن موعظته لنا خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

الدعاء

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فهذه كلمة طيبة مباركة من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن صالح القصير في موضوع الدعاء، وقد أجاد وأفاد وأبان لإخوانه أمر الدعاء، وأن الدعاء شأنه عظيم، وأن الله جلَّ وعلا رغَّب فيه، وأثنى على أهله، وحثَّ عليه، والدعاء كما سمعتم دعاءُ عبادة، ودعاء مسألة، دعاء عبادة وثناء، ودعاء مسألة، فالمؤمن يحرص على الدعاء، ويحرص على أسباب الإجابة.

فمن أسباب الإجابة الثناء على الله قبل الدعاء، والصلاة على نبيه ﷺ، كونه يثني على الله، ويصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو، كما في الحديث يقول ﷺ: «**إِذَا دعا أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[2]؛ فالذي يسأل ربه المغفرة والنجاة والرزق الحسن والزوجة الصالحة، هذا دعاء مسألة، والصلاة والصوم والثناء على الله كله دعاء عبادة ودعاء ثناء، فالمصلي يصلي

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨/٦) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه وهذا لفظه: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»؛ وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨١).

يطلب الأجر، والصائم كذلك، والمتصدق كذلك، والحاج كذلك، كلها دعاء عبادات، المقصود منها الأجر من الله، والثواب من الله جلَّ وعلا؛ كونه يصلي ويصوم ويتصدق، ويسبح، ويهلل، يرجو ثواب ربه، يدعو ربه في المعنى أن يثيبه على هذه العبادات، فالمؤمن يحرص على إخلاصه لله في دعائه، ويتجنب أسباب الرد وتعاطي المعاصي، وتعاطي أكل الحرام من الربا وغيرها من المحرمات، من أسباب عدم الإجابة، فالمؤمن يتحرى أسباب الخير، يطهر مطعمه، يجتهد في طاعة ربه، يحذر المعاصي، وإذا دعا يدعو بقلب حاضر، يخلص لله جلَّ وعلا ويبتعد عما حرم الله، فإن هذا من أسباب الإجابة، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فأنت يا عبد الله في أشد الحاجة إلى دعاء ربك والضراعة إليه، وأهم شيء أن تدعوه، أن يصلح قلبك وعملك، وأن يوفقك لما يُرضيه، وأن يجنبك أسباب غضبه، هذا أهم الأمور، أن تسأله سبحانه أن يهدي قلبك، وأن يعينك على الخير، وأن يصلح عملك وقولك، وأن يهديك صراطه المستقيم، وأن يعيذك من شرور النفس ومن سيئات العمل حتى تهتدي، حتى تستقيم، وتطلبه أيضًا حاجاتك؛ كما قال النبي ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**»(١)؛ ولكن أهم شيء ما أوجب الله عليك، أن تجتهد في طاعة ربك وأداء حقّه، وأن تُخلص له العمل، تخصه بالعبادة.

فالذين يدعون مع الله أصحاب القبور، أو الأصنام، أو الأشجار،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

أو الأحجار، أو الأنبياء يستغيثون بهم، وينذرون لهم، هذا الشرك الأكبر، هذا الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] فالعبادة حق الله؛ لا تدعو مع الله صاحب قبر، ولا شجر، ولا صنم، ولا جن، ولا غير ذلك تدعو الله وحده، تسأله من فضله جلَّ وعلا ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، القطمير: اللفافة التي على النواة، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

فأنت يا عبد الله عليك الإخلاص في الدعاء، وأن تسأل ربك حاجاتك، تسأله الجنة، تسأله العفو، تسأله التوفيق والهداية، تسأله النجاة من النار، تسأله صلاح قلبك، وصلاح عملك، أما الأموات من المسلمين تدعو لهم، اللَّهُمَّ اغفر لهم، اللَّهُمَّ ارحمهم، تسأل لهم، هم في حاجة إلى دعائك، تدعو لهم، أما أن تدعوهم من دون الله، تدعو أصحاب القبور، أو تدعو النبي ﷺ، أو عيسى، أو موسى، أو الأولياء، أو الجن، هذا الشرك الأكبر، هذا الشرك الذي حرمه الله، وقال فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فأنت تسأل ربك حاجاتك كلها، والأنبياء يُصلَّى عليهم الصلاة والسلام، ونبينا أفضلهم وإمامهم يُصلَّى عليه، ويُتبع، الواجب اتباعه وطاعة أوامره وترك نواهيه والصلاة والسلام عليه، أما أن يدعى من

دون الله، أو يستغاث به هذا الشرك الأكبر؛ وهكذا بقية الأنبياء أو المؤمنين، لا يُدْعَون، ولا يُستغاث بهم، ولا ينذر لهم، هذا حق الله، الدعاء حق الله؛ لا يُدعى مع الله غيرُه ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، هذا عام: أحدًا، يَعُمَّ الأنبياءَ وغيرَهم، لا يدعى مع الله أحد، العبادة حق الله؛ ولكن يُسأل جلَّ وعلا يدعى هو ﷻ، تقول: اللَّهُمَّ اغفر لي، اللَّهُمَّ ارحمني، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ أنجني من النار، اللَّهُمَّ ارزقني رزقًا حسنًا، اللَّهُمَّ وفقني لما يرضيك، اللَّهُمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك، اللَّهُمَّ وفقني لاتباع نبيك، اللَّهُمَّ اهدني صراطك المستقيم، تدعو ربك، هو الذي بيده كل شيء ﷻ، هو الذي بيده الملك، بيده تصريف الأمور، بيده العطا والمنع، والنفع والضُّر جلَّ وعلا.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح والبصيرة، والهداية، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يجزي أخانا الشيخ عبد الله عن كلمته خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

* * *

فضل الدعاء

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المباركة الطيبة، من صاحب الفضيلة الشيخ خالد الرومي، فيما يتعلق بالدعاء، وفضل الدعاء، وما فيه من الخير العظيم، والفوائد الكثيرة، وقد أحسن جزاه الله خيرًا، وأجاد وأفاد، زادنا الله وإياكم، وإياه علمًا، وهدًى، وتوفيقًا، ونفعنا جميعًا بما سمعنا.

لا شك أن الدعاء فضله عظيم، وفوائده عظيمة وكثيرة، كما قال فضيلته، وقد سمعتم من الأدلة ما فيه الكفاية، في الحث على الدعاء، والترغيب فيه، فالوصية العناية بالدعاء، والإكثار من الدعاء، ولا سيما جوامع الدعاء، الكلمات الجامعة، والدعوات الجامعة، قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ(٢).

وهي الدعوات الجامعة، وكان من دعائه، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التُّقَى**

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨٢).

وَالْهُدَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[1].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ السَّدَادَ وَالْهُدَى»[2].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[3].

ومن الدعاء الذي علَّمه لعائشة: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»[4].

ودعوات كثيرة، ومنها: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[5].

ومن ذلك: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[6].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (١/ ٤١١).

(٢) أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل برقم (٢٧٢٥).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم (٢٧٢٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، برقم (٣٨٥٠).

(٥) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ»، برقم (٦٣٩٨).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٥)، وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (٥٠٧٤)، وابن ماجه في كتاب الأدب، =

فالإنسان يعتني بالدعوات الجامعة ويكثر من الدعاء، وقد سمعتم في الحديث يقول ﷺ: «**ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»(١).

ويجتهد في إخلاص الدعاء لله وحضور القلب بين يدي الله، والرغبة فيما عنده، واستكانته، وانكساره، ولا سيما في أوقات الإجابة كآخر الليل، وجوف الليل، وبين الأذان والإقامة، وفي آخر الصلاة، وفي السجود، كل هذه أوقات عظيمة ترجى فيها إجابة الدعاء؛ وهكذا في آخر ساعة من يوم الجمعة، حين يتوجه للمسجد، ويجلس ينتظر الصلاة، قبل الغروب؛ وهكذا إذا دخل الخطيب يوم الجمعة إلى أن تقضى الصلاة، كل هذه محل إجابة، وجميع الأوقات بحمد الله كلها ترجى فيها الإجابة؛ لكن هذه أوقات خاصة، بيَّنها النبي ﷺ، يقول الله جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالوصية الإكثار من الدعاء ولا سيما جوامع الدعاء، وتحري الأوقات المناسبة؛ كدبر الصلاة، قبل السلام، حال السجود، بين الأذان والإقامة، في آخر ساعة من يوم الجمعة قبل الغروب، عند صعود المنبر يوم الجمعة إلى أن تُقضى الصلاة، آخر الليل، جوف الليل كل هذه أوقات ترجى فيها إجابة الدعاء، فينبغي الإلحاح، وأن يقدم بين يدي الدعاء حمد الله، والصلاة على نبيه، يحمد الله، ويصلي عليه، ثم يدعو؛

= باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، برقم (٣٨٧١)، وصححه الألباني في الكلم الطيب، برقم (٢٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي سعيد رضي الله عنه (٣/١٨).

لحديث فضالة بن عبيد أنه سمع رَسُولُ اللهِ ﷺ، رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَى وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا». ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»[1].

فتقدمةُ الحمد لله والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ، من أعظم أسباب الإجابة؛ وهكذا الإلحاح في الدعاء، والإكثار من الدعاء ولا سيما مهمات الدعاء، تسأل الله الجنة، وتعوذ به من النار، تسأل الله صلاح قلبك، وعملك، صلاح ذريتك، تسأل الله الثبات على الحق، وحسن الخاتمة، تسأل الله التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح، تسأل الله الرزق الحلال، الذرية الطيبة، الزوجة الصالحة، الجليس الصالح إلى غير هذا من الدعوات الطيبة.

رزق اللهُ الجميع التوفيق والهداية، وأعاذنا وإياكم من مضلات الفتن، وأصلح قلوبنا جميعًا، وختم لنا بالخاتمة الحسنة.

ويوم النحر ويوم عرفة يومان عظيمان، اختلف العلماء في أيهما أفضل، فقال قوم: يوم عرفة أفضل أيام الدنيا، وقال آخرون: يوم النحر أفضل أيام الدنيا، ويوم النحر هو يوم الحج الأكبر، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، وكلاهما يومان عظيمان ينبغي فيهما الإكثار من الدعاء، ويوم عرفة هو يوم الوقفة، ويوم الدعاء، ويوم الجد في الدعاء، والوقوف بين يدي الله يوم عرفة، هو يوم عظيم تُرجى فيه إجابة الدعاء، ويقول فيه النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ**

(١) أخرجه أبو داود من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٨١)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٥)، برقم (٣٤٧٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ»(١)؟!

فينبغي للحجاج أن يجتهدوا في الدعاء في يوم عرفة، وذكر الله ﷻ، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ.

أما يوم النحر فهو يوم الحج الأكبر، يوم الهدايا، والضحايا، ورمي الجمار، والحلق، والتقصير، والطواف، والسعي، فيه أعمال الحج، أعمال عظيمة، فهو يوم عظيم، سماه الله يوم الحج الأكبر ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [التوبة: ٣]، والأذان وقع في يوم النحر، أمر النبي ﷺ المنادين أن ينادوا يوم النحر في الناس سنة تسع من الهجرة أن ينادوا أنه لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُريان، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة(٢).

ونادوا أيضًا وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ إِلَى مُدَّتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَأَجَلُهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلَا يَجْتَمِعُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا(٣) - ثم يحل قتاله -.

هكذا أمر النبيُّ ﷺ، الصدِّيقَ ومن معه في حجه في عام تسع أن

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٤٨).

(٢) يشير بذلك لحديث علي رضي الله عنه الذي رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، برقم (٣٠٩٢)، والنسائي في كتاب المناسك، باب قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، برقم (٢٩٥٨)، وصححه الألباني. والحديث في الصحيحين مختصرًا على منع حج المشرك والعريان. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما يستر العورة برقم (٣٦٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وبيان يوم الحج الأكبر برقم (١٣٤٧).

(٣) رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، برقم (٣٠٩٢).

ينادوا بهذا يوم النحر، ينادون في الناس، أنه أنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ هذا الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

وكان أهلُ الجاهلية يطوفون عراة؛ لجهلهم إلا من كان عنده ثوب جديد ما عصى فيه ربه، فبيَّن النبي ﷺ أن هذا باطل، ونهى عن الطواف بالبيت وهو عُريان وقال: «لَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ»، ونادوا في الناس وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ؛ يعني: موحِّدة قد ماتت على سُنَّة الله ورسوله، وأن المشركين ليس لهم إلا النار، وأجلهم أربعة أشهر، إن تابوا وأسلموا، وإلا قتلوا، إلا من كان له عهد عند رسول الله فأجله إلى مدته؛ هكذا نادوا يوم النحر، يوم العاشر.

فأنت يا عبد الله في أيام عظيمة، أنت في أيام العشر، هذا هو اليوم السابع من أيام العشر، وهي أفضل الأيام، قد قال فيها النبي ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ»؛ يَعْنِي: أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[(١)].

المجاهد الذاكر أفضل؛ ولكن العمل في هذه العشر، أفضل من جهاد بلا ذكر، وفيها يقول ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ»[(٢)].

هذه أيام عظيمة فينبغي فيها الإكثار من ذكر الله، وتحميده،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل أيام التشريق برقم (٩٦٩)، أبو داود في كتاب الصيام، باب في صوم العشر، برقم (٢٤٣٨)، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب صيام العشر، برقم (١٧٢٧)، والإمام أحمد (١/ ٢٢٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٢/ ٧٥).

وتكبيره، إلى انسلاخ أيام التشريق، إلى غروب الشمس من اليوم الثالث عشر، كلها أيام ذكر، وأيام تعظيم، وأيام تحميد، ثلاثة عشرة يومًا، ويبدأ التكبير المؤقت من يوم عرفة، يكبِّر فيه الإنسان أدبار الصلوات، وفي جميع الأوقات في هذه الأيام الخمسة، وفي الثمانية الأولى يكبر مطلقًا في جميع الأوقات تكبيرًا مطلقًا، وينبغي أيضًا فيها اغتنام الأعمال الصالحة الأخرى، من الصدقات، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ، وإتباع الجنائز، والصلاة عليها، إلى غير هذا من وجوه الخير، في هذه الأيام العظيمة.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الصبر أقسامه، وفوائده

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات، من صاحب الفضيلة الشيخ أحمد علوش فيما يتعلق بالصبر: أقسامه، وفوائده، وثمراته، وأنه واجب على المؤمن التأسي بالرسل عليهم الصلاة والسلام، قد أحسن فيما قال وأفاد. جزاه الله خيرًا، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

لا ريب أن الصبر هو الأداة العظيمة؛ لأداء الحقوق، وكف الأذى، ومقابلة ما يصيب العبد مما يكره من القضاء والقدر، فهو العُدة العظيمة لأداء الحقوق التي لله ولعباده، وهو العُدة العظيمة لكف الأذى وحبس النفس عن المعاصي والمحارم، وهو عُدة عظيمة لمقابلة ما يصيب العبد مما يكره من مرض، وفقر، وغير ذلك.

ولهذا جاء في الصبر من الآيات والأحاديث الشيءُ الكثيرُ؛ لشدة حاجة العبد إليه ولعظم الفائدة في الأخذ به، والتمسك به، وتحمله، قد سمعتم من الآيات والدلائل والأحاديث في هذه الكلمة ما فيه الكفاية، والخير العظيم، والله يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]، فهل بعد هذا شيء؟ فمن استوفى الصبر

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٥).

على طاعة الله، واستوفى الصبر عن معاصي الله، والصبر على ما يكره، وفَّاه الله أجره بغير حساب، فهذه من نعم الله العظيمة ومن فضله الكبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد وصف الله بالصبر أولياءه ورسله، وأهل طاعته، فجدير بالمؤمن، وجدير بطالب العلم، وجدير بالداعي إلى الله أن يتصف بذلك، وأن يتحمل ذلك، وأن يحذر أسباب الغضب والجزع، فالداعي إلى الله لا بد أن يلقى شيئًا مما يسبب غضبه وجزعه، فلا بد من مقابلته بالصبر والاحتساب، وهكذا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والمعلم للناس، والموجه للناس، والأئمة في هذا والقدوة في هذا هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قد قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، فأمره بالصبر في مواضع كثيرة عليه الصلاة والسلام، والدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ هم خلفاء الرسل؛ كسائر أهل العلم هم خلفاء الرسل في التعليم، في التوجيه، والدعوة إلى الله، وإرشاد الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر؛ فلا بد لهم من الصبر.

ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، لعظم شأنه شرع التواصي به، وأخبر في هذه السورة العظيمة القصيرة أن أهل السعادة والربح، والنجاة من الخسارة، هم أهل الصفات الأربع الذين وفقهم الله لها فاستقاموا عليها، وهي الإيمان بالله ورسوله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، هذه أسباب الربح، وهذه عناصر النجاح، وهذه عوامل الفلاح في الدنيا والآخرة، إيمان صادق، وعمل صالح، وتواصٍ بالحق، وتواصٍ بالصبر.

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في الصحيح: **«الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»**؛ يعني: شك من الراوي هل قال: تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ، والصواب تَمْلآنِ: **«وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»**(١).

فأخبر أن الصبر ضياء ينير الطريق يضيء الطريق يوضح الحق، فمن صبر ابتغاء وجه الله وفقه الله وسدده، وأنار له الطريق، فلا بد من صبر ولا بد من احتساب، ولا سيما من يتولى إرشاد الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فلا بد أن يلقى شيئًا من التعب، وربما يقابل بشيء لا يناسب، فلا بد من صبر، يقول النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع في خطبته: **«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»**(٢)، في اللفظ الآخر: **«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»**(٣).

حرَّم الله علينا دماء غيرنا، وأموال غيرنا، وأبشار غيرنا، وأعراض غيرنا، ومن جملتهم المدعون المرشدون من الحجاج وغيرهم، هم من

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص ﷺ في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، برقم (٣٠٨٧)، والإمام أحمد (٥/ ٧٢).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة ﷺ في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: **«لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»**، برقم (٧٠٧٨)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم (١٦٧٩).

جملة ذلك؛ فلا بد من الصبر والتحري، وضبط النفس حتى تُبَلِّغ دعوة الله، وحتى تُعلِّم الناسَ شريعة الله، وسيدُ الخلق وأفضلهم، وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، يوم حنين لما قسم بين الناس بعض الأموال، وآثر بعض الناس، آثر بعض المؤلفة قلوبهم ببعض العطاء وأعطى جماعة منهم على مائة من الإبل كعُيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وأبي سفيان، وصفوان بن أمية وجماعة، قال بعض الناس: إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله، والمشهور أنه من بني تميم، قال فيه النبي ﷺ: «**إنَّه يخرج من ضِئْضِئِ هؤلاء قوم يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وقراءته مع قراءتهم**».

يعني: أصل الخوارج المتنطعون المتشددون الغالون، وقد صدق عليه الصلاة والسلام، ووقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك من علامات النبوة، فإذا كان سيد ولد آدم يقال في حقه هذا الكلام، ويقال: «**اعْدِلْ فإنك لم تعدل**»، ويقال: «**هذه قسمة مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللهِ**».

فكيف يطمع الآخر أن يسلم؟! ويقول ﷺ في هذا: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ»[1].

---

(١) يشير بذلك لحديث أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ الذي رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦١٠) وهذا لفظه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ. فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: «**دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ - وَهُوَ قِدْحُهُ - فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ** =

ويقول: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»[1] عليه الصلاة والسلام، فلا بد من صبر على تبليغ دعوة الله وعلى ما يصيبك يا عبد الله في هذه الدنيا من الأذى، ومما تكره.

وقد عرفت أن الصبر أقسام ثلاثة: صبر على طاعة الله، فعليك أن تؤدي ما أوجب الله عليك بغاية الصبر، وغاية الإخلاص، والرغبة فيما عند الله، وأن تؤدي ذلك كما شرعه الله، وعليك أيضًا أن تصبر عن معاصي الله، وأن تحذرها في غاية الرغبة فيما عند الله، والخوف من سخطه ﷻ، وعليك أيضًا أن تحذر الجزع مما أصابك من مرض، أو فقر، أو تسليط عدو، بل قابل ذلك بالصبر والاحتساب ولا تجزع، وأسأل ربك الإعانة والتوفيق لعلك تنجو، ولعلك تسلم، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ويقول في أهل الجنة: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، ويقول ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، ويقول: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

فأهل الجنة إنما نالوا ما نالوا بصبرهم، نالوا المنازل العالية، والدرجات الرفيعة والخير الكثير بصبرهم على طاعة الله، وبصبرهم عن معاصي الله، وبصبرهم على قضاء الله وقدره المؤلم، فعليك أن تتأسى

= رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ، فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ، برقم (٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٤).

بهم، وعليك أن تكون منهم في هذا الخير العظيم، وإياك والجزع، بل تذكر حال من قبلك من الأخيار فتأسَ بهم، والله جلَّ وعلا يقول في أهل البـر: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إلى أن قال في آخرها: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فأخبر أن هؤلاء هم الصادقون، هم المتقون بأعمالهم العظيمة، التي من جملتها صبرهم في البأساء؛ **يعني**: حالة الفقر والحاجة والضراء حين المرض، والجراح ونحو ذلك وحين البأس حين الحرب والقتال، فهم صُبرٌ في الشدائد، في الفقر والحاجة، وفي الآلام والضراء، والجراحات وغير ذلك، وحين الحرب، ولقاء الأعداء هؤلاء هم الصُبر، هم أولياء الله، هم أهل السعادة، فعليك يا عبد الله أن تحرص أن تكون من هؤلاء الأخيار، وأن تأخذ طريقهم، وأن تلتزم بما ساروا عليه حتى تحشر معهم، وحتى تستحق ما وعد الله به الصابرين.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الصابرين، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا.

أيها الإخوة في الله؛ هذا اليوم هو أول أيام العشر يوم الاثنين؛ لأن الأصل تمام الشهر، واليوم الماضي يوم الأحد هو تمام الثلاثين وإن جُعل في التقويم واحد من هذا الشهر؛ لكن لا عبرة بالتقويم في الأحكام الشرعية فالشهر يبدأ بهذا اليوم إلا أن يثبت الهلال في الليلة الماضية ليلة الأحد، فإذا ثبت في المحاكم الشرعية دخول شهر ذي الحجة ليلة الأحد صار هذا اليوم هو اليوم الثاني، أو يثبت أن شوال ناقص كذلك، وأما إذا لم يثبت نقص أحد الشهرين، فاليوم هذا هو اليوم الأول من شهر ذي الحجة.

وهذه الأيام لها فضل عظيم، ولها شأن كبير قال فيها النبي ﷺ: **«مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ»**؛ **يَعْنِي**: أَيَّامَ الْعَشْرِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: **«وَلَا الْجِهَادُ**

فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»، رواه البخاري[1] بمعناه رَحِمَهُ اللهُ، وروى الإمام أحمد بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ»[2].

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ في الصحيح معلقًا مجزومًا: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا[3].

فهذه الأيام محل الذكر والتكبير ومحل الاجتهاد في العمل الصالح، فينبغي للمؤمن والمؤمنة والحجاج وغيرهم ينبغي للمسلمين جميعًا من الحجاج وغير الحجاج الاستكثار من الأعمال الصالحة في هذه الأيام العظيمة، من الصدقة، والصلاة، والعمل الصالح، من التكبير، والتهليل، والتحميد، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعيادة المرضى، إلى غير هذا من وجوه الخير، ينبغي الإكثار من أعمال الخير في هذه الأيام، هي أيام عظيمة، هي أفضل أيام السنة، قد تنازع العلماء هل أيامها أفضل؟ أم أيام العشر الأخيرة من رمضان؟ على أقوال، والأرجح في ذلك أن هذه الأيام هي أفضل الأيام لما فيها من يوم عرفة ويوم النحر؛ ولما بيَّنه الرسول ﷺ، من شأنها.

وأما الليالي فأفضلها ليالي العشر الأخيرة من رمضان؛ لأن فيها ليلة القدر، وهي أفضل الليالي، فأفضل الليالي ليالي العشر الأخيرة من رمضان، وأفضل الأيام هذه الأيام أيام العشر التي آخرها يوم النحر وهو

(١) تقدم تخريجه (ص٢٧٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٣٢ و٢/ ٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق ساقه بعد حديث (٩٦٨).

أفضل الأيام، فينبغي أن تعمر هذه وهذه بأنواع الخير بأنواع العمل الصالح، والتقوى لله ﷻ، وقد ثبت عنه ﷺ، أنه قال: «**إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ وَعِنْدَهُ أُضْحِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَأْخُذَنَّ شَعْرًا وَلَا يَقْلِمَنَّ ظُفُرًا**»[1].

وفي اللفظ الآخر: «**إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شَيْئًا**»[2]، رواه مسلم من حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها، هذا يدل على أن من أراد الضحية؛ **يعني**: من ماله فإنه يتجنب هذه الأمور الثلاثة: لا يأخذ من شعر، ولا من ظفر، ولا من بشرته؛ **يعني**: من جلده شيئًا حتى يضحي، وهذا المضحي الذي يضحي من ماله، أما الذي عنده وصية أو وقف هو غير داخل في هذا؛ لأن الضحية لغيره لأهل الوقف، وأهل الوصية إنما هو وكيل، وإنما المراد بهذا من يضحي عن نفسه؛ لأن الضحية سُنَّة وقربة وطاعة، قد أوجبها بعض أهل العلم مع اليسار، فالسُّنَّة للمؤمن أن يضحي عنه، وعن أهل بيته دائمًا كل سنة مع الاستطاعة شاة واحدة كما كان النبي يفعل عليه الصلاة والسلام، كان عليه الصلاة والسلام يضحي كل عام كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ يذْبَحَهُمَا بِيَدِهِ ﷺ، أحدهما عنه وأهل بيته، والثاني عن من وحَّد الله من أمته عليه الصلاة والسلام؛ فالسُّنَّة التأسي به، قال أبو أيوب ﷺ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يُضَحِّي بِالشَّاةِ الْوَاحِدَةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[3].

فالذي يضحي عنه وعن أهل بيته لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئًا، أما زوجته وبناته وأولاده فليس عليهم شيء؛ لأنهم غير مضحِّين،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أم سلمة ﷺ في كتاب الأضاحي، باب نَهْيِ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ وَهُوَ مُرِيدُ التَّضْحِيَةِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ أَوْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا.، برقم (١٩٧٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي أيوب ﷺ في كتاب الأضاحي، باب أن الشاة الواحدة تجري عن أهل البيت برقم (١٥٠٥)، وابن ماجه في كتاب الأضاحي، باب من ضحى بشاة عن أهله برقم (٣١٤٧)، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

إنما المضحي هو، هو الذي بذل المال، وأما قول بعض الفقهاء لا يجوز من يُضَحِّي أو يُضَحَّى عنه أن يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئًا، فهذا ليس عليه دليل أو يُضَحَّى عنه هذه الزيادة ليس عليها دليل، وإنما الدليل يختص بمن ضحى من بذل المال هو الذي لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره ولا من بشرته شيئًا، وأما من يُضَحَّى عنه فليس بِمُضَحي؛ ولكن المضحى عنه متصدَّق عليه، وهكذا الأمة ليسوا بمضحِّين بضحيته ﷺ، المعنى أنه لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئًا بسبب ضحيته عنه عليه الصلاة والسلام؛ ولكنهم لهم أجر في ذلك بسبب فعله عليه الصلاة والسلام.

المقصود أن الضحية قربةٌ وسُنَّة قد أوجبها بعض أهل العلم مع اليسار، فالسُّنَّة لمن عزم على الضحية ودخل الشهر أن يجتنب أخذ الشعر والظُّفُر والبشرة حتى يُضحِّي، ولا مانع من تسريح الشعر، ولا مانع من غسل الشعر كل هذا لا بأس به؛ ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة لما أرادت أن تحرم بالحج مع العمرة بسبب حيضها قال: «**انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِالْحَجِّ وَدَعِي الْعُمْرَةَ**»[1].

إنما المُحَرَّم قطع الشعر فإذا نقضت رأسها وغسلته أو مشطته فلا بأس بذلك وهكذا الرجل؛ لكن لا يتعمد قطع الشعر بالكد بالمشط ونحوه ولا يتعمده بشيء آخر، أما كونه ينقض الشعر ويغسله وينظفه فلا بأس بذلك، وما يسقط من شعر هو شعر ميت لا عبرة فيه ولا يُعَوَّل عليه ولا يُعَدُّ قاطعًا له.

وأسأل الله ﷻ، أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وأن يعيننا وسائر المسلمين من كل ما يقارب شرعه إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الحج، باب كيف تهل الحائض والنفساء، برقم (١٥٥٦)، ومسلم في كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه، برقم (١٢١١).

الأمانة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المباركة الطيبة، الوافية من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي، في موضوع الأمانة، ولقد أجاد وأفاد، وشرح ما ينبغي إيضاحه.

فالواجب على كل مؤمن، وعلى كل مؤمنة، أن يحاسب نفسه، وأن ينظر موقفه من الأمانة، وهل أدى الأمانة؟ كما أوجب الله عليه كل واحد يجب أن يحاسب نفسه، وينظر هل أدى الأمانة؟ لا بد من حساب النفس وجهادها، حتى يعلم هل أدى الأمانة أم لا؟ فالأمانة هي دين الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، هذا دين الله، توحيده وطاعته، واتباع رسوله، هو الأمانة العظمى كما سمعتم؛ وهكذا السمع والطاعة من الأمانة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، والحكم بالعدل من الأمانة، وإقامة الصلاة على الوجه الذي شرعه الله من الأمانة، وأداء الزكاة من الأمانة، إلى غير ذلك.

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤١٧هـ شريط رقم (٨).

ومن الأمانات أداء حقوق الناس، وعدم ظلمهم، والعدوان عليهم، ومن الأمانة العناية بالأهل والأولاد، والجد في إصلاحهم، وتوجيههم إلى الخير، والعمل بما يرضي الله والحذر من مساخط الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٨]؛ يعني: اختبار أنتم مختبرون بالأموال والأولاد فأدوا الأمانة في ذلك بتوجيههم إلى الخير، وصرف الأموال في طاعة الله واتباع شرعه والحذر مما يخالف ذلك؛ وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢] يرعون العهد، والأمانة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ يرعونها ويعتنون بها في جميع الأمور، مع الكافر، ومع المسلم، مع الزوجة، ومع الأولاد، مع الجيران، مع الحاكم، مع غيرهم.

هكذا يجب على المؤمن أن يؤدي الأمانة من جميع الوجوه، في دينه، وفيما بينه وبين الناس، وفيما بينه وبين أهله، وفيما بينه وبين أولاده، وفيما بينه وبين ولاة الأمور، يكون حريصًا على أداء الأمانة، يستقيم على طاعة الله، ويؤدي حق الله، ويحذر محارم الله، ويقف عند حدود الله، وينصح لله ولعباده، ويدعو إلى الله حسب علمه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلى غير ذلك، والخلاصة أن الأمانة هي الاستقامة على ما دل عليه كتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا يقول ﷺ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ**»(١).

وفي كتاب الله الأمر بطاعة الله ورسوله، وفي الرواية الأخرى:

---

(١) جزء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

«**كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»(١)، والقرآن يأمر بطاعة الله، وطاعة الرسول، يأمر بالسُّنَّة، فالقرآن إذا اعتصم به الناس، فالقرآن يأمر بطاعة الله ورسوله، فالأمانة هي أداء حق الله، وأداء حق عباده على الوجه الذي أمر الله به، وعلى الوجه الذي جاء به عن رسوله عليه الصلاة والسلام، هذه هي الأمانة، أن تقوم بحق الله بالإخلاص، والاستقامة على دينه، وأداء فرائضه وترك محارمه والوقوف عند حدوده، وأن تؤدي أيضًا حق الرسول ﷺ، باتباعه، والاستقامة على شريعته، والمحبة في ذلك، والموالاة في ذلك، والمعاداة في ذلك، ترجو ثواب الله وتخشى عقاب الله، وتبذل وسعك فيما يقرب من الله ويباعد من غضبه، وفيما ينفع الأمة ويجمعها على الحق، ويباعدها من الباطل.

فالأمانة شاملة، تشمل الدين كله، تشمل حق الله، وحق العباد، وحق الرسول ﷺ، وحق الراعي، وحق الرعية، وحق الزوجة، وحق الأولاد كله داخل في الأمانة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

جنس الإنسان ظلوم جهول؛ لكن المؤمن يقيد نفسه بالعلم والإيمان، المؤمن يتباعد عن الجهل بالعلم بشرع الله، ويتباعد عن الظلم باتباع شرع الله؛ بخلاف المنافق والكافر، والعاصي، كل منهم على

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العلم، (١/ ١٧٢) برقم (٣١٩)، والدارقطني في كتاب الأقضية، باب في المرأة تقتل إذا ارتدت (٣/ ٤٩٢) برقم (٤٥٢٥)، والبيهقي (١٠/ ١١٤)، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به. (انظر: الصحيحة للألباني رقم (١٧٦١)).

نصيبه من مخالفة الأمانة، أما المؤمن حقًّا فإنه يتباعد عن ما يخالف الأمانة فيؤدي حق الله، وحق عباده، بما عنده من العلم، والإنصاف، والحكمة، والبصيرة، حتى لا يقع في الظلم والجهل، والواجب على كل مؤمن أن يتقي الله، وأن يراقب الله مع أهله، وأولاده، وجاره، وولي أمره، وسائر إخوانه المسلمين حتى ينصح لله ولعباده، وحتى يؤدي ما أوجب الله، وحتى ينتهي عما حرم الله، وحتى يدعو إلى الله حسب علمه وقدرته، وحتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب علمه وقدرته، وحتى يقف عند حدود الله حسب قدرته وعلمه، هكذا المؤمن، كل مؤمن يحاسب نفسه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، وكان عمر في خطبه يقول: **حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ قبل أن توزنوا، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية**[(١)].

فكل مؤمن يُحاسب ينظر هل أدَّى الأمانة، هل أدَّى حقَّ الله؛ هل أدى حق عباده بما يستطيع أو خان الله ورسوله والمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وأنت مُمتَحن مُخْتبَر بمالك وولدك ومجتمعك؛ فلا بد أن تؤدي الأمانة لله بأداء حقه والإخلاص له، وتوحيده وأداء فرائضه وترك محارمه، والمحبة فيه، والبغضاء فيه إلى غير ذلك؛ ولا بد أن تؤدي حق الله من جهة ولي أمره بالسمع والطاعة في المعروف والنصح له، وإعانته على الخير؛ ولا بد أن تؤدي الأمانة مع أهلك وأولادك، ومع جيرانك، ومع إخوانك المؤمنين ترجو ثواب الله وتخشى عقاب الله.

وهذا كتاب الله فيه الهدى والنور، فالواجب تدبر كتاب الله:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب، برقم (٢٤٥٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٤٩).

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ما أنزل لمجرد القراءة، القراءة وسيلة، وفيها فضل؛ لكن المقصود ما وراء القراءة وهو العمل، المقصود العمل والقراءة وسيلة، كل حرف بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فاقرأ وتدبر حتى يحصل المطلوب، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ويقول سبحانه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ويقول سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

أُنزل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بالعمل به والاستقامة على ما دل عليه قولًا، وعملًا، وعقيدة، أمرًا، ونهيًا، وما قصه عن الماضين حتى تعتبر، وحتى تبتعد عما قص الله عليك من أخبار الظلمة، والمشركين، وحتى تأخذ بأخبار المؤمنين والصالحين.

ثم السُّنَّة وهي سُنَّة الرسول ﷺ، هي الوحي الثاني، عليك أن تعمل بها لأن الرسول أعطاه الله القرآن ومثله معه وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

فالواجب العناية بسُنَّته، والحرص عليها وحفظها واتباعها، والدعوة إليها؛ لأنها تفسر القرآن، وتبين معناه، وتزيل ما قد يشكل في كتاب الله ﷻ، كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] الله أوحى إليه الذكر، وأوحى إليه الوحي الثاني؛ حتى يعلم الناس؛ حتى يبصر الناس ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤] فهو ﷺ المبين للأمة، والمرشد للأمة فيما يخفى عليها، والموضح لها سبيلها، ودينها، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فعلى كل مسلم، وعلى كل مكلف أن يتقي الله، وأن يوحد الله، وأن يعظم أمره ونهيه، وأن يقف عند حدوده، وأن يدعو إليه حسب طاقته وعلمه، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حسب طاقته وعلمه كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الأمة كلها مخاطبة، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فالأمر عام والدعوة عامة، وإذا عيّنتِ الدولةُ طائفةً خاصة صار واجبها أكبر؛ ولا يسقط الواجب عن غيرها، عليها واجبها، وعلى غيرها أن يقوم بواجبه، فيحصل التعاون على البر والتقوى.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، كلهم، الأمة كلها؛ فلا يحصل الربح الكامل للجميع إلا بهذه الأمور الأربعة، إيمان صادق بالله ورسوله، وعمل صالح بما شرع الله، وتواصٍ بالحق، وتواصٍ بالصبر، هذا هو طريق النجاة، هذا هو طريق الربح، هذا طريق السعادة، الإيمان بالله ورسوله، إيمانًا صادقًا، إيمانًا يتضمن العمل بما أوجب الله، وترك ما حرم الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، إيمانًا يتضمن التواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، إيمانًا يتضمن الصبر على ذلك بكل معناه، الصبر على طاعة الله، والصبر عن محارم الله، والصبر على أقدار الله وأقضيته.

هذا هو الإيمان، وهذا هو الدين، وهذا هو أداء الأمانة، وهذا هو النصح لله؛ ولعباده، أن تقوم بهذا كله، إيمان صادق بالله ورسوله، عمل صالح بأداء فرائضه وترك محارمه، تواصٍ بالحق وتعاون على البر والتقوى، وأمر بمعروف ونهي عن منكر حسب طاقته ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ثم الصبر؛ لا بد من الصبر ما تُحصِّل المطالب العالية؛ إلا بالله ثم بالصبر، من لم يصبر ما يفعل شيئًا؛ لا بد من الصبر، قال الله لنبيه: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، قال الله له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ فلا بد من الصبر ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، الله أمر نبيه، وأمر أنبياءه بالصبر، وصبروا عليهم الصلاة والسلام، فأنت أيها المؤمن، وأنتِ أيتها المؤمنة عليكما التأسي بالرسل عليهم الصلاة والسلام بالصبر في أداء حق الله، وفي أداء حق عباده والحذر من الجزع، والملل والضعف حتى لا يفوت الحق، وحتى لا يقع الباطل.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، ونسأل الله أن يمنحنا وإياكم العناية بكتابه، والإخلاص بطاعته، والحذر مما يغضبه جلَّ وعلا، ونسأل الله أن يمنَّ على المسلمين بالتعاون على البر والتقوى وبالتواصي بالحق، وبالنصح لله؛ ولعباده، ونسأل الله أن يجزي أخانا صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي عن كلمته خيرًا، وأن ينفعنا جميعًا بما سمعنا، وأن يعيذنا وإياكم من مضلات الفتن، ومن نزغات الشيطان، إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

❊ ❊ ❊

خطر اللسان

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة الطيبة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد العرفج، فيما يتعلق باللسان، وأخطاره، ووجوب **حفظه وصيانته؛ لقد أجاد وأفاد.**

الواجب على الجميع، العناية بما بُيِّن لكم، وذلك بالعناية بحفظ اللسان، والحذر من أخطاره العظيمة، ولقد أجاد فضيلته وأحسن، جزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

والمؤمن إذا وُعِظ اتَّعظ وتذكر، يقول جلَّ وعلا: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] اللسان شره عظيم، وخطره كبير وهو سريع الحركة، خفيف الحركة؛ ولهذا يقول ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»**(٢).

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على كلمات المشايخ في موسم حج عام ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ في كتاب الشهادات، باب في =

وفي اللفظ الآخر: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ»[(١)].

والله يقول جلَّ وعلا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقد أوصى ﷺ بعض الصحابة: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[(٢)].

وقال لمعاذ لما قال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[(٣)].

فالخطر عظيم، ويقول جلَّ وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، ويقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه»[(٤)].

= قلة الكلام، برقم (٢٣١٩)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٦٩)، وصححه الألباني.

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، برقم (٢٩٨٨).

(٢) يشير بذلك لحديث عبد الله بن بسر ﷺ الذي رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في فضل الذكر، برقم (٣٣٧٥)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم (٣٧٩٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب، برقم (٣).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، برقم (٤٧).

فاللسان أمره عظيم؛ فإما أن يقول خيرًا، وإما أن يسكت، إما يتكلم بالخير، وإما السكوت؛ لعله ينجو، والحزمُ، والكَيْسُ، أن تستعمله في ذكر الله، في الاستغفار، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، في الدعوة إلى الله، في الإصلاح بين الناس، في كل خير، أما المباح فتكلم فيه إذا دعت الحاجة إلى المباح، أما السوء؛ فالواجب الحذر من السب، الشتم، وظلم الناس باللعن وغيره، أو الكذب، آفات اللسان كثيرة، فيجب الحذر منها، وأن تصونه وتحفظه إلا من الخير، وقد أتى الرسول ﷺ بكلمة جامعة، من جوامع الكلم فقال ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»** هذا هو الحزم، هذا هو الكيس، إما أن تقول خيرًا، وإما الصمت، واستعماله في ذكر الله، في التسبيح، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هذا من أحسن ما يكون، هذا هو العمل الجيد، هذا هو الحفظ في الحقيقة، أن يستعمل في الخير، وأن تمسكه عن الشر.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

وهذه الأيام أيام العشر، أيام عظيمة ينبغي فيها الإكثار من التهليل والتكبير، والاستغفار، يقول النبي ﷺ: **«مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ»**(١).

وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما: «يَخْرُجانِ إلى السُّوقِ في أيام العشر يُكبِّرَان؛ يعني: في أيام العشر فيكبران، ويُكبِّرُ الناسُ بتكْبيرهِما»، فالإكثار من التكبير والتهليل، والتحميد في هذه الأيام

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٢/ ٧٥) وتقدم (ص٢٧٩).

العشر فيها خير عظيم، وهذه الأيام أيام تكبير، وتهليل، وفي اليوم التاسع يوم عرفة يكون في أدبار الصلوات، وفي جميع الأوقات، التكبير في أدبار الصلوات، وفي جميع الأوقات في يوم عرفة، ويوم العيد، وأيام التشريق الخمسة، عرفة، والعيد، وأيام التشريق الثلاثة الجميع خمسة، كلها محل تكبير، أدبار الصلوات وفي جميع الأوقات، وهو محل ذكرٍ، كَانَ عُمَرُ ﷺ يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمِنًى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ، حَتَّى تَرْتَجَّ مِنًى تَكْبِيرًا[١].

وهكذا الصدقات في هذه الأيام هي أفضل أيام الزمان، أفضل أيام السنة أيام العشر، عشر ذي الحجة، وأفضل الليالي، ليالي العشر الآخرة من رمضان لأن فيها ليلة القدر، فالعشر الأخيرة من رمضان أفضل الليالي، وأيام العشر من ذي الحجة أفضل الأيام، وعاشرها يوم الحج الأكبر يوم النحر؛ فينبغي ويشرع للمؤمن في هذه الأيام الإكثار من ذكر الله بالتحميد، والتهليل، والتكبير، والصدقات، والإحسان إلى الناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ﷻ، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، والطواف إذا تيسر، إلى غير هذا من وجوه الخير، وقد اجتمع للحجاج والمقيمين هنا في هذا البلد الأمين فضل الزمان والمكان، فضل الزمان هي هذه العشر، وفضل المكان الحرم الشريف.

نسأل الله أن يوفق الجميع للمسابقة إلى كل خير، والمسارعة إلى أسباب النجاة، وأن يعيذ الجميع من أسباب غضبه، ومن شرور النفس وسيئات العمل إنه جلَّ وعلا جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة، ساقه بعد حديث رقم (٩٦٩).

تربية الأولاد

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المباركة الطيبة، المهمة في موضوع عظيم، جدير بالعناية، ألا وهو موضوع تربية الأولاد، وأهل البيت، والعناية بهم، سمعنا ذلك من صاحب الفضيلة الشيخ أحمد بن محمد أبو بطين، وقد أجاد جزاه الله خيرًا وأحسن، وأبان ما ينبغي بيانه فجزاه الله خيرًا وضاعف مثوبته، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

أيها الإخوة في الله، إن هذا الموضوع جدير بالعناية من كل واحد من المسلمين، أن يُعنى بنفسه وأهل بيته ليلًا، ونهارًا؛ لأن الله أمر بذلك؛ ولأنهم تحت رعايته: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[2].

الله أمر عباده أن يقوا أنفسهم وأهليهم نارًا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦] عليها ملائكة متى قيل لهم خذوه إلى النار أخذوه من دون رحمة، بخلاف حرس الدنيا، فقد

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٧هـ.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٩).

يخونون، وقد يضعفون، أما هؤلاء فهم أمناء ينفذون ما أُمروا به، فاحذر يا عبد الله أن يأخذوك، بسبب تفريطك، وإهمالك.

ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، أمرك الله بالإحسان إلى والديك بعدما أمرك بحقه بعبادته وحده، قرن ذلك بحقه أن تعبده وحده، وهذا أعظم الأمور، عبادته وحده أعظم الأمور، وأعظم الواجبات، ثم قال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ إلى آخره، عشرة حقوق أعظمها، توحيد الله والإخلاص له، ثم حق الوالدين والإحسان إليهما، ثم بقية القرابة من أولادِك ذكورًا وإناثًا، واليتامى الذين عندك؛ لأخيك، أو لولدك، أو لعمك، أو لغيرهم، والمساكين الفقراء، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، كل هؤلاء يجب الإحسان إليهم، حسب الطاقة، ومن أعظم الإحسان أمرهم بطاعة الله، وإلزامهم بحق الله، إذا كان لك سلطان عليهم، ويقول لنبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وهو نبي الله، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ويقول عن نبيه ورسوله إسماعيل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، ونبينا ﷺ يقول: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ ومسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، فالإمام راع عن الناس ومسؤول عن رعيته، مسؤول عن الرعية هل قام بحق الله فيهم؟ هل ألزمهم بالحق؟ هل قسم فيه بالسوية؟ وهكذا، «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» عن زوجته وعن أولاده، وعن من تحت يده من أيتام وخدم وعمال وغير ذلك، يجب أن يتقي الله فيهم، وأن يقوم فيهم بأمر الله، ويلزمهم بحق الله حسب طاقته.

«وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»، فالمرأة مسؤولة عن أولادها ومن عندها في البيت أن ترعاهم وتتقي الله فيهم بأمرهم بطاعة الله، ونهيهم عن معاصي الله، وأهم شيء الصلوات، أهم شيء من الطاعات بعد الشهادتين الصلوات الخمس، هي عمود الإسلام، فعلى الرجل أن يعتني بها مع أهل بيته، وعلى المرأة أن تعتني بذلك، مع أهل بيتها، وأن تكون قدوة صالحة في بناتها، وأخواتها، وغير ذلك، وهكذا الرجل، يجب أن يكون قدوة صالحة؛ لأولاده وأهل بيته بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، فإن الأولاد ومن في البيت يتأسون بصاحب البيت في شر وخير.

فالواجب أن يتقي الله، وأن يكون قدوة في الخير، في المحافظة على الصلوات، في حفظ اللسان عما لا ينبغي، حفظ الجوارح عما لا ينبغي، أداء ما أوجب الله، وترك ما حرم الله، وتطهير البيت مما حرم الله، من المسكرات، من آلات الملاهي، وغير هذا مما يضر أهل البيت.

يقول ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»(١). ابن عشر يضرب، وابن سبع، وابن ثمان، وتسع، يؤمر، ويبين له، ويوصى، فإذا بلغ عشرًا فأكثر، ضرب إذا تخلَّف حتى يستقيم، فإذا بلغ الحُلم استحق أن يقتل، إذا لم يُصَلِّ يُستتاب فإن تاب وإلا قتل بعد البلوغ، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، دل على أن من لم يؤدِ الصلاة، والزكاة لا يخلى سبيله، ويقول ﷺ: «إِنِّي نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في الحكم في المخنثين، برقم (٤٩٢٨)، وصححه الألباني.

دل على أن من لا يصلي؛ لم يُنْهَ عن قتله، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وأنت في هذه الدار، وفي هذه الدنيا مسؤول عن أولادك، عن الصغار، الذين بلغوا سبعًا في أمرهم، ووصيتهم، وملاحظتهم، وإذا بلغوا عشرًا، في ضربهم، وتأديبهم، إذا تخلفوا، أما إذا بلغوا الحلم هناك أمر آخر، يجب أن يقام عليهم، ولو برفعهم إلى الحاكم الشرعي، والجهات المختصة، حتى يقام عليهم أمر الله بالقتل، إذا لم يتوبوا، والغالب، وسُنَّة الله في عباده أن صاحب البيت إذا استقام وجاهد نفسه، استقام مَن تحت يده، وتابعوه، وتأسوا به، إلا ما ندر؛ لكن ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، إنما عليه الأسباب، عليه بذل الأسباب، والصبر والمصابرة، والله سبحانه هو الموفق والهادي، الهداية بيد الله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾؛ لكن عليه الصبر والمتابعة، والمثابرة، والاستمرار، في نفسه بأن يكون قدوة صالحة، وفي أمرهم، وضربهم، إذا بلغوا العشر، وفي أمرهم قبل ذلك، إذا بلغوا السبع، وفي غير هذا من شؤونهم؛ كمنعهم من تعاطي المسكرات، منعهم من آلات الملاهي، منعهم من مجالسة الأشرار، إلى غير هذا مما يجب، يلاحظهم في كل شيء؛ حتى يسيروا على الطريق السوي.

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، نسأل الله أن يعين كل مؤمن على أداء الحق الذي عليه، نسأل الله أن يعيننا وإياكم على أداء الحقوق الواجبة علينا، وأن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين من الهداة المهتدين، وأن يجزي أخانا الشيخ أحمد عن كلمته خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

العدوى

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المباركات من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي في موضوع العدوى المادية والعدوى الاجتماعية الخُلقية الدينية، وهي كلمات واضحة، ومعناها يرد، لا تحتاج إلى كثير من التعليق، فالأمر هو كما قال فضيلته، فالمسلمون قد أُصيبوا بهذه العدوى التي سمَّاها النبي ﷺ التشبه بأعداء الله، فهي التشبه بأعداء الله في الأخلاق، والأعمال، وفي العقائد.

وقد حذر منها النبي عليه الصلاة والسلام، كما حذر منها المولى جلَّ وعلا في كتابه العظيم، فإذا كانت العدوى المادية يحذر منها الأطباء وهي معلومة قد بيَّنها النبي عليه الصلاة والسلام، ونفاها بقوله: **«لَا عَدْوَى»** إلى آخره، وبيَّن ما يجب اتقاؤه من ذلك لا من أجل ما تعتقده الجاهلية في العدوى وأنها تعدي بطبعها، وأن المرض يعدي بطبعه، وأنه ينتقل بدون إذن من الله ولا قدر سابق، وهذا باطل، ولهذا

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٧).

نفاها عليه الصلاة والسلام وقال: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ**» الحديث[1]؛ ولكنه نهى عن الأسباب التي تجلب ذلك، تجلب نقل المرض من مريض إلى صحيح لما سمعتم من الحديث: «**لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[2]، وحديث: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**»[3].

هذه عدوى معلومة، نهى النبي ﷺ عن أسبابها، وبيَّن أنها ليست عدوى كما تقول الجاهلية؛ ولكنها انتقال لمرض من مريض إلى صحيح لأسباب المخالطة والاتصال، بل جعله الله ﷻ إذا شاء سببًا لانتقال المرض من المريض إلى الصحيح، فالعدوى الخُلقية، والعقدية، والدينية، والاجتماعية، أشد وأخطر، وأسرع؛ ولهذا عني بها المصطفى عليه الصلاة والسلام أكثر، ودل القرآن على التحذير منها في مواضع كثيرة، كل ذلك لما في الاختلاط بأعداء الله، وبأهل البدع والمعاصي من الشر العظيم والفساد الكبير، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٨، ٦٩].

فحذر من استمتاعنا بخلاق أعداء الله وخوضنا كخوضهم؛ لما يجر ذلك من الفساد العظيم، والشر الكثير، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، فنهانا عن

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الجذام، برقم (٥٧٠٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، برقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ في كتاب الطب، باب لا هامة، برقم (٥٧٧١)، وأبو داود في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٩١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٤٣).

التشبه بأعداء الله بالإعراض عن الله، وعن طاعته، وقال ﷺ: «**لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ**»[١].

وقال: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[٢].

وضرب أمثالًا للجليس الصالح والجليس السوء، وقال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ؟ قَالَ: «**لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا**»[٣].

كل ذلك مما يحذر من هذه البلية، ومن هذا البلاء الذي هو الاختلاط، والتشبه بأعداء الله، فالواجب على أهل العلم والإيمان، أن ينتبهوا لهذا الأمر، وأن يخصوه بمزيد عناية، بالتحذير من الاختلاط بأعداء الله، والأنس بهم، وهكذا أهل البدع والمعاصي الظاهرة؛ لأن ذلك يجر إلى التساهل بها، ثم الوقوع فيها، فكم من صالح خالط خبيثًا مريضًا بمرض الفجور، أو بمرض الكفر فانتقل إليه ذلك بأسرع وقت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا شك أن الاختلاط بأعداء الله سواء كان بالسفر إليهم في بلادهم والاجتماع بهم، أو جلبهم إلى بلاد المسلمين للعمل وغيره، لا شك أن هذا من أعظم الأمراض الاجتماعية، ومن أعظم أسباب الفساد والشر؛ ولهذا حذر الله منهم ورسوله، وكلما تأمل المؤمن هذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه (٤/ ١٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الحَمّام باب في لبس الشهرة، برقم (٤٠٣١)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، برقم (٢٦٤٥)، والترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، برقم (١٦٠٤)، وصححه الألباني.

الأمر، وكلما أمعن فيه البصيرة اتضح له من أضراره وشره، وفساده ما لم يتضح له قبل ذلك؛ ولكنه في الجملة معلوم لدى أهل العلم والإيمان، ولدى عامة المسلمين الذين عندهم بعض الحياء وبعض البصيرة، يعرفون ذلك، ويعرفون سرعة الانتقال، سرعة انتقال الشر من أهل الشر إلى أهل الخير بالمخالطة، والمجالسة، والمزاورة إلى غير ذلك، ولا ينفع مجرد العلم بذلك حتى يبذل طالب العلم وسعه في محاربة ذلك بقوله، وقلمه، فيكون ناصحًا لله ولعباده، قولًا، وعملًا، في أي مكان كان، في الطائرة، في السيارة، في القطار، في الصحة، في المرض، في أي حال يُبدي ما لديه، ويحذر إخوانه من أسباب الشر والفساد، وينصح لله ولعباده في إنكار المنكر، والدعوة إلى تركه والاستقامة على المعروف هكذا، فإذا قام هذا بواجبه، وهذا بواجبه، وهذا بواجبه، انتشر الخير، وابتعد عن مشابهة أعداء الله من اليهود وأشباههم، وإذا سكت هذا، وسكت هذا، وسكت هذا، كثر الشر وانتشر الفساد، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسُّنَّة بدعة، والبدعة سُنَّة، بسبب السكوت والغفلة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ووفق الجميع؛ للدعوة إليه على بصيرة؛ وللأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ ولنشر الحق بكل طريق يوصل إلى ذلك مما شرعه الله لعباده، وجزى الله أخانا الشيخ محمد الدريعي خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

العناية باللغة العربية

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

قد سمعنا جميعًا هذه الكلمات المباركات من صاحب الفضيلة الشيخ أحمد فهمي فيما يتعلق بالعناية باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت بها سُنَّة الرسول الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، فجزاه الله خيرًا وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

ولقد أحسن بهذه النصيحة، وبهذا التنبيه بارك الله فيه.

ولا ريب أن الدعاة إلى الله من أولى الناس بالعناية بهذا الأمر حتى يبلِّغوا عن الله، وعن رسوله، كما جاء عن الله، وعن رسوله، وحتى يحملوا الرسالة كما حُمِّلوها، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فهذه اللغة التي جاء بها القرآن وجاءت بها السُّنَّة هي الوسيلة إلى تفهيم الناس وهم العرب، تفهيم الناس مراد الله، ومراد رسوله عليه الصلاة والسلام، فيما يتعلق بالأحكام والعقائد وغير ذلك، وهكذا غير العرب يفهمونها بالترجمة إلى لسانهم، وإذا لم يُجدها باللغة العربية كيف يترجمها إلى الجهة الأخرى إلى اللغة الأخرى، سوف يأتي الغلط في الترجمة، فالواجب العناية بها مبلغة بلسان العرب أو مبلغة بلسان العجم؛ لا بد من العناية حتى يُبلِّغ اللفظ

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٤).

والمعنى على الوجه الذي جاء في كتاب الله، وفي سُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وحتى ينقل المعنى إلى اللغات الأخرى كما فُهم من اللغة العربية الفهم الصحيح، وهذا لا شك يغلط فيه كثير من الناس لعدم إتقان ما نقلوه من اللغة سواء كان من الآيات أو من الأحاديث، قد يغلط في الآية، قد يغلط في الحديث، قد يغلط فيما ينقله من كلام أهل العلم؛ لعدم العناية بضبط هذه اللغة، وتراكيبها، وأساليبها.

فالواجب على المبلغ عن الله، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام أن يعنى بذلك، وأن يتذاكر مع إخوانه فيما أشكل عليه، وأن يراجع كلام أهل العلم فيما أشكل عليه من كلام أهل التفسير، وشراح الحديث، وأئمة اللغة في كل ما أشكل من كلمة أو تركيب أو غير ذلك، حتى يؤدي عن الله، وعن رسوله، كما أراد الله ورسوله، والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نبلغ عن الله وعن رسوله؛ ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعناية بهذه اللغة وإتقانها، والحرص على فهم معانيها حتى تؤدَّى بالأمانة، حتى تكون الأمانة متوفرة في الأداء، فإذا قصر الإنسان في ذلك وتساهل، فقد يقع في أغلاط كثيرة، ويكون ذلك خيانة للأمانة، وإن لم يتعمد ذلك، ويقصد ذلك؛ لكن بسبب تقصيره وعدم عنايته بحمل هذه اللغة، وأدائها كما تحملها.

ولا يخفى اليوم أن أكثر الخلق، أكثر الناس المنتسبين للعلم قد يُعنى بالمعاني، ولا يُعنى بالألفاظ، فيقع فيه الخلل في المعاني بسبب عدم عنايتهم في إتقان الألفاظ، وقد يُعنى قوم بالألفاظ ويهتمون بالألفاظ؛ ولكن لا يعنون بالمعنى فلا يفهم المراد؛ ولكن يقيم الحروف فقط، يقيمها كما وقع للخوارج يقيم قراءة بإقامة عظيمة كالقدح، كإقامة القدح «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وقراءته مع قراءتهم**»؛ لكنهم لا يتلون المعنى ولا يفهمون المعنى، بل يحملونه على غير ما أراد الله، وعلى غير ما أراد رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فلهذا

وقعوا في تكفير الناس، ووقعوا في أغلاط كثيرة؛ يعني: وقعوا في تكفير أهل الإيمان بالمعصية بسبب أغلاطهم، ووقعت المعتزلة كذلك في التخليد في النار للعصاة بسبب أغلاطهم في اللغة العربية، فالمقصود أن الواجب العناية باللفظ والمعنى جميعًا، ومن عُني باللفظ ولم يُعْنَ بالمعنى فقد يقع في أغلاط كبيرة من جهة المعنى، كما وقع للخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع، وقد يُعنى بالمعنى وهو الأهم، وهو الأوجب، ويقع له أغلاط في الألفاظ؛ لكنها تكون أقل، وأسهل من وقع من الوقوع في أغلاطه في المعنى، فلا ينبغي له أن يتساهل لا في هذا ولا في هذا؛ بل يجب بأن يعنى بهذا وهذا، حتى تكون الألفاظ سليمة، وحتى يؤدي المعنى كما أراد الله ورسوله، وهذا وسيلة لهذا، العناية بالألفاظ وسيلة لأداء المعاني والأحكام، كما أراد الله ورسوله، ووسيلة إلى ترجمتها إلى اللغات الأخرى كما أراد الله ورسوله، فمن قصر في هذا أو في هذا جاءه الخلل في أدائه لهذه الرسالة، وتبليغه هذه الأمانة.

رزقنا الله وإياكم التوفيق والهداية ووفقنا جميعًا بالأداء عن الله وعن رسوله كما أراد الله ورسوله وأعاذنا جميعًا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وجزى أخانا الشيخ أحمد عن كلمته خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

التقليد والاجتهاد

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات من صاحب الفضيلة الدكتور مانع الجهني في موضوع جدير بالعناية وهو موضوع التقليد والاجتهاد، وما حصل بسبب التعصب لبعض الأئمة من بعض أتباعهم من الفساد، والفرقة، والاختلاف، والشحناء، والعداوة، وقد أحسن في إثارة هذا الموضوع ليتهيأ الدعاة إلى الله ﷻ، في علاجه والنصيحة من البُعد عن أسباب الفرقة والاختلاف وتوجيه المسلمين إلى الخير ولا سيما طلبة العلم والدعاة إلى الله ﷻ فإنهم الذين يُناط بهم هذا الأمر لتوجيه الناس إلى التعاون على الخير، والتفاهم وتقديم الحق والأخذ بالدليل وعدم التعصب لفلان أو فلان، ولقد أجاد الدكتور مانع فيما ذكر وجزاه الله خيرًا وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدى وتوفيقًا.

لا شك أن هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي قد أحس المسلمون منها بتعب كثير ولا سيما الدعاة إلى الله والموجهون والمعلمون في كل مكان، فالواجب على أهل العلم أن يبصِّروا الناس، وأن ينصحوا أهل التعصب والتقليد الأعمى بترك ما هم عليه، وأن يسألوا عما تقتضيه الأدلة حتى يأخذوا به، وحتى يستقيموا عليه، وأن

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٥).

يرشدوا أتباع المذاهب الأربعة إلى أنهم إخوة في الله ﷻ، دينهم واحد ونبيهم واحد وشريعتهم واحدة، فلا وجه للشحناء والعداوة والاختلاف، والتعصب الذي لا وجه له، فالأمر مُناط بأهل العلم، والعامة ليس في أيديهم شيء إنما هم تبع لغيرهم.

فالعامي يسأل أهل العلم وهم الذين يرشدونه ويعلمونه، وإنما إثم هذا الأمر وتبعيته وخطره ينبع من تعصب بعض العلماء لرأي أهل مذهبه، أو إمامه أو شيخه، فالمسؤولية على أهل العلم والخطر في ذلك إنما ينجم عن تعصب هذا العالم، أو هذا العالم أو هذا الشيخ، أو هذا التلميذ فيحصل بذلك فرقة واختلاف ونزاع وشحناء، هذا يقول ما قاله فلان هو الصواب، وهذا يقول ما قاله فلان هو الصواب، ثم يتبع ذلك شدة، وربما تبع ذلك أذى وخصوم وظيفة، وربما تبع ذلك ما هو أشد من سجن، أو ضرب، أو غير ذلك.

فالواجب على أهل العلم أن يوضحوا للناس حقيقة هذا الأمر، وأن يرشدوهم إلى أن الواجب على العلماء في كل بلد وفي كل قبيلة وفي كل قرية، وعلى الدعاة إلى الله ﷻ، وعلى القضاة أن يرشدوا الناس إلى أن الواجب اتباع الحق، وما قام عليه الدليل من كلام الله، أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام، أو أجمعت عليه الأمة، أجمع عليه العلماء، وأنه لا يجوز التعصب لقول أحد من الناس من غير دليل.

فلا يجوز للحنفي أن يتعصب لقول أبي حنيفة أو قول محمد، أو قول أبي يوسف، أو قول فلان أو فلان، ولا يجوز للشافعي كذلك، ولا لمالك كذلك، ولا للحنبلي كذلك، ولا يجوز لأحد أن يتعصب لقول شيخه أو أبيه، أو جده، أو ما أشبه ذلك؛ بل الواجب اتباع الدليل، والتمسك بما دلت عليه الأدلة الشرعية بوجوب، أو تحريم، أو استحباب، أو كراهة، أو إباحة مع الإنصاف وتحري الحق، واللطف في الكلام، وعدم الشدة، وعدم العنف كما قال الله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال الله جلَّ وعلا لموسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون عدو الله قال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(٢).

فلا بد من الحكمة في الدعوة والتوجيه، ولا بد من اللين، ولا بد من إظهار الأخوة والمحبة، وأن الهدف هو الوصول للحق؛ ليس الهدف نصر قول فلان أو نصر قول فلان؛ بل الحق فوق الجميع.

قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فأمر سبحانه بالرد إليه؛ يعني: إلى كتابه العظيم، والى رسوله؛ يعني: إليه في حياته عليه الصلاة والسلام والى سُنَّته بعد وفاته، وهذا هو الخير للمؤمنين، وهو الأحسن لهم في العاقبة.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جرير رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٢)، والإمام أحمد (٤/ ٣٦٢ و٣٦٤)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرفق، برقم (٤٨٠٩)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب الرفق، برقم (٣٦٨٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٤).

عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فالواجب على العلماء أن ينتبهوا لهذا الأمر وأن لا يحملهم حب المذهب أو حب الشيخ على خلاف الحق، يقول عمار بن ياسر الصحابي الجليل رضي الله عنه فيما ذكره البخاري رحمه الله: ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ـ بدأ بها ـ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ[1].

هذه الثلاثة لها شأن عظيم، وأعظمها الإنصاف بالنفس، فالمؤمن ينصف من نفسه ولا يجعل نفسه هو الحكم فيما يوافق هواه، أو هوى شيخه، فمن ينصف بالنفس ويحكم الدليل ويخضع له، وينقاد له سواء له، أو عليه والمسؤولية في هذا والتبعية في هذا كلها على أهل العلم والدعاة إلى الله، العامة ليس في أيديهم من هذا شيء، وإنما يوجهون، ويعلمون حتى لا يزيغوا، حتى لا يغلو أحد بسبب هذا الشيخ الذي أرشدهم أو علمهم التعصب والشدة.

ولا ريب أن هذا يؤثر إذا استقام الدعاة عليه والعلماء وهداهم الله إليه وصبروا عليه؛ لا بد أن يؤثر في البلد في القرية في القبيلة، لا بد أن يؤثر حتى ينتبه الناس حتى يعلموا أن الواجب عليهم هو الأخذ بالدليل والبحث عما دل عليه كتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن هذا هو رأي أهل العلم، هو رأي الصحابة رضي الله عنهم هو رأي التابعين، هو رأي الأئمة الأربعة كلهم أبو حنيفة، مالك، والشافعي، وأحمد كلهم على هذا الرأي كلهم ينهون أتباعهم أن يقلدوهم أو يتعصبوا لهم، ولا يرضون من أحد أن يتعصب لواحد منهم، أو لواحد من أتباعهم كلهم يأمرون بالأخذ بالشرع الأخذ بالأدلة، ومن ذلك ما هو مشهور عن

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام ساقه بعد حديث، رقم (٢٧).

أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: إذا جاء الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى العين والرأس[١]، إذا صح الحديث عن رسول الله فهو مذهبي، وقال الشافعي: إذا قلت قولًا وقول رسول الله يخالفه فخذوا بقول رسول الله ودعوا قولي[٢]. وفي اللفظ الآخر: فاضربوا بقولي عرض الحائط[٣]. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع الناس على أن من استبانت له سُنَّة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان[٤]، وهذا هو الإنصاف، وهو الحق.

وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر[٥]، وكلامه في هذا المعنى كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرشاد إلى اتباع الحق وعدم تقليد الشيوخ، وعدم التعصب لهم، وهكذا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقلدني ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي وخذوا من حيث أخذنا[٦]؛ **يعني**: خذوا بالدليل، اتبعوا الأدلة، وتأملوا، وأرشدوا أتباعكم إلى ذلك، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته؛ **يعني**: إلى النبي ﷺ، يذهبون إلى رأي سفيان[٧]؛ **يعني**: ابن سعيد الثوري مع أنه إمام كبير، والله يقول سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فحذر الناس من الذهاب إلى قول سفيان الثوري مع

---

(١) «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (ص١١١).

(٢) ابن عابدين في «الحاشية» (١/ ٦٣).

(٣) البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٦٢)، انظر: «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٠/ ٢١١).

(٤) انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٤٣٠) من أقوال العلماء في ذلك المعنى.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٩٥) وعلقه البخاري بصيغة أخرى في جزء القراءة باب وجوب القراءة للإمام والمأموم: قال ابن عباس ومجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

(٦) أورده الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] (٢/ ٣٤٨).

(٧) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ١٠٤)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول» (١/ ٥٩).

علمهم بالسُّنَّة، وثبوت الإسناد لديه، وهذا هو الحق، هذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه.

الواجب على العلماء أينما كانوا أن يتبصَّروا، وأن يدرسوا كلام أهل العلم حتى يستفيدوا من كلامهم، وأنهم جميعًا متفقون على أن الواجب تقديم الأدلة الشرعية والأخذ بها، وتقديم ما نصره الدليل سواء من أقوال الأئمة الأربعة، أو من غيرهم أو من أقوال السلف الماضي، حتى يستقيم للمؤمنين اجتماعُهم، وتعاونُهم، وتعاطُفهم على بعضهم، وحتى لا يكون هناك شحناء، وعداوة، فالحاكم بين الناس هو الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وكتابه فيه حكمه، وكلام رسوله فيه حكمه عليه الصلاة والسلام.

فالله ﷻ هو الحاكم بين عباده من طريق كتابه، ومن طريق رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ومن إجماع أهل العلم، فإنهم لا يجمعون على باطل، فإذا أجمع أهل العلم على شيء فهو الحق، والواجب اتباع سبيلهم، وعدم الخروج عن سبيلهم، فأرجو من إخواني الدعاة إلى الله، وأرجو من كل عالم في كل مكان أن يتحرَّى هذا الأمر، وأن يعتني به، وأن يصمم على إرشاد إخوانه وزملائه إلى هذا الأمر حتى ينصفوا من أنفسهم، وحتى يرشدوا غيرهم إلى ذلك، وحتى يسود بين الإخوة وأهل العلم، ودعاة الحق حتى يسود بينهم الإنصاف، والوئام، وتسود بينهم المودة، والمحبة، والتعاون على الخير.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ووفق المسلمين في كل مكان لما فيه رضاه، ولما فيه صلاح عباده وولى عليهم خيارهم، وجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وجزى أخانا فضيلة الدكتور مانع خيرًا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

❊ ❊ ❊

فضل نشر العلم

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد(١):

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات من أخينا في الله فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي، فيما يتعلق بنشر العلم، والدعوة إلى ما بعث الله به نبيه عليه الصلاة والسلام، والحرص على هداية الناس وإبلاغهم شريعة الله، وتحذيرهم مما يضرهم في العاجل والآجل، فجزاه الله خيرًا وزادنا وإياكم وإياه، علمًا، وهدى، وتوفيقًا.

ولا ريب أن الواجب على أهل العلم، وطلبة العلم، هو العناية بإبلاغ رسالة الله، والحرص على توجيه الناس إلى الخير، كما أشار إليه فضيلته.

الله بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، مبلِّغين، ومذكِّرين، ومنذرين، ومبشِّرين، وهداة للخلق، ودعاة للحق، هكذا بعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، والعلماء هم خلفاء الرسل، هم حملة ما بعث الله به الرسل من العلم والهدى، والواجب عليهم أن يبلغوا رسالات الله، وأن يعلموا الناس شرع الله، وأن يبينوا لهم ما يجب عليهم ويرغبوهم في أدائه، وأن يبينوا لهم ما حرم الله عليهم

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٤).

ويحذروهم من اقترافه، هكذا يكون العلماء أينما كانوا، وأن لا يخافوا في الله لومة لائم، وقد سمعتم قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

هاتان الآيتان عامتان تعمَّان بني إسرائيل وتعمَّان غيرهم، والاعتبار في الآيات والنصوص من الكتاب والسُّنَّة في العموم، عموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، فالواجب على أهل العلم أن يبلغوا، وأن يتبصروا في دين الله حتى يبلغوا عن الله دينه على بصيرة ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾؛ يعني: هلا ينهاهم ﴿يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]، والنفير يكون في الجهاد، ويكون في العلم والآية صيغت في آيات الجهاد، وهي تعم هذا وهذا ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ لأنهم إذا نفروا مع النبي ﷺ، للجهاد كسبوا الأمرين، كسبوا فضل الجهاد، وكسبوا العلم يتعلمون منه عليه الصلاة والسلام ويتفقهون مِنهُ ويسألونه عما أشكل عليهم فيرجعون وقد ازدادوا علمًا وبصيرة ويُفَقِّهون من بعدهم ومن خلفهم.

فالمجاهد وطالب العلم كلاهما على خير عظيم، فالمجاهدون لا ينفرون جميعًا، وطلبة العلم كذلك، فلا بد في البلد من بقايا من يقوم بحال أهل البلد فينفروا جماعة في الجهاد وطلب العلم، ويتخلف آخرون لمصالح البلاد وأهلها، من تعليم، وإرشاد والقيام بأمور البلد، ولهذا لما بعث النبي ﷺ سرية إلى بني لحيان قال عليه الصلاة والسلام:

«لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا»[1].

ثم طلب العلم قد يحتاج إلى النفير، وقد لا يحتاج إلى النفير، قد يكون في بلاده فيَحصُل به المقصود فعليه أن يتفرغ لهذا الأمر، وعليه أن يجتهد في طلب العلم، فإذا احتاج إلى النفير نفر، وطلب العلم في أقاصي البلاد وأدانيها؛ لا بد من علم، ولا بد من جهاد، والجهاد قد يقف بعض الأحيان، قد تكون هناك أسباب لإيقاف الجهاد بالسلاح؛ لكن طلب العلم دائمًا، دائمًا لا بد منه، وهو فريضة في جميع الأوقات وفي جميع الأماكن على المسلمين أن يتفقهوا، ويتعلموا على علمائهم في بلادهم، وفي غير بلادهم، عليهم أن ينفروا لطلب العلم حيث وجد العلم، وهو فريضة لا بد منه، على كل إنسان، على كل مسلم أن يتعلم ما لا يسعه جهله؛ بخلاف الجهاد فإنه قد يحتاج إلى زيد وعمرو وقد لا يحتاج إليهما؛ وقد يقف في بعض الأحيان وقد لا يقف، والحاصل أن الجهاد له شأن آخر، وقد يكون فرض عين، قد يكون فرض كفاية، قد يكون سُنَّة في حق الرجل؛ لكن طلب العلم متعين أبدًا ولازم أبدًا حتى يتفقه في دينه، حتى يتبصر، والقيام بما أوجب الله عليه حتى يعلم ما حرم الله عليه، ثم الناس في حاجة إلى أن يبلغوا دائمًا، ولا سيما في أوقات تجمُّع الناس، فإن الحاجة في هذه الحالة تكون أشد، والواجب يكون أكبر في موسم الحج وأشباه ذلك مما قد يقع فيه التجمع، والفرصة لطالب العلم حتى يبلِّغ أكبر عدد ممكن، وحتى يبلِّغ بعدة لغات؛ لأن الناس لهم لغات متعددة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فلا بد أن يبلِّغوا بلغاتهم من طريق الترجمة إذا كان لا يعرف

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، برقم (١٨٩٦)، والإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٤ و٤٩ و٩١).

لغتهم بَلَّغهم من طريق الترجمة، وإذا كان يعرف لغتهم ترجم لهم كلامه، وأوضح لهم كلامه بنفسه.

نسأل الله أن يبلغنا وإياكم ما يرضيه سبحانه وتعالى، وأن يعيننا وإياكم على القيام بالواجب، وأن يمنح الجميع العلم النافع والعمل الصالح، وفي حديث أبي موسى المخرَّج في الصحيحين يقول: **«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**[1].

هذه حال الناس أقسام ثلاثة، وهكذا الأرض أقسام ثلاثة، أرض طيبة قبلت الماء فأنبتت **«الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ»**، وهكذا الناس فيهم العلماء المتبصرون الفقهاء في دين الله الذين حصَّلوا العلم، ونفعوا به الناس، ومنها طائفة أخرى ثانية **«أَجَادِبُ منخفضة أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا»**، وهكذا العلماء فيهم مَنْ هو حافظ للعلم يتقنه ويحفظه وينقله إلى غيره حتى نفع الله به الناس لحفظه، وعلمه، وما حمله من العلم، وهو دون الأولى في الفقه، والفتوى، والتبصير، والاستنباط، وهناك طائفة أخرى من الأراضي **«قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً»**، جدباء لا يستقر بها ماء **«وَلَا تُنْبِتُ كَلأً»**، وهكذا الناس فيهم من بهذه الصفة لا يمسك علمًا ولا ينفع نفسه ولا ينفع الناس،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من عِلم وعلَّم، برقم (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث الله به النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم (٢٢٨٢).

معرض غافل يسمع آيات الله تتلى عليه، فلا ينتفع بشيء من ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب على أهل العلم والإيمان، بل وعلى كل مسلم أن يحرص أن يكون من الطائفة الأولى، أو الطائفة الثانية، وأن يحذر أن يكون من الطائفة الثالثة التي «**لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً**»، لا يتعلمون، ولا يستفيدون، ولا يَعلمون، ولا يُعلِّمون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

المؤسسات والمعاهد والجامعات

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المهمة التي يجب أن تعطى حقها من العناية من صاحب الفضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس جزاه الله خيرًا.

ولا ريب أن المقام جدير بالعناية، كما قال فضيلته، وذلك فيما يتعلق بالمؤسسات، والمدارس، والمعاهد، والجامعات التي يتولاها أناس لا يوثق بدينهم، ولا بإخلاصهم لله وحده، ولا بنصحهم للمسلمين؟ وهل يجوز للمؤمن الصادق الناصح أن يدخل فيها ويتوظف فيها ليسعى بالإصلاح؛ وليخفف الشر، ويسعى في إكثار الخير، ولئلا يتولاها من لا خير فيه، ويكون الضرر أكثر، وأعظم، أو ينسحب عنها خوفًا من أن يعين على معصية، أو يساعد على ترك واجب؟

لا ريب أن هذا شيء جدير بالعناية، سواء كان في المؤسسة في التعليم، أو التجارة، أو في الطيران، أو بغير ذلك، الله أوجب على المسلمين أن ينصحوا لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما أوجب عليهم، أن يتعاونوا على البر والتقوى، ونهاهم أن يتعاونوا على الإثم والعدوان، كما أنه سبحانه، أقسم أن جميع الناس في

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٧).

خسران: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، ولعن رَسُولُه ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا وَالْمُشْتَرَاةَ له(١).

وجاءت عنه أحاديث أخرى في هذا المعنى، تدل على تحريم التعاون على معاصي الله ﷻ، فالمقام يحتاج إلى عناية، ومراعاة لدفع أكبر الضررين، أو الأضرار، وتحصيل أعلى المصلحتين، أو المصالح، فلا يقال يجوز الدخول فيها مطلقًا، ولا يجوز الدخول فيها مطلقًا، بل يجب على أهل العلم والإيمان، وعلى أهل التقوى، وعلى الناصحين لله ولعباده ألا يتركوا هذه المؤسسات لعبث العابثين، ولأعداء الإسلام، ولضعفاء الدين، وضعفاء الغيرة؛ بل الذي أرى، وهو الذي تقتضيه القواعد الشرعية التي تقدمت الإشارة إليها، ألا تترك، وألا تهمل، وألا يرغب عنها بالكلية، بل يجب أن يدخلها أهل الإيمان والصلاح ويتعين فيها لدفع أكبر الضرر وأعظمه، ولتحصيل أعلى المصلحة، وأكبر المصلحة؛ لا بد من النظر في ذلك، فإن قوي على هذا، وحصل منه المطلوب فهذا هو الذي يجب، وإن رأى أنه مغلوب، وأنه يعين على الإثم والعدوان، وأن عمله فيها لا يُجدي، هناك يكون الاجتهاد إلى ما هو أسلم وأنفع للمسلمين.

وبكل حال فالواجب على أهل الغَيرة، وأهل الإيمان والنصح أن يدخلوا في هذه المؤسسات والمدارس والمعاهد والجامعات، وأن يقصدوا بذلك وجه الله وأن ينصحوا لله ولعباده، وأن يبذلوا ما استطاعوا

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب البيوع، باب النهي أن يتخذ الخمر خلًّا، برقم (١٢٩٥)، وابن ماجه في كتاب الأشربة، باب لُعنت الخمر على عشرة أوجه، برقم (٣٣٨١).

وسْعهم في تحصيل أعلى المصلحتين أو المصالح وتنمية ذلك، وتكثير ذلك، والتشجيع على ذلك، وتقريب الأخيار، وإبعاد الأشرار، وأن يحرصوا أيضًا على دفع كبرى المفسدتين أو المفاسد بأن يحرصوا بمقتضى علمهم وجهودهم، وبجهادهم في هذا الأمر على تحصيل المصالح التي تنفع المسلمين، وعلى درء المفاسد التي تضر المسلمين، كما أن عليهم أن يبذلوا أيضًا الوسع في تكثير الأخيار في هذه المؤسسة، أو المدرسة، أو الجامعة، ونحو ذلك، وتقليل الأشرار، حتى يكثر الخير، ويقل الشر، وحتى تكون الغلبة لأهل الحق، ويكون القلة لأهل الشر، هذا هو الذي فيما أرى يجب على المسلمين.

أما الانسحاب بغير نظر خوفًا من أن يقع في الشر، هذا هو الذي يوده أعداء الله، ويريده أعداء الله، ويريده الشيطان ونوابه، وهكذا الدخول بغير نظر ولا تمييز، ولا مبالاة، وإنما يهمه المال، هذا أيضًا لا يجوز؛ ولكن يدخل المؤمن فيها دخول الراغب فيما عند الله، الناصح لله ولعباده، الذي يريد أن ينفع المسلمين، وأن يدفع عنهم الضرر بكل ما يستطيع.

وأسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يرضيه وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يولي عليهم خيارهم، وأن يوفق علماءهم وقادتهم، وجميع أفرادهم لإيثار الحق، والرغبة فيما عند الله، والنصح لله ولعباده، وأن يقيهم شر نفوسهم، وشر الشيطان، إنه جواد كريم، كما أسأله سبحانه أن يجزي أخانا صاحب الفضيلة الشيخ جعفر عن تنبيهه، وعن إثارته لهذا المعنى العظيم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.

* * *

الأساليب الجديدة في الغزو الفكري

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فإن المولى ﷻ، بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام بما فيه سعادة العالم في العاجل والآجل وجعلهم رحمة للعباد، وهدى بهم إلى الحق، وأخرج الناس بهم من الظلمات إلى النور، وجعل خاتمهم وأفضلهم وإمامهم نبينا محمدًا عليه الصلاة والسلام، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، كما قال جلَّ وعلا في كتابه المبين: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، والهدى هو ما بعثه الله به من العلوم النافعة والأخبار الصادقة، والمواعظ التي تحيا بها القلوب، والقصص التي تذكِّر العباد بما لأصحاب الإيمان من السعادة وبما لأصحاب الكفر والضلال من الشقاوة والعاقبة الوخيمة.

والدين الحق ما بعثه الله به من الأحكام الشرعية السمحة، والأحكام العادلة، والتعاليم الناجعة المفيدة، فدعا إلى الله ﷻ، وبشر وأنذر، وعلم الناس ما فيه سعادتهم، بلَّغهم البلاغ المبين فلم يقبضه ربه

---

(١) أصل هذه المحاضرة ندوة في جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، وقد دعي إليها كل من أصحاب الفضيلة الشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس، والشيخ الدكتور زين العابدين الركابي، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمٰن الراوي، وقد تخلف المشايخ عن الحضور لظروفهم فألقى المحاضرة عنهم سماحة الشيخ رحمه الله.

إلا وقد أكمل هذا الدين على يديه وأتم به النعمة عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وكان موضوع الندوة هذه الليلة الغزو الفكري، ولعل أصحاب الفضيلة الذين التزموا بها حصل لهم عارض نسأل الله لهم العافية والتوفيق، ولنا ولكم وللمسلمين.

والغزو الفكري يُعبر به العلماء عمَّا تبثه الإذاعات والصحف والمؤلفات وكل ما ينشره العالم مما يتعلق بالفكر، فإن أعداء الإسلام لما غاظهم الإسلام ورأوا دخول الناس في دين الله أفواجًا، ورأوا أن الغزو العسكري لا يحصل به المقصود من تشكيك الناس في دينهم وإخراجهم من دينهم، عمدوا إلى أنواع من الغزو الفكري من طريق وسائل الإعلام من تلفاز، إذاعة، وصحافة، وغير ذلك مما يكتبه أعداء الإسلام، ويتكلمون به في الصد عن دين الله، وتشكيك الناس في دينهم، ولبس الحق بالباطل كما ذكره الله عن أعدائه من اليهود كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

فصارت وسائل الإعلام التي يقوم عليها أعداء الإسلام تنفث بكل شر، وبكل بلاء وتثبط عن الحق، وتدعو إلى الباطل، وتدس السم في الدسم، وتشكك الناس في الدين، لتخرج الناس من نور الله ومن هداه إلى ظلمة الكفر والضلال؛ ولتصدهم عن الحق؛ ولتشجعهم على الباطل، ويكفيهم أن يحصل الشك والريب والتثبيط عن الحق أو الشك فيه، ثم تبعهم في ذلك فساق المسلمين، وجهلة المسلمين الذين ينشرون المقالات الفاسدة، والدعوات المضللة، ويروِّجون الأباطيل حول ما يصد عن الحق، كل ذلك مما يدعو إليه الشيطان، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

حزبه هم الكفار وكل من دعا إلى ما يصد الناس عن الحق وسعى إلى ذلك فقد ساعد حزب الشيطان، تارة بالدعوى إلى الزنى والفواحش، تارة بنشر صور النساء، وتارة بالحث على التبرج، وببروز المرأة

وظهورها في أحسن صورة ليكون ذلك دافعًا للشباب وغيرهم إلى الفساد، وتارة بنشر العقائد الفاسدة التي أبطلها الإسلام، وتارة بالتشكيك فيما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبيان الشُّبه التي تجعل العاقل حيران، كل ذلك من دعوة أعداء الله، وهم أولياء الشيطان وحزبه، فوجب على كل ذي لُب وعلى كل من يريد السلامة أن ينظر في الطريق الذي يبعده عن هذا التيار الفاسد، وعن هذا الغزو المهلك المشكك، وأن يلزم الطريق الذي به السعادة والنجاة لعله ينجو؛ ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الدعوات المضللة، وانتشر فيه أنواع الباطل، وأنواع الغزو الفاسد والفكر الملحد، وامتلأت الدنيا من الكتابات الصادة عن الحق، وولي أعداء الله الكتبة الذين يصدون عن الحق فيكتبون في وسائل الإعلام المقروءة وينشرون في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ما يصد الناس عن الحق، وما يشغلهم عمَّا فيه نفعهم وهدايتهم ليلًا ونهارًا.

وكل من له أدنى علم بهذه الوسائل وما ينشره أعداء الله في صحفهم بسائر اللغات يعلم أن البلاد الإسلامية والمسلمين بوجه أخص مغزوون بأنواع الباطل وصنوف الفكر الضال الملحد للصد عن سبيل الله، والدعوة إليه، والصفات التي ترضي الشيطان، والأخلاق التي حرمها الله على عباده، ويزهدهم في الأخلاق الفاضلة، فوجب على كل مؤمن، وعلى كل مؤمنة اجتناب هذه الوسائل الخبيثة إلا بالرد عليها وبيان باطلها، والتحذير منها ودعوة الناس إلى العناية بكتاب ربهم لأنه هو أصل السعادة وينبوع العلم، وهو الحصن الحصين لمن تمسك به من أنواع الضلالة كما قال ﷻ في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، إلى غير هذا مما أثنى به على كتابه العظيم الذي جعله هدى، ونذارة، وسعادة البشرية.

فالواجب على أهل الإيمان أن يتمسكوا به وأن يكثروا من تلاوته وتدبر معانيه وعلاج أمراض القلوب وأمراض المجتمع في هذا الكتاب العظيم كتابة، ونشرًا من طريق الإذاعة والتلفاز، والمؤلفات المفيدة والرسائل المختصرة الموجزة الدالة على الحق دفاعًا عن دين الله، ونشرًا لدين الله، وردًا على تلك المقالات الضالة والكتب المشككة وما ينشره أعداء الله ويبثه أعداء الله من كل طريق، ثم سُنَّة الرسول ﷺ، جعلها الله أيضًا هدى للناس ونورًا لمن تمسك بها، وبيانًا لكتاب الله، وإيضاحًا لما قد يخفى من كتاب الله كما قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، قال ﷻ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ١ ـ ٣]، هو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾؛ يعني: محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا غَوَى﴾ الضال هو الذي يتكلم على غير هدى، على غير علم، والغاوي هو الذي يخالف العلم، يعلم ولكن يخالف العلم كاليهود وأشباههم.

وهكذا علماء السوء يعرفون الحق ويحيدون عنه إلى الباطل إيثارًا للهوى، وإيثارًا للدنيا والشهوات العاجلة، فالله نزه نبيه محمدًا ﷺ عن هذا وعن هذا، ليس بضال ولا غاوٍ بل عالم ورشيد عليه الصلاة والسلام، عرف الحق ودعا إليه واستقام عليه فجعله الله هاديًا مهديًا، ورسولًا كريمًا منذرًا للناس من الباطل ومبشرًا لهم بالحق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، عليه الصلاة والسلام، فمكث ثلاثًا وعشرين سنة

كلها دعوة إلى الله وتعليم وإرشاد بالقول والعمل، عليه الصلاة والسلام، كلها جهاد وصبر بالبدن واللسان والسلاح، ثلاثة عشرة سنة بمكة دعوة وتوجيه وإرشاد وصبر على الأذى وتوجيه للناس إلى الخير بقوله وفعله عليه الصلاة والسلام، وعشر سنوات بالمدينة جهاد بالسيف وجهاد باللسان، وجهاد بالعمل، توجيه للخير هو وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة.

فوجب على كل من يريد النجاة، وكل من تعز عليه نفسه ويحب لها السعادة، أن يلزم هذين الوحيين كتاب الله وسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن يتمسَّك بهما، وأن يدعو إليهما، وأن يعنى بحفظهما وتدبرهما ونشر ما فيهما من العلم، والعمل بذلك، ودعوة الناس إلى ذلك.

وقد منَّ الله سبحانه على أصحابه الكرام على أصحاب نبيه فالتزموا بذلك، واستقاموا على الكتاب والسُّنَّة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجاهدوا في سبيل الله، وفتحوا الفتوحات، ومصَّروا الأمصار، وقاتلوا الروم وفارس، وسائر دول الكفر، وهزموهم، ونشروا الإسلام في بلادهم وأخذوا الجزية لمن لم يُسْلِم من اليهود والنصارى والمجوس، ودعوا إلى الله قولًا وعملًا، وصبروا على الأذى والجهاد حتى أعلى الله بهم دينه، ونصر بهم دينه، وأعلى بهم كلمته، ونشر بهم الحق، هكذا كان أصحاب النبي ﷺ، ومن سار على نهجهم، ومن ساعدهم وشاركهم في هذا الجهاد العظيم، والدعوة إلى الله ﷻ.

ولم يزل أولياء الله وأنصاره في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله حتى تغيرت الأحوال وظهر في المسلمين من ليس منهم، ظهر فيهم من ليس منهم ومن يدعو إلى الباطل، وحصل ما حصل من الانحسار، وظهور أنواع من الباطل حتى صارت الأحوال إلى ما عليه هي الآن، من كثرة الشر، ودعاة الباطل، ونشاط دول الكفر، وضعف دول الإسلام، وعدم تحكيمهم الشريعة إلا القليل، فأغلبهم رضي بالقوانين التي وضعها

الرجال ووضعها أعداء الله، وزهد في شريعة الله وانتشر في بلادهم الشر والفساد والباطل بأسباب إعراضهم وتكاسلهم، وتثاقلهم عن الحق، وعدم صبرهم على نشره والدعوة إليه وجهاد من خالف، حتى وقع الباطل وانتشر الباطل، فوجبت العودة إلى الأصل الأصيل إلى كتاب الله وسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذان هما الأصلان اللذان جاهد عليهما رسول الله ﷺ، وجاهد عليهما أصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان؛ ولا سبيل إلى السعادة والنجاة من الغزو الفكري وغير الغزو الفكري، والنصر على الأعداء، إلا بالتمسك بهذين الأصلين، كتاب الله، وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، والاجتماع على ذلك، والتعاون في ذلك، قولًا، وعملًا، وكتابة، وجهادًا، وغير ذلك من أنواع العمل الذي ينصر الحق ويدعو إليه، ويدحض الباطل ويثبط عنه ويفضحه.

وقد ظهر في المسلمين ولله الحمد في أول هذا القرن، وفي آخر القرن الماضي دعاة كثيرون للحق ونشاط في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ، وظهر شباب صالح حريص على التمسك بكتاب الله وسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأيدهم في ذلك أيضًا من المشايخ والعلماء والأخيار شيبًا وشبابًا حتى ظهر بحمد الله نصر لدين الله وحياة جديدة ضد الباطل، وإن كثر أهل الباطل؛ لكن مثل ما قال النبي ﷺ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ»**(١)، وهم بحمد الله الآن في نشاط وزيادة، وقد انتشر في دول العالم، وفي أرجاء الدنيا دعاة الحق، وهداة الخلق من خريجي الجامعات الإسلامية والمدارس الإسلامية والمعاهد الإسلامية والحلقات الإسلامية في كل مكان ينشرون الحق ويدعون إليه ضد أهل الباطل.

---

(١) متفق عليه من حديث؛ أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، برقم (٧٣١١)، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»**، برقم (١٩٢١).

وقد غاظ هذا أعداء الله وسبب لهم كثيرًا من النشاط في باطلهم والحيرة مما رأوا؛ ولكن نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يوفق المسلمين جميعًا شيبًا وشبابًا للتكاتف والتعاون في نصر الحق وتأييده، وتأييد القائمين به وسعادتهم، وأن ينصرهم جميعًا على أعداء الله، وأن يعينهم على جهاد أعداء الله بالسيف والسنان وبالحجة والبرهان، ويثبت أهل الحق على حقهم، وأن يهدي حكام المسلمين ليقوموا بالحق وينصروه، ويحكموا شريعة الله فيما بينهم حتى ينصرهم مولاهم، وحتى يعينهم على أعدائهم، وحتى يثبت لهم ما هم فيه من الخير، وحتى يحميهم من مكائد أعداء الله إنه ﷻ، جواد كريم.

والواجب على كل طالب للعلم أينما كان أن يبذل وسعه في نصر الحق، وعلى كل عالم أينما كان أن يبذل وسعه في نصر الحق هذا زمانه، هذا زمن الدعوة، هذا زمن الجهاد باللسان ونشر الحق والدعوة إليه كتابة، ودعوة، وخطابة، وغير ذلك من أنواع الجهاد بالقلم، واللسان، بالعمل، بالتوجيه، بالنصائح الفردية والجماعية الخطابية، وغيرها، هكذا يكون الجهاد، هكذا يكون العالم وطالب العلم، أينما كان في بلاده وغير بلاده ينشر الحق ويدعو إليه صابرًا محتسبًا يريد ثواب الله والدار الآخرة، ينشره في وسائل الإعلام حيثما كان وحسب ما يتيسر له، مع التثبت، مع العناية بمعرفة الحق، فإن الكلام في غير بصيرة يضر أيضًا كثيرًا فلا بد من البصيرة لا بد من العلم، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قد حرم الله القول عليه بغير علم، فعلى العلماء والدعاة أن يتبصروا، وأن ينطقوا بالحق، وأن يجتهدوا في هزم الباطل والقضاء عليه وحماية المسلمين من هذا الغزو الذي نوَّعَهُ أعداء الله من طريق الإذاعات والتلفاز، والصحافة، والمؤلفات، والخطب المنبرية، والخطب الجماعية في المحافل إلى غير ذلك؛ فالشيء يحارب بجنسه، الباطل يحارب بجنسه

حسب الطاقة والإمكان، وبذلك يؤدي العالم وطالب العلم والمؤمن البصير بدينه، يؤدي ما أوجب الله عليه، ولا ينبغي لعاقل أن يحقر نفسه كما جاء في الحديث: «**لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرَ اللهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالًا ثُمَّ لَا يَقُولُهُ فَيَقُولُ اللهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ فَيَقُولُ: رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ. فَيَقُولُ: وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى**»[1]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

لا بد أن يتكلم طالب العلم بما يعلم من الحق الذي هو على بصيرة فيه؛ ولا سيما عند ظهور الباطل في أي مكان، وعند التباس الأمور، الله أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء جلَّ وعلا كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، هذا الكتاب العظيم هو القرآن فيه الحجة والبيان، فيه الهدى، فيه بيان طريق السعادة، فيه دحض الباطل والقضاء عليه، والرد عليه؛ فلا يجوز للعالم أن يرضى بالسكوت أو يرضى بدون ما يستطيع في أي مكان، في الغرب، في الشرق، في الجنوب، في الشمال، في السيارة، في الطائرة، في القطار، في أي مكان كان، وعلى أي وجه استطاع يدعو إلى الله، ولا ييأس ولا يقول هذا لغيري؛ ولا يقول الناس ما فيهم خير ولا يقبلون؟ لا، كل هذا لا يجوز، كل هذا مما يحبه الشيطان؛ ولكن ليتكلم وليقل الحق، وليعمل بقوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

الحكمة العلم، قال الله قال رسوله، سمى الله العلم حكمة لأنه يردع الناس يوقفهم عند حدهم، وكل كلمة وعظتك وذكرتك، وردعتك عن باطل، ودعتك إلى الحق فهي حكمة.

ثم مع ذلك الموعظة؛ لأن بعض القلوب قد تكون قاسية تحتاج إلى عظة قد لا يأخذ من العلم مأخذه، إذا سمعت العلم فتحتاج إلى

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ (٣/ ٣٠ و٤٧ و٧٣ و٩١).

الموعظة حتى تلين، وحتى تقبل الحق يذكرها بالله، وبالدار الآخرة، وبالجنة والنار، وأن هذه الدار دار الزوال والفناء، وليست دار إقامة، وأن دار الإقامة أمامك إما الجنة، وإما النار؛ ولا بد من الترغيب فيما عند الله من الجزاء، والتحذير مما عند الله من العقوبات لمن حاد عن سبيله، أو دعا إلى ضده؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فأنت يا عبد الله على حسب حالك، العالم الكبير وطالب العلم، والمؤمن المتبصر الذي عنده من البصيرة ما يستطيع به الدعوة إلى سبيل الله، والدفاع عن دينه فيما علم كل عليه نصيبه، وكل عليه أداء الواجب الذي يستطيعه، مع تحري الحق، ومع الأسلوب الحسن الذي فيه إيصال الحق إلى القلوب من دون تنفير، فالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن التي أرشد الله إليها، هذا هو الطريق الذي يوصل الحق إلى القلوب، علم قال الله قال رسوله، وشرح لذلك وبيان لذلك بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والعظة الحسنة، عند الشُبه الجدال بالتي هي أحسن، إذا أبدى شكًا وشبهةً، وأراد أن يستفيد ما يزيلها أو أراد الصد عن الحق بها يجادل بالتي هي أحسن حتى يتضح الحق للمستمعين وحتى تزول الشبه، وحتى يهدي الله بذلك من سبقت له من الله السعادة.

والطرق اليوم غير الطرق بالأمس، الطرق اليوم كثيرة، وسائل الدعوة متعددة، والناس مقبلون عليها، فوجب على أهل العلم والإيمان أن يعمروها بالخير، وأن يشغلوها بالحق ضد الباطل ولو بالمال، ولو بذلوا الأموال في ذلك، فإن هناك صحفًا في الخارج لا تكتب إلا بالمال، أما هنا فقد يستطيع بحمد الله أن يكتب وينشر بغير مال يبذله، هناك قد يكون في مكان يحتاج إلى مال، قد تكون هناك صحف معروفة تحتاج إلى مال فيعطيها من المال ما يسبب نشر الحق والدعوة إلى الحق، وهكذا إذاعات تحتاج إلى مال، وهكذا نقل من لغة إلى لغة

وترجمة كل هذا يحتاج إلى البذل في سبيل الله حتى ينشر الحق، وحتى يدعو إليه حسب طاقته، في اللغة التي يعرفها، وباللغات الأخرى التي يستطيع أن يبذل المال حتى تحصل الترجمة لمقاله إلى اللغة التي يريد.

والصحافة تحتاج إلى عناية، والإذاعة، والتلفاز عندنا وعند غيرنا، وعند غيرنا أكثر؛ فلا بد من العناية. فالقراء هنا، والعلماء هنا واجبهم أن يعنوا بذلك، وأن يتبعوا ما يكون في الصحافة من خطأ بالتنبيه عليه، وما يقع من إذاعة من خطأ بالتنبيه عليه، وما يقع في التلفاز من خطأ فينبه عليه؛ ولا يجوز لأحد أن يقول هذا لفلان، أو هذا يلزم فلانًا، هذا غلط، على العلماء جميعًا، على الكُتَّاب جميعًا الذين لهم قدرة أن يشاركوا في هذا الحق هذا الخير ضد هذا الغزو الذي قام به أعداء الله ونوابهم، فليس لأحد أن يقول هذا ليس إلي، ومن قال ذلك؟

كل مسلم عليه واجبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ الآية [الأحزاب: ٢١].

وكل منا عليه واجبه، كل مسلم في بلاد الله في المشارق والمغارب، في جميع أنحاء الدنيا، كل مسلم، وكل طالب علم، وكل عالم، وكل مؤمن عليه واجبه، من الدعوة إلى دينه إلى دين الله الذي أكرمه الله به، ونفي الشبه والباطل عنه والرد على خصومه بالأساليب والطرق التي يراها ناجعة، التي يراها توصل الحق، التي يراها ترغب في قبول الحق، التي يراها تردع الباطل.

ومن المصائب العظيمة أن يقول الإنسان: أنا لست مسؤولًا هذا على غيري، هذا منكر عظيم لا يقوله عاقل إلا إذا كان في محل كفاه غيره، منكر أزاله غيره، باطل نبه عليه غيره، وزال محذور، أما ما يتعلق

بالرد على خصوم الإسلام، ونشر المقالات المفيدة، وتأليف الرسائل النافعة، والكلام في الإذاعة وفي التلفاز، ونشر ما ينفع في الصحافة، فكلٌّ عليه واجبه، كل عليه واجبه حتى يُنصر الحقُّ، وحتى يُدحض الباطلُ، وحتى تقوم الحجة على خصوم الإسلام.

أهل الباطل يتكاتفون الآن الشيوعيون، والنصارى، والملحدون من سائر أنواع أهل الباطل كلهم يتكاتفون ضد الحق، ويبذلون الأموال وهم على باطل، دعاة للنار، حتى يذهبوا إلى المحلات النائية والغابات الخطيرة يدعون إلى النار، يدعون إلى النار من الشيوعيين، والنصارى، والقاديانيين دعاة النار، والبهائيين وغيرهم من دعاة الباطل، والرافضة الآن تنشر دعوتها إلى الباطل في كل مكان، يسبون دين الله فيما يفعلون من نشر الأباطيل فإن سبهم لأصحاب النبي ﷺ، واتهامهم لأصحاب النبي ﷺ، وغلوهم في أهل البيت كعلي والحسين والحسن وغيرهم، كل هذا من أنواع الباطل والصد عن سبيل الله، وهكذا جميع دعاة الباطل كلهم على هذا المنوال؛ لكن منهم من باطله ظاهر كالنصارى واليهود ونحوهم والشيوعيين وأشباههم، وبعضهم قد يلتبس أمره كالرافضة، وسائر صنوف أهل البدع، وكالقاديانية الذين يتظاهرون بالإسلام وهم يزعمون أن إمامهم مرزا غلام نبي الخير بعد محمد عليه الصلاة والسلام فيدعون إلى اتباعه؛ وهكذا سائر صنوف الضلالة.

فالواجب على أهل الإسلام في كل مكان أن ينشروا الحق ضد الباطل الذي عندهم، كل من كان عنده باطل واجب عليه أن ينشر الحق ضده، ويكون نشاطه في صد الباطل للذي عنده أكثر من الباطل الذي هو عنده، حتى يطهر بلاده وقريته وقبيلته من هذا الباطل الذي انتشر فيهم مع تعليمهم الحق وإرشادهم إلى الحق والهدى، فالجهود من أهل العلم يجب أن تكون موزعة لما عندهم من الباطل نصيب ولأنواع الباطل الأخرى نصيب؛ لكن الباطل الذي في بلدهم والذي عندهم يجب أن

يكون النشاط في إبعاده والقضاء عليه أكثر حتى تسلم الأمة عندهم من شره وباطله، وينبغي أن يكونوا في الحق أنشط من أهل الباطل، وأصبر عليه، إذا كان أهل الباطل يصبرون مائة في المائة، فالواجب على أهل الحق أن يصبروا ثلاثمائة في المائة، أو أربعمائة في المائة، وألف في المائة حتى يكونوا أنشط من أهل الباطل؛ لأن أهل الباطل يدعون إلى النار، وأنت تدعو إلى الجنة والسعادة، ولك مضاعفة الأجور ففرق عظيم؛ لكن بعض أهل الباطل نشطوا في باطلهم يظنون أنهم على الحق يحسبون أنهم على الحق، وأنت تجزم أنك على الحق والحمد لله، قال في حق أهل الباطل: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

فالنصارى وأشباههم من العامة يحسبون أنهم على هدى، ويصبرون على الذهاب إلى الغابات ومجاهل الأرض يدعون إلى النصرانية إلى النار يحسبون أنهم على هدى، وهكذا من ضل من هذه الأمة من المتصوفة، وأنواع أهل البدع، أكثرهم يحسب أنه على هدى، وإن كان دعاتهم وكبارهم قد تكون لهم أغراض وهم يعرفون أنهم على باطل؛ ولكن لهم أغراض وأهداف يعملون لها في هذه العاجلة، فواجب على أهل الحق أن يكونوا أنشط وأقوى وأصبر في الدعوة إلى الالتزام بكتاب الله وسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، والسير على منهج أصحاب النبي ﷺ، ولزوم طريق أهل السُّنَّة والجماعة بفعل ما أوجب الله وترك ما حرم الله والوقوف عند حدود الله، وإرشاد الناس إلى ما يلزمهم من الحق، وتنبيههم على ما عندهم من الباطل حتى يهتدوا، فالناصح للناس هو الذي يرشدهم للحق، يرشد المبتدع إلى السُّنَّة، ويقول: عملك هذا خطأ عليك بكذا وكذا، قال الله كذا، قال الرسول كذا عليه الصلاة والسلام؛ وهكذا سائر أهل البدع يرشدهم ويدلهم على الحق لعل الله يهديهم بأسبابك من سائر صنوف المبتدعة.

وفي هذا الشهر ربيع الأول هناك بدعة منتشرة في كثير من البلاد الإسلامية بأسباب عدم نشاط أهل العلم في مكافحتها، بدعة الموالد، الاحتفال بالموالد، مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وفي البلدان الأخرى موالد أخرى يعظمونها، ويحتفلون بها ويقع فيها من الشرك والكفر والضلال ما الله به عليم، وهكذا في مولد النبي عليه الصلاة والسلام يقع فيه بالنسبة إلى بعض الناس من الشرك بالله والاستغاثة بالرسول ﷺ، ودعوته من دون الله واللجوء إليه من الشرك الأكبر نعوذ بالله من ذلك، مع ما فيه من البدعة؛ لأن هذه الاحتفالات بالموالد مما أحدثه الناس بعد القرون المفضلة، ما كان الناس يعرفون بدعة الموالد لا في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين، لا في المائة الأولى، ولا المائة الثانية، ولا المائة الثالثة، وإنما وقع في المائة الرابعة وما بعدها بأسباب الرافضة، وتبعه غيرهم من جهلة أهل السُّنَّة.

فالواجب على جميع المسلمين العناية بالدين والتفقه في دين الله والتبصر وسؤال أهل العلم عما أشكل والإقبال على القرآن، وعلى السُّنَّة الصحيحة حتى يفهم طالب العلم دينه، وحتى يكون على بصيرة، وحتى يفهمه الناس من الجماعة الذين عنده من العامة في بلده، في قريته، في قبيلته في البادية، وقد انتشر العلم الآن بالنسبة إلى وسائل الإعلام التي وفقت لنشر الحق، كما قد ينشر مقالات في صحف هذه البلاد وفي غيرها، وهكذا ما ينشر من طريق إذاعة القرآن في هذه البلاد، وما ينشر من طريق برنامج نور على الدرب ينشر فيه العلم، وقد نفع الله به الكثير من الناس، وهدى الله به أممًا كثيرة بهذا البرنامج، وبهذه الإذاعة، إذاعة القرآن، وهكذا بمقالات يكتبها العلماء في أماكن كثيرة، في مصر، والشام، بلاد المغرب، وبلاد أوروبا، وبلاد أمريكا، ولله الحمد بقايا من أهل الحق ينصرون الحق في أماكن كثيرة، وينشرون ذلك في الصحف السيارة المعروفة، وإن كانوا قليلين بالنسبة إلى أعداء الله؛ ولكن الله قد نفع بذلك.

والمطلوب هو الاستكثار من هذا الخير، وأن يتكلم من لا يتكلم، وأن يكتب من لا يكتب من أهل العلم والبصيرة، وألا يكتفي بهؤلاء؛ بل عليه أن يجاهد كما جاهدوا، وأن يكتب كما كتبوا، وأن يتتبع ما ينشر من الباطل في الصحف السيارة والمجلات، والإذاعات، والتلفاز وغير ذلك مما يذاع وينشر يتتبعه ويرد الباطل، وينشر الحق، ويصبر على الأذى في ذلك، وعلى التعب، هذا هو الجهاد، هذا هو الجهاد.

الدعوة إلى الله جهاد، والكتابة في سبيل الله جهاد، والتأليف في ذلك جهاد، يقول النبي ﷺ: **«جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»**[1]؛ فالدعوة إلى الله جهاد، وكان حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، كان يهجو المشركين بشعره رضي الله عنه، ويقول النبي ﷺ: **«اهْجُهُمْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنه لأَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ»**[2]، اللَّهُمَّ صل عليه وسلم، ويقول: **«اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»**[3]، فهجوا المشركين بالكتابة وبالشعر الموافق للحق، وبالكلام في الإذاعات، وفي الخطب كل ذلك بما ينصر الله به الحق، وكانت دعوة النبي ﷺ، أكثرها

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب الجهاد، باب كراهة ترك الغزو، برقم (٢٥٠٤)، والنسائي في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، برقم (٣٠٩٦)، وصححه الألباني في المشكاة، برقم (٣٨٢١)، وفي صحيح سنن أبي داود، برقم (١٢٦٢).

(٢) أخرجه النسائي من حديث أنس في كتاب المناسك، باب استقبال الحج بهذا اللفظ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَابْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَقُولُ: خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ. قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ فِي حَرَمِ اللهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«خَلِّ عَنْهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلامُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ»**. وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم (٣٢١٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، برقم (٢٤٨٦).

كلامًا خطابة ودعوة، ثم كتب عليه الصلاة والسلام للرؤساء والملوك؛ لكن أكثر دعوته كلها خطب، كلها كلام في المدينة، وفي مكة عليه الصلاة والسلام، وفي غزواته، مع أفعاله التي هي دعوة إلى الله أيضًا، فإن فعله دعوة عليه الصلاة والسلام وهم يتأسون به عليه الصلاة والسلام في أفعاله وسيرته، قيامه، وقعوده، ونومه ويقظته، هكذا يجب على العلماء أن يتأسوا به عليه الصلاة والسلام.

ولكن الله يسر لهم أيضًا هنا في هذا القرن من العصور الأخيرة هذه الوسائل الجديدة التي تبلغ الناس في كل مكان، هذه الإذاعات، وهذه الصحف تنتشر في العالم تنقل كلمتك إن كانت حقًّا نفع الله بها ما شاء ﷻ في سائر الدنيا، وإن كانت باطلة ضرَّ بها الكثير تكتبها في الرياض وتتلى في أمريكا وأوروبا وفي كل مكان تنشرها في مؤلف ينقل إلى كل مكان، تقولها في إذاعة، تقولها في تلفاز ينشر إلى كل مكان؛ ليس من جنس الأول، الأول قد تكون كتابة محدودة في بلدك أو ما حولها؛ لكن الآن في اليوم الواحد، وفي الليلة الواحدة في الساعة تقال الكلمة ويسمعها العالم، في الساعة الواحدة يسمعها العالم من ها هنا وهاهنا، فإن كانت في الحق فيا لها من نعمة، وإن كانت في باطل فيا لها من جريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالإنسان يقدر ينظر، ينظر حالة الناس اليوم يخطب خطيب في أمريكا يسمعه الناس في كل مكان، يخطب خطيب في مصر يسمعه الناس، في مكة يسمعه الناس، في الرياض يسمعه الناس، في أي مكان، في حق أو باطل، يدعو إلى رشد أو إلى ضلالة، يسمع، وأكثر الخلق مع الضلالة ولا حول ولا قوة إلا بالله، أكثر الخلق مع الهوى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، أغلب الخلق مع أهوائهم ومع شهواتهم ليسوا مع الحق، فلا يصبر على الحق إلا أهل

البصائر، وأهل العقول، وأهل النظر والتبصر، والتدبر والتعقل الذين يؤثرون الحق على الباطل، ويعرفون العواقب عن إيمان، وعن بصيرة؛ لكن أكثر الخلق مثل ما قال الله جلَّ وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، جعلهم أضل من الأنعام، بعض البهائم أهدى من بعض البشر تنفع الناس، وتسلك طريقها في رعيها وفي غيره ولا تؤذي الناس، أما أكثر الخلق فهم شرٌّ من الأنعام لا ينفع بل يضر، نسأل الله العافية.

فهذا فيه عبرة عبرة للعاقل عبرة أن يأخذ حِذره حتى ينفع ولا يضر، إما أن ينفع الناس بكلامه، أو فِعاله، أو ماله، أو جاهه، وإما أن يقف فلا يضر الناس، ومن البلايا والمصائب أنه قد يعمل، يحسب أنه على هدى، يحسب أنه يفيد وينفع وهو يضر الناس، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، هذه الخسارة العظيمة أن يبذل الأموال والأوقات وصنوف العمل فيما يضره، ولا ينفعه، فيما يغضب الله عليه، فيما يصد عن الحق، هذه الخسارة العظمى نسأل الله العافية.

فالعاقل يحاسب نفسه يجاهدها ينظر، لا يسكت، ولا يغفل؛ بل ينظر ماذا عمل، ماذا قدم لآخرته، ينظر كما يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨ ـ ٢٠].

فالعاقل ينظر ماذا قدم، ماذا عمل لآخرته، ماذا حصل منه ضد الباطل، ماذا عمل لسعادة أهله، وأولاده، وجيرانه، وجماعته؛ لا يغفل؛ لا بد ينظر دائمًا هو في خسارة وإلا في ربح، هو في سعادة وإلا في شقاء، هو في هدى وإلا في ضلال ينظر، ويحاسب نفسه دائمًا،

ويلزمها بالحق الذي عرفه، يلزمها بالحق بالمحافظة على الصلاة في الجماعة، بأداء الزكاة، بر الوالدين، صلة الرحم، صدق الحديث، البعد عن أنواع الفساد، صحبة الأخيار، ترك صحبة الأشرار، وهكذا يحاسب نفسه، ينظر إن كان يتعاطى المسكرات حاسب نفسه، وترك المسكرات، إن كان يجالس الأشرار حاسب نفسه وابتعد عنهم، ينظر هو يستفيد وإلا ينضر، هو يعمل لآخرته وإلا يعمل للنار، ينظر يحاسب نفسه، الوقت وقت خطر عظيم، أينما كنت ترى الباطل، وتسمع الباطل، في كل مكان، أينما كنت، المذياع حاضر، والتلفاز حاضر، والصحافة حاضرة، فيها من الشر ما لا يعلمه إلا الله، ما يحصى، وأنت تسمع بأذنك، وترى ببصرك، وتكتب بقلمك، أو تقرأ فانظر ماذا حصلت، وماذا تكسب من سماع الإذاعة، ومشاهدة التلفاز، من قراءة الصحف، هل أنت تكسب خيرًا منها أو بالضد تكسب شرًّا، فإذا كنت تكسب شرًّا فاحذر، قف؟ وإن كنت تكسب خيرًا فاحمد الله واستمر على الخير، واحذر الباطل، ثم لا تقف على نفسك، انصح، انصح أخاك، زوجتك، أباك، أمك، ولدك، جارك، صديقك، تنصح عما ترى، وعما تشاهد من الباطل الذي قد يضره، كما قد يضرك، والمسلم أخو المسلم، يقول عليه الصلاة والسلام: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(١)، ويقول ﷺ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»**، **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**(٢).

إذا كانت النصيحة قبل هذا الوقت، وقبل هذه الحوادث واجبة فهي اليوم أوجب وأوجب، فإذا كانت الدعوة قبل مائة عام، أو مائتي عام

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، برقم (٤٥).

(٢) تقدم تخريجه في (ص١١٥).

واجبة فهي اليوم أوجب وأوجب وهكذا، الأمر الآن طفح، طفح الشر وزاد الشر وانتشر، فوجب أن تضاعف الجهود في مضادته ومكافحته، وهذا هو الغزو الفكري الذي يقولون عنه، وما يأتيك من طريق الصحافة، والإذاعة، والتلفاز، والمؤلفات كل هذا غزو فكري، غزو إلحادي، غزو ضار إلا ما رحم ربك، إلا القليل.

فأسأل الله بأسمائه الحسنى أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في الدين والثبات عليه، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأن يرزقنا جهاد هذه النفس، ومحاسبتها حتى تستقيم على الحق، وحتى تدع الباطل، وأن يرزقنا وإياكم صحبة الأخيار، والبطانة الصالحة، وأن يعيذنا والمسلمين جميعًا من صحبة الأشرار، ومن البطانة الضارة، وأن يوفق علماء المسلمين في كل مكان لنصر الحق، والقيام بما يجب عليه من الدعوة إليه، والصبر على ذلك، وأن يوفق حكام المسلمين في جميع الدنيا لما فيه رضاه، وأن يعينهم على نشر الحق، وعلى الحكم بالحق، وعلى قمع الباطل، وعلى جهاد الباطل وأهله أينما كانوا، وأن يعيذهم من طاعة الهوى والشيطان، إنه جلَّ وعلا جواد كريم.

ونسأله بوجه أخص، أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن ينصر بهم الحق، وأن يعينهم على إصلاح هذه الوسائل، وسائل الإعلام حتى يزول منها الشر، وحتى يزيد فيها الخير، وحتى تكون أداة خير وإصلاح من جميع الوجوه، وأن يرفع الله عنا كل بلاء، وأن يوفق علماءنا وعلماء المسلمين في كل مكان لأداء الواجب، ونصر الحق، وأن يوفق عامة المسلمين للتبصر والنظر بالثبات على الحق، والسؤال عن الحق وترك الباطل، والتواصي بالحق فيما بينهم إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

الأسئلة

س١: فضيلة الشيخ ذكرتم في بيانكم أن على جميع طلبة العلم أن يتكلموا ويتحركوا لدين الله وهذا صحيح جزاكم الله خيرًا، إن هناك غفلة من قبل طلبة العلم خاصة؛ ولكن هناك نقطة مهمة وهي أنه لا يجوز لهم بأن يتكلموا إلا بموجب تصريح، وإلا سيتعرضون للأذى وكتابة الشروط لا تتوفر لدى أي طالب علم، لذا يجب أن يترك المجال لكل من يجد من نفسه الكفاية فما رأيكم في هذا؟

ج: التصريح ميسَّر بحمد الله، كل من عُرف بالخير يعطى التصريح، ولا يعطى الكلام لكل أحد من الناس من هبَّ ودب حتى يتكلم دعاة الباطل لنشر باطلهم لا؛ لكن هذا بحمد الله ميسَّر، من عُرف بعلم أو متخرج من كلية الشريعة أو من كلية أصول الدين، أو شهد له العلماء بالخير، ولو عالمًا واحدًا يعطى التصريح، ويتكلم ويخطب والحمد لله.

س٢: من أهداف الغزو الفكري إنشاء فصول مختلطة بين الذكور والإناث، وقد قرأت في الصحف أن الرئاسة العامة لتعليم البنات قد درست إنشاء فصول مختلطة قبل المرحلة الابتدائية فما رأيكم في ذلك؟

ج: هذا سمعناه البارحة؛ ولكن لا يكون إن شاء الله سوف يعالج ولا يكون إن شاء الله هذا له دعاة من قديم، من سنوات كثيرة يدعون إلى أن تكون الدراسة الابتدائية مختلطة، وبعضهم يقول الأولى والثانية، وبعضهم يقول الثانية والثالثة؛ لأنهم صغار تسع سنين وسبع سنين؛ لكن مقصودهم ما وراء ذلك، مقصودهم فتح الباب حتى يكون ما وراء ذلك

في المتوسط ثم الثانوي ثم الجامعة دعاة الباطل لهم مقاصد خبيثة، ولهم أهداف بعيدة؛ لكن نسأل الله أن يبطل كيدهم ويعين عليهم ويكفينا شرهم.

س٣: في إحدى الشركات المحلية وجد أحد الإخوان الطيبين رسالة معلقة على الحائط موجهة إلى أحد المبشرين بالنصرانية، واكتشفت أن هذا المبشر يعمل معهم وهو إنجليزي، فقد حاولت تصوير هذه الرسالة التي ارتسم عليها الصليب على بدايتها وهي طبعًا بالإنجليزية؛ ولكنها ليست معنا الآن، فما رأيكم تجاه هذا العمل وهل علينا إيصال هذه الرسالة إلى سماحتكم؟

ج: نعم نعم من وجد شيئًا منشورًا بالصليب أو على جدران يوزع بالصليب - جزاه الله خيرًا - يرسل لنا أو للهيئة، أو لوزارة العدل، أو لمجلس القضاء أي جهة يراها مفيدة يتصل بها.

س٤: ما هو دور الشباب والعلماء تجاه الشريط الإسلامي، وهل ترون أنه وسيلة عظيمة لنشر الدعوة، ودحض الغزو الفكري؟

ج: نعم الشريط طيب ومهم، ونافع إذا كان من أهل العلم، وكان ما في الشريط من أهل العلم المعروفين الذين يعرفون بالحق والخير فإن الله ينفع بالشريط، وينفع بالكتابة التي يصدر منهم.

س٥: ما تقولون في رجل قال ليس هناك فرق بين سُنِّي وشيعي بل كلهم مسلمون وهو مُفْتٍ في إحدى ديار المسلمين حيث أنه أجريت معه مقابلة في إحدى المجلات منذ شهر ويقول: حرام علينا أن نقول هذا سُنِّي وهذا شيعي، وهل هذا الكلام لا بأس به؟ وما ترون فيه؟

ج: هذا كلام فيه إجمال وخطأ، فإن الشيعة أقسام ليسوا قسمًا واحدًا، الشيعة أقسام ذكر شيخ الإسلام أنهم اثنتان وعشرون فرقة، وهم يختلفون، فيهمْ مَن بدعته تكفره، وفيهم من بدعته لا تكفره مع أنهم في الجملة مبتدعون، الشيعة في الجملة مبتدعون وأدناهم من فضَّل عليًا على

الصدِّيق وعمر، قد أخطأ وخالف الصحابة؛ ولكن أخطرهم الرافضة أصحاب الخميني هؤلاء أخطرهم؛ وهكذا النُّصيرية أصحاب حافظ الأسد وجماعته في سوريا، الباطنية الذين في سوريا والباطنية الذين في إيران، والباطنية في الهند والإسماعيلية، هذه الطوائف الثلاثة هم أشدهم وأخطرهم، وهم كفرة، هؤلاء كفرة لأنهم والعياذ بالله يضمرون الشر للمسلمين، ويرون المسلمين أخطر عليهم من الكفرة، ويبغضون المسلمين أكثر من بغضهم الكفرة، ويرون أهل السُّنَّة حل لهم دماؤهم وأموالهم، وإن جاملوا في بعض المواضيع التي يجاملون فيها، ويرون أن أئمتهم يعلمون الغيب، وأنهم معصومون، ويعبدون من دون الله في الاستغاثة والذبح لهم، والنذر لهم هذه حالهم مع أئمتهم.

فالرافضة اللذين هم الطائفة الاثنى عشرية ويقال لهم الجعفرية، ويقال لهم الآن الخمينية الذين يدعون إلى الباطل الآن، وهم من شر الطوائف، وهكذا طائفة النصيرية من شر الطوائف، هكذا طائفة الإسماعيلية هؤلاء باطنية في الباطن يرون إمامة الصديق، وعمر وعثمان يرونها باطلة، ويرون أن الصحابة كفار مرتدون عن الإسلام إلا نفرًا قليلًا منهم كعلي والحسن والحسين، وعمار بن ياسر واثنين أو ثلاثة أو أربعة من بقية اللجنة يرون أنهم يوالون عليًّا فقط، وأما بقية الصحابة فعندهم أنهم مرتدون قد خرجوا عن الإسلام وظلموا عليًّا، إلى غير هذا مما يقولون.

نسأل الله العافية مع ما عندهم من الغلو في أهل البيت، ودعواهم أنهم يعلمون الغيب، وأن الواجب إمامتهم، وأن هذه الإمامات التي بعد علي وقبل علي كلها باطلة وأنه ما عندهم ولاية حق إلا ولاية علي والحسن فقط، أما هذه الولايات من عهد النبي إلى يومنا هذا كلها باطلة عند الرافضة نسأل الله السلامة.

المقصود أن الشيعة أقسام ليسوا قسمًا واحدًا، ومنهم الزيدية

المعروفة في اليمن عندهم التفضيل ليسوا بكفار إلا من عبد الأوثان منهم وغلا في أهل البيت ودعاهم من دون الله، أما مجرد تفضيل علي على الصديق وعمر لا يكون كفرًا ولكنه بدعة وغلط، الواجب تفضيل الصدِّيق، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي، علي هو الرابع رضي الله عنهم وأرضاهم، هذا هو الحق الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فالذي فضّل عليًّا عليهم يكون أخطأ ولا يكون كافرًا، وإنما الكفار منهم الرافضة، والنصيرية، والإسماعيلية الذين يغلون في أهل البيت، ويعبدونهم من دون الله، ويرون أن عبادتهم جائزة، وأن أئمتهم يعلمون الغيب إلى غير هذا مما يقولون. نسأل الله السلامة.

فالحاصل أنه ينظر في عقائدهم بالتفصيل ولا يقال الشيعة كلهم كفار لا؛ بل فيهم تفصيل، وهم أقسام كثيرة.

س٦: حجهم للبيت الحرام سماحة الشيخ؟

ج: لا بد ينظر في أمرهم في المستقبل نسأل الله أن يوفق الدولة في كل خير وأن يعينهم، المقصود أن قول من قال لا فرق بين الشيعة وبين السُّنَّة هذا قول باطل خطأ، الشيعة فيهم تفصيل ولا يجوز أن يقال كالمسلمين وأنهم سواء، هذا غلط بل فيهم تفصيل، وهكذا الصوفية أقسام فيهم تفصيل ما هم على حد سواء.

س٧: ما رأي سماحتكم في الحديث الذي يقول: داعب ولدك سبعًا وأدبه سبعًا وعلمه سبعًا، وفي رواية: ثم اترك حبله على غاربه؟

ج: ليس له أصل، هذا لا أصل له نعوذ بالله، المحفوظ عن النبي ﷺ، أنه قال: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**[١].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٠٣).

س٨: قرأنا لأحد الكُتَّاب في كتاب نصائح إسلامية بأنه لا يجوز للعلماء الخروج في التلفزيون أو غيره لأنه إعانة لأهل الباطل فما مدى صحة قولهم؟

ج: يخرُج في التلفاز إذا كان أراد بذلك نصر الحق نرجو أن لا يكون عليه حرج إن شاء الله، الذي يخرج في التلفاز أو ندوة في التلفاز في الحق تنصر الحق؛ لأن التلفاز عمَّت به البلوى، الآن يشاهده الناس في كل مكان، فإذا ما ظهر فيه أهل الحق صار يظهر فيه أهل الباطل فقط فينتشر الباطل، فإذا ظهر دعاة الحق وكلمات الحق في التلفاز ونشرت هذا مما ينفع الله به الناس، فمن ظهر فيه لقصد الحق، ولقصد القضاء على الباطل، ودعوة الناس إلى الخير، نرجو أن يكون لا حرج عليه للضرورة.

❊ ❊ ❊

لقاء سماحة الشيخ بطلاب ومنسوبي دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وصفوته من خلقه، نبينا وإمامنا، وسيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم.

أما بعد[1]:

فإني أشكر الله ﷻ، على ما منَّ به من هذا اللقاء بإخواني الضيوف الكرام، والمدرسين في هذه الدار، وبأبنائي الطلبة، أسأل الله أن يجعله لقاءً مباركًا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يجعلنا وإياكم من دعاة الهدى، وأنصار الحق، وأن يثبتنا على دينه، وأن يجعلنا وإياكم من الصالحين المصلحين، ومن دعاة الحق ما بقينا إنه جلَّ وعلا جواد كريم.

ثم أشكر إخوتي الذين تكلموا قبلي على كلماتهم الطيبة، وأسأل الله أن يعفو عني وعنهم فيما ذكروا وتكلموا به، وأن يعفو عنا جميعًا في كل ما نأتي ونذر، وأن يصلح أعمالنا جميعًا، وأن يجعلنا وإياكم من دعاة الهدى، ومن أنصار الحق أينما كنا، إنه جلَّ وعلا جواد كريم.

وقد سمعتم ما ذكره فضيلة الشيخ علي بن عامر مدير هذه الدار عن

---

(١) محاضرة لسماحة الشيخ في دار الحديث الخيرية في يوم الأربعاء ١٤١٥/٧/٥هـ.

أصل هذه الدار وأساسها، وهي بحمد الله مؤسسة على التقوى والخير، وتعليم السُّنَّة، تعليم الكتاب والسُّنَّة، والدعوة إلى الحق، وقد مضى عليها الآن أربعة وستون عامًا بعد تأسيسها في عام اثنين وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة على يد المؤسسين جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في وقته، وسماحة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح، هؤلاء هم المؤسسون لهذه الدار رحمهم الله جميعًا، وضاعف مثوبتهم.

وقد نفع الله بهذه الدار نفعًا كبيرًا، وتخرج منها أفواج كثيرة انتشروا في العالم في إفريقيا وغيرها، وحصل بهم بحمد الله خير كثير، فنسأل الله أن ينفع بهم، وأن ينفع بمن يتخرج بعدهم من هذه الدار، وأن يجعلهم صالحين مصلحين، وهداة مهتدين، وأسأله جلَّ وعلا أن يوفق المدرسين في هذه الدار بما يرضيه، وأن ينفع بهم أبناءهم الطلبة، وأن يجزل مثوبتهم، وإني أشكر إخواني أعضاء المجلس الأعلى لهذه الدار، وأعضاء التدريس، وأعضاء المجلس الإداري، أشكرهم جميعًا على جهودهم الطيبة، وأسأل الله أن يزيدهم من الخير، وأن ينفع بهم عباده، وأن يجعلنا وإياهم من الهداة المهتدين.

أيها الإخوة في الله.

أيها الضيوف الكرام، أيها الأساتذة أيها الأبناء الكرام:

إن الله جلَّ وعلا خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بها، وأرسل الرسل بذلك عليهم الصلاة والسلام، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فجميع الثقلين من الجن والإنس خلقوا

ليعبدوا الله، وأمروا بذلك، وأرسل الله الرسل لهذا الأمر العظيم بالدعوة إليه وتفصيله وبيانه للعالم، حتى يعبدوا الله على بصيرة، وأرسل خاتم الرسل، وأفضلهم وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى هذا الدين، والدعوة إلى هذه العبادة التي خلق الناس لها، فهو أفضل الرسل وإمامهم، ودعوته عامة عليه الصلاة والسلام، دعوته لجميع الثقلين ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، أرسله الله للجميع، وجعله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ويقول ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(١).

ونبينا هو أكمل الناس بلاغًا، وأكمل الرسل بلاغًا، وأداءً للأمانة عليهم جميعًا الصلاة والسلام، فالواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يعرفوا هذه العبادة التي خلقوا لها وأن يتبصروا فيها، وأن يعملوا بها، هذه العبادة هي دين الإسلام، هي التقوى والبر، هي الهدى الذي قال الله فيه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، هي العبادة التي خلقنا لها، توحيد الله، والإيمان به، وبرسوله محمد ﷺ، وبجميع المرسلين، وبكل ما أخبر الله به ورسوله ثم طاعة الأوامر، وترك النواهي هذه العبادة التي خلقنا لها، أن نعبد الله وحده، بأن نشهد أنه لا إلـه إلا الله صدقًا من قلوبنا، وصدقًا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، برقم (١٨٤٤).

من أعمالنا، وأقوالنا، وأن نشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وأن نتبع ما جاء به، وأن نحبه المحبة الكاملة، تابعة لمحبة الله ﷻ، وأن نؤمن بما جاء به وبكل ما أخبر الله به ورسوله، ثم نعمل، فنطيع الأوامر، وننتهي عن النواهي، ونقف عند الحدود هذه العبادة التي خلقنا لها، في قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، المعنى أن يخصوني بالعبادة، ويطيعوا أمري، وينتهوا عن نهيي، هذه العبادة التي خُلقت لها أيها المؤمن، أيها المكلف.

فالواجب على جميع المكلفين التفقه في هذه العبادة، والتبصر فيها، حتى يؤديها على بصيرة، وحتى يعمل بها على بصيرة بتوحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذه العبادة التي خلقنا لها، وهي التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وآمنوا بها ودعوا إليها ودعا إليها بعدهم خلفاؤهم من المؤمنين والعلماء، وهكذا خلفاء الرسول ﷺ، من أصحابه، الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة دعوا إلى هذه العبادة التي خلقنا لها وهكذا من بعدهم من العلماء دعوا إلى هذه العبادة وفصَّلوها، وألفوا فيها الكتب، من كتب الحديث، وكتب العقائد، وكتب الفقه، بصَّروا الناس، وبينوا ما دل عليه الكتاب العظيم، والسُّنَّة المطهرة من أنواع هذه العبادة، وحقيقتها.

* تأسيس دار الحديث:

وهذه الدار التي هي دار الحديث أسست لهذا البيان، أسست لبيان هذه العبادة التي خلق الناس لها من طريق الكتاب العظيم والسُّنَّة المطهرة، وقد مضى عليها كما سمعتم الآن أربعة وستون عامًا بتدريس الكتاب والسُّنَّة، ودعوة الناس إلى الخير، وإرشادهم إلى ما خُلقوا له من

توحيد الله وطاعته، فنسأل الله أن يبارك في جهود القائمين عليها وأن ينفع بهم العباد والبلاد، وأن يوفق المتخرجين منها لأداء الحق لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة والنصح لله ولعباده بتوجيه الناس إلى الخير، وإرشادهم إلى توحيد الله وطاعته، وتعليمهم العقيدة الصحيحة السلفية التي بعث الله بها نبيه ﷺ، وبعث بها جميع المرسلين، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء المبلغين، ومن الهداة المهتدين.

والذي أوصي به الجميع ونفسي تقوى الله، أوصيكم جميعًا ونفسي بتقوى الله جلَّ وعلا، وهي توحيده وطاعته والاستقامة على دينه، وأوصيكم أيضًا بالجد في طلب العلم، والتفقه في الدين من طريق الكتاب العظيم، والسُّنَّة المطهرة والعناية بذلك فيما بينكم دراسة، ومذاكرة فيما بينكم، وسؤال أهل العلم من المدرسين وغيرهم عما أشكل عليكم، وأن تخلصوا لله في العمل، عليكم أن تخلصوا لله وأن تصدقوا في الطلب، يقول النبي ﷺ، في الحديث الصحيح: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**، متفق على صحته(1).

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»**(2).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فالواجب عليكم أيها الطلبة الجد في الطلب، والنصح في هذا الطلب، والإخلاص لله في ذلك، وأن تواصلوا الجهود ليلًا ونهارًا، في التفقه في الدين، والدراسة لما وُكِلَ

---

(1) متفق عليه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، برقم (٧١)، وفي كتاب فرض الخمس باب ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، برقم (٣١١٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم (١٠٣٧).

(2) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ برقم (٢٦٩٩).

إليكم من المقررات والعناية بها، والمذاكرة فيها مع زملائكم، ثم مع المدرسين فيما أشكل عليكم، ومن أهم الأمور؛ بل أهم الأمور وأعظمها العناية بالقرآن الكريم، فإنه أساس الدين: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فيه الهدى والنور: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، فأهم شيء العناية بالقرآن ثم السُّنَّة، هذان هما الأصلان، وهما الطريق لبيان ما خلق الله الخلق لأجله، وما بعث الله به رسله، كل ذلك مبين في كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله الصحيحة عليه الصلاة والسلام.

فنوصيكم جميعًا بالجد في ذلك والفقه في ذلك، والصدق في ذلك، مخلصين لله، طالبين رضاه مريدين بذلك أن تنقذوا أنفسكم من الجهالة، وأن تعلموا الناس ما خُلقوا له من طاعة الله وعبادته سبحانه وتعالى، وأبشروا بالخير العظيم، يقول النبي ﷺ، في الحديث الصحيح: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»[1].

فأنتم إذا تخرجتم وأرشدتم الناس في أي بقعة لكم مثل أجورهم، لكم مثل أجور من هداه الله على أيديكم، فاصبروا وصابروا، واصدقوا في الطلب، واجتهدوا في ذلك، وأخلصوا لله العمل، وأبشروا بالخير العظيم، أبشروا بالخير العظيم، ونوصيكم بالعمل، أن تكونوا عاملين بما علمتم، من المحافظة على الصلوات في الجماعة، والتخلق بالأخلاق الكريمة المرضية، والتواصي بينكم في الحق والنصح لله ولعباده، والحذر من كل ما يخالف الشرع المطهر، كونوا قدوة صالحة في أقوالكم، وأعمالكم، وسيرتكم، أينما كنتم، وهكذا بعد التخرج، كونوا قدوة صالحة بالسيرة الحميدة، والأخلاق الكريمة، والدعوة إلى الله بالحكمة،

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، برقم (١٨٩٣).

والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والصبر على ذلك، يقول الله جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وهي العلم، قال الله قال رسوله، ووضع الأشياء في مواضعها مع الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والجدال بالتي هي أحسن، لا بالعنف والشدة إلا من ظلم كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، من ظلم فله شأن آخر في رد ظلمه، وفي علاج ظلمه.

لكن الطريقة التي سلكها الرسل، وسلكها خاتمهم عليه الصلاة والسلام الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن بالأساليب الحسنة بالرفق والحكمة، فإن هذا أقرب إلى قبول الحق وإلى هداية الخلق، وهذا شأنه عليه الصلاة والسلام، كان ﷺ رفيقًا بدعوته، لينًا في دعوته، حتى قبل الناس دعوته، ونفع الله به الأمة، وهدى الله على يديه من لا يحصيه إلا الله ﷻ، قال الله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولما بعث الله موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

فأنتم أعدوا أنفسكم لهذا الأمر العظيم أعدوا أنفسكم للدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وأن تعدوا أنفسكم أيضًا بالدعوة بالعمل، بالعمل الصالح، بالقدوة الحسنة، بالسيرة الحميدة، حتى تصدق أعمالكم أقوالكم، وحتى يهتدي الناس وينتفع الناس بأقوالكم وأعمالكم، وهكذا الواجب على كل عالم وكل داعية إلى الله أن تكون أعماله مصدقة لأقواله، وأقواله مصدقة لأعماله، حتى يكون قدوة صالحة في سيرته وفي أعماله، وأقواله، قال الله جلَّ وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكان عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة في أقواله، وأعماله، وسيرته، فيما يأتي ويذر عليه الصلاة والسلام.

فالواجب التأسي به في ذلك والسير على منهجه الذي رسمه للعباد للأمة في أقواله وأعماله عليه الصلاة والسلام، وقد دل عليه كتاب الله، وأرشد إليه كتاب الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، هكذا الدعوة على بصيرة، على علم، هؤلاء أتباع الرسل، هم الدعاة إلى الله على بصيرة، على علم المخلصة لله لا لأجل الهوى والرياء؛ ولكن لله، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ دعا وعمل: ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، هو يدعو إلى الله ويعمل ويصرح أنه من المسلمين؛ لا من غيرهم، ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ يعني: بالعلم النافع ووضع الأشياء في مواضعها ثم ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ بالترغيب والترهيب والجدال بالتي هي أحسن هكذا يكون الداعية إلى الله الصادق الراغب في حصول المطلوب، والسلامة من المغضوب: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

فأنتم على خير عظيم، ونرجو لكم خيرًا عظيمًا إذا أخلصتم وصدقتم وصبرتم على التعلم، ثم على الدعوة إلى الله والتبصير والتذكير بما تعلمتم في سائر بلدانكم، وفي أي جهة تكونون دعاة لله مبينين للناس شرع الله، موضحين للناس ما بعث الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالعلم لا بالتقليد الأعمى، ولا بالرياء؛ ولكن بالعلم الخالص لله، والعمل الصالح لله، ترجون ثواب الله وتخشون عقابه سبحانه وتعالى.

ونوصيكم أيضًا فيما بينكم بالتراحم والرفق، والتواصي بالحق، وعدم التكبر، وعدم العنف، كونوا فيما بينكم إخوة متحابين في الله، متعاونين على البر والتقوى، لا متكبرين بل متواضعين، كل واحد منكم

يتواضع لأخيه وزميله، ويتباحث معه ويفيده، ويستفيد منه، هكذا طلاب العلم المخلصون، عندهم الرفق، وعندهم الإخلاص، وعندهم الصدق، وعندهم التواضع، وعدم التكبر، وهكذا كل مع الأساتذة، كونوا متواضعين، حريصين على الفائدة بالأسلوب الحسن، والسؤال الطيب الرفيق، حتى تحصل الفائدة لكم من المدرس ومن غير المدرس، وحسن السؤال، والرفق في السؤال، وحسن الأسلوب، من أعظم الأسباب في الفائدة، وحصول الجواب المفيد من المسؤول، وهكذا الواجب عليكم فيما بينكم مع أهليكم، ومع إخوانكم أن ترفقوا بهم، وتعلموهم، وترشدوهم، بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن، ومع جيرانكم، ومع جلسائكم، تكونون قدوة صالحة في أقوالكم وأعمالكم.

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، ونسأل الله أن ينفع بهذه الدار والقائمين عليها مدى الحياة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ونسأل الله أن يبارك في جهود الجميع من المعلمين والمديرين والطلبة، ويجعلنا وإياهم هداة مهتدين صالحين مصلحين، إنه جلَّ وعلا جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

✲ ✲ ✲

الأسئلة

س١: هل تجوز الزيادات في بعض ألفاظ الصفات بما قد تقتضيه؛ كقول ابن أبي يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه طبقات الحنابلة: إن الله تعالى كلم موسى تكليمًا ملئ فيه، وقول ابن أبي[1]: إن الله استوى على العرش بذاته ونحو هذا من الألفاظ؟

ج: المشروع لأهل الإيمان في هذا أن يتلقوا الصفات كما جاءت من غير زيادة ولا نقص إلا ما يُعلم قطعًا أنه مراد مثل استوى على العرش بذاته لا شك، بذاته وهو فوق العرش بذاته، وهو العالي بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما زيادة بفيه أو كذا يقال كلَّمه تكليمًا كلمه مشافهة من غير واسطة يكفي هذا، كلَّمه من غير واسطة، كما كلَّم محمد ﷺ، بغير واسطة في ليلة الإسراء والمعراج، ولا حاجة إلى أن يقول بفيه ولا كل هذا ما له حاجة، يكفي أن يقال كلَّمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منْ غير واسطة جلَّ وعلا، وهذا أمر معلوم مقطوع به عند جميع أهل العلم كلم الله موسى وكلَّم محمدًا ﷺ، وهو يكلِّم من شاء من عباده كما قال في الرسل: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؛ يعني: موسى، ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام، كلَّم آدم عليه الصلاة والسلام، أما مثل ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة يقال ينزل من دون زيادة، ينزل ربنا فقط كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، يتكلم إذا شاء من غير تكييف ولا تمثيل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا رضاه وغضبه، ومحبته،

(١) توقف السائل بقوله الخط غير واضح.

وسمعه وبصره، كلها يجب إثباتها من دون تكييف، نثبتها لله حقًا على الوجه اللائق بالله من غير مشابهة لخلقه ﷻ.

س٢: هل يجوز كذلك تنزيه الله تعالى عما لم يذكره في كتابه؛ كقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: إن الله تعالى منزه عن الحركة؟ وقول من يقول: إن الله منزه عن الأعضاء ونحو ذلك؟

ج: هذا لا يقال، لا ينفى ولا يثبت، الذي سكت الله عنه نسكت عنه، ما سكت الله عنه فأهل السُّنَّة يسكتون عنه لا ينفون ولا يثبتون، كما ذكر أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك في كتابه التدمرية فيقال: إذا جاء ربك، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ولا حاجة إلى الحركة وعدم الحركة، الشيء الذي سكت الله عنه ورسوله نسكت عنه ولا حاجة إلى التشبيه نثبته على الوجه اللائق به سبحانه من غير حاجة ذكر الحركة؛ لأن هذه الزيادات لا حاجة إليها.

فالمجيء معروف على الوجه اللائق بالله، والنزول كذلك، والاستواء كذلك، كلها أمور معروفة من حيث اللغة العربية، فنقول كما قال الله، ونطلق كما أطلق الله على الوجه اللائق به سبحانه من غير تكييف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ومثلها الجسم وعدم الجسم، إثبات الذات لله ﷻ والصفات، ولا حاجة إلى ذكر الجسم نفيًا ولا إثباتًا.

س٣: هل يعد النجاشي من الصحابة، فإن الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء قد ذكره من الصحابة؟

ج: لا أعلم وجهًا لعده من الصحابة؛ لأن الصحابي من لقي النبي ﷺ، مؤمنًا به وهو لم يلق النبي ﷺ، إنما هاجر إليه الصحابة، وأكرمهم، وأجارهم، وحماهم، وصلى عليه النبي ﷺ، لما توفي رضي الله عنه فهو من التابعين وليس من الصحابة؛ لأنه رأى الصحابة فهو تابعي ليس بصحابي.

س٤ : هل وضع الدفايات أمام الإمام أو المصلين من التشبه بفعل المجوس في عبادة النار؟

ج: إذا تيسر جعلها خلف الناس أو عن يمينه وشماله يكون أحوط وأحسن والذي نرجو لا يضر ذلك لأنه غير مقصود إنما هو من أجل النور والدفء؛ لكن إذا تيسر أن تكون عن يمين المصلين أو شمالهم، أو خلفهم يكون ذلك من باب الاحتياط من باب: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» البعد عن التشبه بعبَّاد النار.

س٤ : هل تجوز الزيادة في قنوت النوازل زيادة عن الدعاء بالنازلة وقد ذكر عبدوس العطار في مسائله عن الإمام أحمد أن الصلاة تبطل بذلك؟

ج: لا حرج في الزيادة المناسبة للدعاء؛ ولكن كان النبي ﷺ، يعتني بالدعاء فيما يتعلق بالنازلة يدعو على المعتدين من الكفرة، يدعو عليهم عليه الصلاة والسلام ويدعو للمسلمين كما كان يدعو لأهل مكة المستضعفين، «**اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**»(١).

إلى غير ذلك، فالقانت يدعو بما يناسب المقام ولو زاد شيئًا ما يضر، والقول بأن تبطل الصلاة قول لا وجه له، وإن كان قد نقل عن الإمام أحمد هو قول ضعيف، من جهة الدعاء لا تبطل به الصلاة، لكن المشروع للقانت أن يتحرى الكلمات المناسبة للمقام في حال القنوت في النوازل كما في قنوت الوتر يدعو بالكلمات المناسبة ولا تضر، أو زاد دعوات أو نقص لا يضر ولا تبطل الصلاة بزيادة الدعاء.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، برقم (٨٠٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، برقم (٦٧٥).

س٥: يقول الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في سبل السلام في ترجمة لحديث ابن عباس في رؤية الهلال: إنه (يكفي للإمام الإقرار بالشهادتين ولا يلزم التبري من سائر الأديان)[1] فما صحة هذا الكلام، وما توجيه سماحتكم له؟

ج: إن كان قال هذا هو خطأ لا بد من الكفر بالطاغوت؛ لا بد من الإيمان بالله والكفر بالطاغوت كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول ﷺ: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[2].

فلا بد من الإيمان بالله والشهادتين، الإيمان بالقلب واللسان؛ ولا بد من العمل أيضًا؛ ولا بد أيضًا من البراءة من جميع الأديان الباطلة، البراءة من جميع الأديان الباطلة كلها طاغوت لا بد من البراءة منها واعتقاد بطلانها.

س٦: هل يمكن أن يوجه بأن المراد يعني التلفظ أن لا يتلفظ بالتبروء وإن كان يعتقد التلفظ بالشهادتين؟

ج: لا أدري على كل حال لا بد من البراءة بالتلفظ بهذا ويتبرأ منها؛ لا بد من البراءة من عبادة غير الله واعتقاد بطلانها.

س٧: قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لعمدة الأحكام: فإنه لما كان العلم أشرف ما خلق في الوجود فهل العلم مخلوق كما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ومعلوم أن أعظم العلوم وأشرفها هو القرآن؟

ج: التعبير هذا تعبير مجمل إذا كان عُبِّر بهذا فهو تعبير مجمل، والمراد بالعلم المخلوق الذي يحصله الناس بأفهامهم وألسنتهم هذا

(١) سبل السلام (٤/ ٩١) (٦١٥) من حديث ابن عباس أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت الهلال، فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله؟» .... الحديث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبو مالك الأشجعي (٣/ ٤٧٢).

المخلوق من جهة الأدوات، وأما العلم نفسه قال الله القرآن العظيم ليس بمخلوق؛ لكن هم ما حصلوا من اللسان أو بالفهم هذه الأدوات مخلوقة، وأما المحصل المدرك من القرآن والسُّنَّة فهو كلام الله وكلام الرسول، كلام الله غير مخلوق، كلام الرسول مخلوق، الرسول مخلوق وكلامه مخلوق، أما كلام الله فهو منزل غير مخلوق فإذا حفظ القرآن، القرآن محفوظ غير مخلوق، أما حفظه هو وألفاظه هو مخلوقة؛ لكن نفس القرآن المحفوظ أو المكتوب ليس بمخلوق، فالعبارة موهمة إن كان عبر بهذه العبارة عبارة موهمة، العلم مخلوق ما حصلته أنت، ما أدركته أنت بلسانك، وكتابتك، وحفظك، أما نفس العلم الذي هو القرآن هذا ليس بمخلوق، وهكذا الأحاديث القدسية التي يرويها الرسول عن ربه كلمات ينقلها عن ربه كلام الله غير مخلوق.

س٨: استشكل بعض الإخوة كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة صفوان بن سُليم كما نقله الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في تهذيب التهذيب حيث قال: هذا رجل يستسقى بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره[1]، أو كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ فما معنى كلامه.

إن كان قال هذا الكلام فهو غلط، أحمد والشافعي، مالك، وأبو حنيفة وغيرهم أئمة ليسوا معصومين قد يقع من واحد منهم الخطأ والغلط في بعض المسائل، فإذا قال يستشفى بذكره أو بكلماته أو كذا هذا يحمل على محمل حسن، وهو أنه إذا دعا أو رقى إنسان يرجو أن الله يقبل منه، وأن الله يقبل دعاءه من هذا الباب محمل حسن، وأما مجرد كلامه أو مجرد ذاته ما فيها شفاء، هذا مختص بالنبي ﷺ، هو الذي جعل الله عرقه، وجعل شعره، جعل مادته فيها بركة وخير؛ ولهذا كان ﷺ يعطي شعره إذا حلق للناس لما فيه من البركة، أما الناس لا؛ ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم ما

(١) انظر هذا الكلام في ترجمة صفوان المذكور في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٤) طبعة مؤسسة الرسالة.

يتبركون بالصديق ولا بعمر ولا بعثمان ولا بعلي، وهم أفضل الناس هؤلاء الأربعة هم أفضل الناس بعد النبي ﷺ، وبعد الأنبياء، وما كان الصحابة يتبركون بهم، ولا بعرقهم، ولا بثيابهم، وما يفعله بعض العلماء من التبرك هذا غلط ليس بشيء ولا دليل عليه، بل هذا مختص بالنبي عليه الصلاة والسلام، وإنما يتبرك بما قال الله ورسوله، من كلام الله العظيم يقرأ كلمات النبي تقرأ على المريض، الدعوات الطيبة هذه الذي فيها البركة والعالم إذا دعا يُرجى في دعائه البركة، والمؤمن في دعائه يرجى فيه البركة، أما جسمه وذاته وعرقه لا، هذا مختص بالنبي عليه الصلاة والسلام.

س٩: ما معنى قول النبي: «لا بد من العريف والعريف في النار» أخرجه أبو نعيم وإسناده حسن؟

ج: يحتاج تأمل، يحتاج لسنده نظر، ولو صح المراد بالعريف الذي يجور يخون هو الذي في النار، أما العريف الذي يقوم بالواجب ويتقي الله وينصح ليس في النار بل له الجنة يرجى له الخير العظيم؛ لكن لو صح يحمل على العريف الذي لا يؤدي الأمانة بل يخون بالأمانة، والعرفاء هم الرؤساء والأعيان الذين يرجع إليهم في معرفة حال القبائل أو النظر في شؤون الناس، أو تقدير أملاكهم، أو ما يقع منهم من الأشياء التي تحتاج إلى نظر من قسمة أو غيرها، هذه ينظر فيها إلى الناس الطيبين الأمناء يسمون عرفاء، يسمون نظراء هؤلاء إذا صدقوا ونصحوا لهم الأجر العظيم، وإذا خانوا فعليهم الإثم العظيم.

س١٠: أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي عن عمرو بن شعيب أنه قال: إذا وجد الغلول عند الرجل أخذ وجلد مائة وحُلق رأسه ولحيته وأُخذ ما كان في رحله من شيء إلا الحيوان وأحرق رحله ولم يأخذ سهمًا في المسلمين أبدًا، قال: وبلغني أن أبا بكر وعمر كانا يفعلانه والمستشكل هنا أن حلق اللحية محرم للنصوص الواردة في ذلك، فكيف يفعله حبيبنا رسول الله؟

ج: هذا غير صحيح إنما يحرق المال نفسه الذي عنده بسبب الغلول على قول بعض أهل العلم، والقول الثاني لا يحرق؛ ولكن يؤدب، يؤدبه ولي الأمر بما يرى، وليس لمائة جلدة أصل فيما نعلم لا من السُّنَّة ولا عن الخلفاء إنما يحرق متاعه عند بعض أهل العلم؛ لأنه ورد في بعض الأحاديث فيها ضعف، وقال آخرون: لا يحرق متاعه؛ لكن يؤدب ويؤخذ مما غل، أما حلق اللحية فلا يجوز حلقها في التأديب لا في حق الغالِّ ولا في غيره، اللحية أمر الله بإعفائها على يد الرسول ﷺ، والواجب إعفاءها ولا يجوز لأحد حلقها لا من الأمراء ولا من غيرهم.

س١١: ما حكم من أسلم وعنده أختان أو زوجة الأب هل يفرق بينهم؟ وما معنى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، **هل ما قد سلف في الجاهلية أو يشمله لمن يدخل الإسلام؟**

ج: في الجاهلية، أما من دخل في الإسلام ينظر فإذا كان النساء اللاتي عنده، الشرع يحرِّمهن، منع مثل زوجة أبيه، مثل خالته، عمته يمنع يفرق بينهما، وإذا كان عنده أختان يخير في إحداهما، وإن كان عنده أكثر من أربع يخير في أربع فقط كما بيَّنه النبي عليه الصلاة والسلام.

س١٢: عندنا أصحاب طرق وهم أئمة مساجد، فهؤلاء كيف نعمل معهم وهل نصلي خلفهم أو نصلي منفردين؟

ج: ينظر فيها إذا كان بدعة مكفرة لا يصلَّى خلفه، وإذا كان بدعة غير مكفرة فلا مانع أن يصلَّى خلفه ويسعى في إزالته من جهة المسؤولين حتى يُعيَّن من هو من أهل السُّنَّة يجتهد أهل العلم في إزالته؛ لكن إذا كان بدعة مكفرة كالجهمية والمعتزلة لا يصلى خلفهم الرافضة كذلك.

س١٣: ما حكم القراءة على الأموات وهل يثبت الحديث الذي عند الطبراني من حديث اللجلاج عندما قال: إذا أنا مت فاقرأ عليَّ أواخر البقرة، فإني سمعت ذلك من رسول الله ﷺ؟

ج: القراءة على الأموات غير مشروعة بل بدعة ولا يثبت فيها شيء فيما نعلم لا حديث اللجلاج ولا غيره، القراءة شأن البيوت والمساجد؛ ولهذا قال ﷺ: «**اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**»(١).

«**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الذي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(٢).

دل على أن القبور ليست محل صلاة ولا محل قراءة، القراءة محلها البيوت والصلاة في البيوت إلا الفريضة محلها المساجد، وهكذا القراءة تكون في المساجد أيضًا.

س١٤: يقول بعض العلماء: إن الإنسان لا يكفُر إلا إذا كان وراء فعله اعتقاد، وضِّحوا لنا ذلك؟

ج: الكفر يكون بالاعتقاد، ويكون بالفعل، ويكون بالقول، بالاعتقاد كاعتقاد جواز عبادة الأصنام أو القبور أو الأولياء من دون الله كاعتقاد الحلولية اعتقاد النصيرية وأشباهها، واعتقاد وحدة الوجود كل هذا كفر وردة، واعتقاد أن أهل البيت يعلمون الغيب أو إنهم يصلحون لأن يعبدوا من دون الله كل هذا كفر وضلال، وهكذا بالقول كسَبِّ الله وسب الرسول، والاستهزاء بالدين كذا كفر أكبر بالقول، ويكفر بالفعل كالسجود لغير الله، وكإهانة المصحف وما أشبه ذلك والجلوس عليه أو وطئ عليه وما أشبه ذلك، هذا كفر بالفعل وكالذبح لغير الله كفر بالفعل نسأل الله العافية.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، برقم (٤٣٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم (٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم (٧٨٠).

س١٥: يقول اذكر لنا أمثلة لقول شيخ الاسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة نواقض الإسلام من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول، وهل من استهزأ بالدين كفره اعتقادي؟

ج: من استهزأ بالدين كفر صريح إذا صرح بالقول كفر صريح بالقول وكفر بالعقيدة، وهكذا من أبغض ما جاء به الرسول مما هو معلوم من الدين بالضرورة أبغض الصلاة أبغض الزكاة أبغض الصيام، أبغض الحج أبغض بر الوالدين؛ يعني: الشيء المعروف من الدين إذا أبغضه كفر، نسأل الله العافية.

س١٦: استمر عمل العلماء رحمهم الله على استخدام لفظ الشارع من باب الإخبار عن الله مع أنه ليس من أسمائه لا في الكتاب ولا في السُّنَّة فيما أعلم يقول السائل: وإنما هو مشتق من قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الآية [الشورى: ١٣]، فهل يجوز الإخبار عنه بالقاضي لأنه مشتق من قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠]؟

ج: الخبر أوسع من الأسماء، ويقضي بالحق وهو القاضي بين عباده في الدنيا والآخرة في الدنيا بشرعه وفي الآخرة بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الشارع، والرسول يسمى شارعًا أيضًا لأنه مبلغ عن الله، فالرسل مبلِّغون وشارعون بالتبليغ عن الله جلَّ وعلا، والله هو الشارع الحقيقي لأنه هو الذي شرع للناس هذه الأحكام وأمر بها، فالخبر أوسع من التسمية، الإخبار عن الله أنه موجود وأنه شيء وأنه شارع وأنه يقضي بين الناس أوسع من الأسماء.

وفق الله الجميع لما يرضيه، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه.

❊ ❊ ❊

إجابة السائلين في موسم الحج

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فلقد سمعنا جميعًا هذه الكلمات الطيبات المباركات من صاحب الفضيلة الشيخ سليمان الهديان في موضوع خطير كما قال فضيلته وموضوع مهم جدًّا، وهو أمر إجابة السائلين في موسم الحج، ولا شك أن هذا الموضوع جدير بالعناية في موسم الحج وفي غيره؛ ولكن موسم الحج له خصوصية، لكثرة السائلين وضيق الوقت.

ولا ريب أن المجيب يصدر عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، ويرشد السائلين إلى شرع الله، هذا هو الذي يُسألون عنه وهو أن يجيب على هذا الأساس، فالواجب عليك من العناية والاجتهاد والتحري للحق شيء عظيم دل عليه كتاب الله، ودلت عليه السُّنَّة، ودل عليه كلام أهل العلم، فالقرآن العظيم حذر من القول على الله بغير علم، والسُّنَّة كذلك، فالواجب على أهل العلم، وعلى من يُسأل عن أحكام الله أن يبذل وسعه في تحري الحق، وأن يرشد السائل إلى ما يعرفه من الشرع المطهر، وإذا أشكلت المسألة فليس هناك مانع من أن يقول

(١) من تعليقات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على كلمات المشايخ في مسجد التوعية بمكة المكرمة في حج عام ١٤٠٧هـ شريط، رقم (٢٠٦).

لا أدري، أو يؤجل السائل إلى جلسة أخرى، أو وقت آخر، أو إلى من يرى أنه حري بأن يفيد السائل بما هو أقرب إلى شرع الله كل هذا من باب النصيحة لله ولعباده، ومن باب الخوف من الله والتعظيم لحرماته، وكل من يتصدى لسؤال الناس وإجابة الناس سوف يجد ما قاله الشيخ سليمان، وسوف يحار في مسائل.

فالواجب هو العناية بتحري الأدلة الشرعية حتى يجيب على ضوئها مما يرشده الله إليه، ومن خير ما يعتني به المسؤول ويستمر عليه، ويتخذه منهجًا دائمًا أن يقول لا أدري فيما أشكل عليه، أو يؤجل السائل إلى وقت آخر حتى يراجع مسألته ويقيدها ليراجعها، سأله أول النهار يراجعه في آخر النهار، سأله في آخر النهار يراجعه في الصباح، يضرب له موعدًا حتى يجيبه عن سؤاله بما هو أقرب إلى الصواب، وفي إمكانه أن يرشده إلى آخر يعتقد أنه أقرب منه إلى أن يجيب بالصواب.

ولا يخفى على أن السلف ﷺ كانوا يتراجعون في المسألة فيما بينهم ويحيلها بعضهم على بعض، هذا شيء معروف عنهم ﷺ من الصحابة ومن بعدهم، كل ذلك من كمال الورع، ومن تعظيم أمر الإجابة، والحذر من القول على الله بغير علم، قد جعل الله سبحانه مرتبة القول عليه بغير علم أعلى المراتب في المنع والتحريم كما قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وإن لم تقل هذا قول الله، وهذا قول رسوله؛ لكنك في المعنى تخبر عن شرع الله، السائل يسأل عن شرع الله، وعن حكم الله.

ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا

تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فالمؤمن إذا ذكر هذه الآيات عظم عليه الأمر، واستوجب منه ذلك التوقف عما لا يعلم، والأمر بحمد الله في ذلك سعة، وله في ذلك سلف، وواجب عليه، ومن أفضل ما ينبغي أن يفعل أن يؤجل السائل حتى يستفيد ويفيد السائل فهو يستفيد ويراجع المسألة ويبحثها من أدلتها، والسائل يستفيد لأنه ربما يحيله على أحد فلا يجد السبيل إليه فتأجيل السائل إلى وقت آخر لا يضر السائل، **هذا فيه فائدتان:**

فائدة للسائل، وفائدة للمسؤول، حتى يتأكد من الجواب، وإذا لم يتيسر ذلك، أمكن أن يحيله إلى من يراه أعلم، حتى لا يعطل السائل، وحتى لا يبقى حائرًا، ومن أعظم ما يعين على ذلك الضراعة إلى الله ﷻ، دائمًا في أن يهديه للصواب، ويعينه على أسبابه ووسائله، ولا سيما بين الأذان والإقامة، وفي آخر الصلاة، وفي السجود، وفي آخر الليل، يضرع إلى الله دائمًا أن يعينه على معرفة الحق بدليله، ثم مع الدعاء يبذل وسعه بمراجعة المسائل في مظانها، والمذاكرة مع زملائه في ذلك، فيجمع بين المذاكرة مع زملائه وبين مراجعة مظانه في كتب أهل العلم، كتب الحديث، كتب الخلاف، في أي كتاب يظن أنه يجد فيه ما يشفيه، هكذا طالب العلم، وهكذا الذي يخاف على دينه، ويخاف من عاقبة الجواب بغير بصيرة، ومتى بذل وسعه وتحرى الحق، هو بين أمرين إما مصيب للحق فله أجران، وإما مخطئ للحق بعد بذل وسعه واجتهاده فله أجر، فهو غير عادم لأجر أو أجرين، بعد بذل وسعه، وبعد اجتهاده وتحريه للحق.

وسُنَّة الله في هذا الصنف من الناس أن يوفقهم وأن يعينهم، ويسهل أمورهم لإخلاصهم، وصدقهم، ورغبتهم في معرفة الحق، وسلوكهم طريقها التي أوضحها الله لعباده.

ومن أسباب ذلك أيضًا أن يكثُر الدعاء أن يكثر في الدعاء طلب أن

يفقهه الله في دينه وأن يمنحه إصابة الحق في كل ما يرد عليه وأن يلجأ إلى الله في ذلك كثيرًا ويدعوه كثيرًا هو سبحانه تعالى القائل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأسال الله أن يجزي أخانا فضيلة الشيخ سليمان خيرًا، وأن يوفقنا جميعًا لإصابة الحق في القول والعمل، وأن يعيننا على أسباب ذلك وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

✻ ✻ ✻

أيام التشريق

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

هذا اليوم هو اليوم الأول من أيام التشريق كما سمعتم في الدرس الماضي هذا الصباح، هو اليوم الأول، والذي رمى بعد الزوال الحمد لله، أو يرمي الآن، والذي ما تيسر له الرمي الآن ولا قبل الغروب، يرمي في الليل عن هذا اليوم، إذا لم يتيسر الرمي في هذا العصر ولا قبله في الظهر بعد الزوال، يرمي إلى أن يطلع الفجر، كل الليل رمي على الصحيح، هذه الليلة رمي؛ لهذا اليوم، اليوم الحادي عشر، وغدًا بعد الزوال وقت رمي الظهر، والعصر؛ وهكذا في الليل؛ يعني: ليلة الأربعاء غدًا يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء تبع يوم الثلاثاء، فيها رمي بعد الغروب إلى آخر الليل، ويوم الأربعاء، هو الثالث عشر، وهو يوم النفر الأخير الرمي فيه بعد الزوال إلى غروب الشمس، وبهذا انتهى الرمي، الذي يفوته الرمي في هذه الأيام، يكون عليه دم، أما الذي رمى في هذه الأيام أو أخَّره، ورمى في آخر يوم مرتبًا فلا بأس، لو أخره ثم رتبه فرمى يوم العيد بالنية، ثم رمى الجمار الثلاثة عن اليوم، ثم رماها غدًا بعد الزوال عن الغد، ثم رماها اليوم الأخير، كله بعد الزوال أجزأت؛ لكن السُّنَّة والمشروع، أن يفعل كما فعل النبي ﷺ، يرمي

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ بعد صلاة العصر كما في السطر الثالث في موسم حج ١٤١٧/١٢/١١هـ.

جمرة العقبة يوم العيد بسبع حصيات جمرة العقبة، ثم اليوم يرمي الثلاث بإحدى وعشرين حصاة كل واحدة بسبع، هذا اليوم بعد الزوال، في الظهر، أو في العصر، أو في الليل، ثم غدًا بعد الزوال يرمي الثلاث على سبع سبع، وإذا تيسر له أن يغادر قبل الغروب غدًا؛ يعني: فلا بأس إن تعجل، أما اليوم ما في تعجل، اليوم يوم القر، يوم العيد ما يحسب من الأيام الثلاث، يوم العيد لا يحسب من الأيام الثلاثة، قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]؛ يعني: أيام التشريق، أولها اليوم، وآخرها يوم الأربعاء: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، أولها يوم الحادي عشر، واليوم الثاني: الثاني عشر، إذا تعجل فيه فلا بأس، قبل الغروب، والثالث، يوم الأربعاء، الثالث عشر، وهذه الأيام هي أيام ذبح أيضًا، أيام نحر الهدايا، يوم العيد وثلاثة أيام بعده، أيام نحر كلها أيام نحر وذبح، الهدايا والضحايا، في الليل والنهار؛ لكن في النهار أفضل، وإن ذبح في الليل فلا بأس، البارحة والليلة، والقابلة، لا بأس، ليلة إحدى عشر، وليلة اثنى عشر، ليلة ثلاث عشر ذبح في النهار، لكن النهار أفضل؛ وليس لأحد أن يسافر بعد الرمي حتى يودع البيت، بالطواف سبعة أشواط ليس فيها سعي، إذا كان قد طاف طواف الإفاضة في يوم العيد أو بعده لا يسافر حتى يطوف طوافًا آخر للوداع، وإن أخر طواف الإفاضة، وطاف عند السفر سد عنه كما تقدم غير مرة؛ لكن يُكَرَّرُ لأجل أن تحفظوه، نكرر ذلك عن الغلط، نسأل الله للجميع التوفيق.

* * *

الأسئلة

س١ : ويسأل حفظكم الله عن النحر نحر الهدي هل يجوز أن ينحر الهدي خارج الحرم؟

ج: الهدي ينحر في الحرم ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، هدي التمتع والقِران، وما يحصل من الأفدية ضد المحظورات يكون في الحرم؛ يعني: يذبح في الحرم؛ إلا المحصر فإنه يذبح الهدي حيث أُحصر، المحصر في بحرة يذبح في بحرة، والمحصر في جدة يذبح في جدة، والمحصر في أي مكان يذبح ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، إنسان جاء للحج مثلًا من الرياض فلما وصل إلى المويه منع يذبح، أو جاء من الشام لما وصل إلى تبوك منع يذبح، في تبوك إذا كان قد أحرم، أو جاء من العراق فمنع، وقد أحرم يكون دم الإحصار حيث أُحصر.

النبي ﷺ، منع في الحديبية، هي خارج الحرم، فنحر هديه وتحلل، أمر أصحابه أن ينحروا هديهم ويحلقوا ويتحللوا؛ لما منعتهم قريش دخول مكة، وهو جاء معتمرًا سنة ست من الهجرة محرمين، في ألف وأكثر من أربعمائة محرمين، فمنعتهم قريش قالت: **«لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً»**، فأبت إلا بحرب فرأى ﷺ أن عدم الحرب أولى، وصالحهم عشر سنين على وضع الحرب، ولم ير حربهم، وصالحهم صلحًا فيه غضاضة على المسلمين؛ لكن لأجل المصلحة والضرورة إليه، تليها الحرب، المسلمون قليل، والكفار كثير، وفي بلدهم، فصالحهم على وضع الحرب عشر سنين، وعلى أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسلمًا يردونه إلي الكفار، ومن جاء من المسلمين

مرتدًا لا يرد، ولما أراد أن يكتب الصلح قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**» قال: لا قَالَ: سُهَيْلٌ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، قال: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**»، ولما أراد أن يقول: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ[1]،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث المسور بن مخرمة في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، برقم (٢٧٣١)، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، حَتَّى كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ**». فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ.
فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ. فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**». ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ**».
فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.
قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ =

= قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ. قَالُوا: ائْتِهِ. فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»**.

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النبي ﷺ بِعَيْنَيْهِ. قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ =

= خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا: ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ»**. فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ. فَقَالَ: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا ائْتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»**.

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»**. قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»**. قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»**. ثُمَّ قَالَ: **«هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»**. فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ»**.

قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: **«لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»**. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ»**. فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ، إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ =

= أنْ تردَّهُ إليَّ. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ». قالَ: فَوَاللهِ إذًا لَمْ أُصالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أبدًا. قالَ النَّبيُّ ﷺ: «فأَجِزْهُ لي». قالَ: ما أنا بِمُجيزهِ لَكَ. قالَ: «بَلَى، فافْعَلْ». قالَ: ما أنا بِفاعِلٍ. قالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أجزْناهُ لَكَ.
قالَ أبو جَندَلٍ: أيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا ألا تَرَوْنَ ما قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذابًا شَدِيدًا في اللهِ. قالَ: فَقالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَيْتُ نَبيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ ألَسْتَ نَبيَّ اللهِ حَقًّا قالَ: «بَلَى». قُلْتُ: ألَسْنا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنا عَلَى الْباطِلِ؟ قالَ: «بَلَى». قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنا إذًا؟ قالَ: «إنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أعْصِيهِ وَهُوَ ناصِرِي».
قُلْتُ: أوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنا أنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قالَ: «بَلَى، فأخْبَرْتُكَ أنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ» قالَ: قُلْتُ: لا. قالَ: «فإنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ». قالَ: فأتَيْتُ أبا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يا أبا بَكْرٍ، ألَيْسَ هَذا نَبيَّ اللهِ حَقًّا؟ قالَ: بَلَى. قُلْتُ: ألَسْنا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنا عَلَى الْباطِلِ؟ قالَ: بَلَى. قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنا إذًا؟ قالَ: أيُّها الرَّجُلُ، إنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ ناصِرُهُ، فاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.
قُلْتُ ألَيْسَ كانَ يُحَدِّثُنا أنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ قالَ: بَلَى، أفأخْبَرَكَ أنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لا. قالَ: فإنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ. قالَ الزُّهْرِيُّ: قالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أعْمالًا. قالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتابِ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأصْحابِهِ: «قُومُوا فانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا».
قالَ: فَوَاللهِ ما قامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَها ما لَقِيَ مِنَ النَّاسِ. فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يا نَبيَّ اللهِ، أتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ.
فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعا حالِقَهُ فَحَلَقَهُ.
فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِناتٌ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ حَتَّى بَلَغَ (بِعِصَمِ الْكَوافِرِ) فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأتَيْنِ كانَتا لَهُ في الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إحْداهُما مُعاوِيَةُ بْنُ أبي سُفْيانَ، وَالأُخْرَى صَفْوانُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبيُّ ﷺ إلى الْمَدِينَةِ، فَجاءَهُ أبو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ فَأَرْسَلُوا في طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنا. فَدَفَعَهُ إلى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجا بِهِ حَتَّى =

هذا ما صالح مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قريشًا لا تقول رسول الله؛ يعني: ما نؤمن بأنك رسول الله، فقال: اكتب ما قالوا: فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو مندوبهم، هذا يدل على أنه إذا رأى ولي الأمر صلحًا مع المشركين، ولو صلحًا فيه غضاضة، فلا بأس؛ لمصلحة المسلمين، صارت المصلحة للمسلمين، أَمِنَ الناس، وتوجهوا للمدينة مهاجرين أَمِنت السبل، بسبب الصلح، وكثر المسلمون في المدينة، وصار فتحًا مبينًا، سمَّاه الله فتحًا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وأَمِنَ الناس؛ فلما نقضت قريش الصلح وقاتلوا مع أعداء محمد ﷺ، قاتلوا خزاعة وهم في حزب الرسول ﷺ، وفي صلحه، ساعدوا بني بكر انتقض عهدهم وغزاهم النبي ﷺ يوم الفتح، وفتح الله عليه، هزمهم الله بخيانتهم، ونكسهم العهد ونقضهم الصلح، صار شرًّا عليهم، فغزاهم

= بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللهِ إِنِّي لأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا. فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَرُ، حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: «**لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا**».

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**». فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ.

قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ (الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ.

النبي ﷺ، عام ثمان في رمضان، وفتح الله عليه مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]، صار فتحًا بسبب نقضهم العهد، هجم عليهم في عشرة آلاف مقاتل عليه الصلاة والسلام، فَسَلَّموا وانقادوا، ودخلوا في دين الله أفواجًا، هذه بركة الوفاء بالعهود، الصدق مع الله، فتح الله عليه، وأعطاه طلبته، وخذل عدوه.

* * *

يوم عرفة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[١]:

ففي هذا اليوم، اليوم التاسع من ذي الحجة، وهو يوم عرفة يتوجه الحجيج إلى عرفات من هذا المكان من منى بعد طلوع الشمس تأسيًّا بالنبي ﷺ، فإنه توجه من هنا بعد طلوع الشمس يوم التاسع إلى عرفات ملبيًا، وكان الناس منهم من يلبي، ومنهم من يكبر كما قال أنس ـ في الصحيحين ـ رضي الله عنه قَالَ: **«كَانَ يُهِلُّ مِنَّا الْمُهِلُّ فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، وَيُكَبِّرُ مِنَّا الْمُكَبِّرُ فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ»**[٢] لما سئل عمَّا كان يعملون حين توجهوا إلى عرفات.

وكان ﷺ يلزم تلبيته: **«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**[٣].

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٦هـ.

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى وإذًا غدًا إلى عرفة، برقم (٩٧٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة، برقم (١٢٨٥).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب التلبية، برقم (١٥٤٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، برقم (١١٨٤).

يسمع الناس حوله ولا يقول لهم شيئًا هذا يقول: **«لَبَّيْكَ ذَا الْمَعَارِجِ»**[(١)].

وهذا يقول: **«لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»**[(٢)].

وفي رواية كان يقول ﷺ: **«لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ لَبَّيْكَ»**[(٣)].

فالأمر في ذلك واسع، من كبَّر أو لبَّى تلبية أخرى، روي عن أنس أنه كان يقول: **«لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا»**، فالأمر في هذا واسع والأفضل لزوم تلبيته ﷺ: **«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**، فلما وصل إلى نمِرَة وجد قبة من شعر قد ضربت له هناك في نمِرَة، تقدم أن نمِرَة قرية في غرب عرفة خربة نزل هناك ﷺ في نمِرَة، فمن تيسر له النزول في نمرة نزل بها تأسيًا به ﷺ حتى تزول الشمس ويصلي الجمع، ومن لم يتيسر له ذلك مضى إلى عرفات ونزل بها، فإذا زالت الشمس صلى الناس الظهر والعصر، وصلى نائب الإمام بالناس الظهر والعصر قصرًا وجمعًا بأذان واحد وإقامتين، والسُّنَّة للإمام أو نائبه أن يخطب الناس كما خطبهم النبي ﷺ قبل الصلاة بعد الزوال يخطبهم، فإن الرسول خطب الناس عليه الصلاة والسلام وقال: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»**، فدل ذلك على أنه يستحب للإمام ولي الأمر أو نائبه أن يخطب الناس، وأن يذكرهم بأمور

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٢٠)، وأبو داود من حديث جابر بن عبد الله ﷺ في كتاب المناسك، باب كيف التلبية، برقم (١٨١٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١).

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب المناسك، باب التلبية، برقم (٢٩٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (٢١٤٦).

الحج، ويذكرهم بالله، وبحقه عليهم، ويحثهم على طاعة الله ورسوله، ويحذرهم من المعاصي وسائر الشرور، ويبيِّن لهم ما قد يخفى عليهم من أمور حجِّهم، فالنبي خطب الناس خطبة عظيمة، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في درس البارحة، ذكر فيها أن أمور الجاهلية موضوعة، وأن دماء الجاهلية موضوعة، وأن ربا الجاهلية موضوع؛ يعني: متروك؛ يعني: يجب تركه، يجب على المسلمين أن يأخذوا بما شرعه الله، وما جاء به نبيه ﷺ، وأن يدعوا أمور الجاهلية التي تخالف ذلك، وأوصاهم بالنساء خيرًا كما تقدم، وأخبر أن للنساء على أزواجهن لهن عليهم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وأوصى النساء بالرجال أيضًا الأزواج، وأن يسمعن ويُطعن، قال: «**أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**»(١).

فالواجب على الأزواج تقوى الله والإنصاف في حق الزوجات والإحسان إليهن والوصية بهن خيرًا وتوجيههن وإرشادهن، وعدم ظلمهن، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] بعض الرجال يتخذ هذه الدرجة سلمًا إلى ظلمها هذا غلط، الواجب تقوى الله ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] فلا ظلم، عليها أن تتقي الله

(١) أخرجه الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم (١١٦٣)، وحسنه الألباني.

وعليه أن يتقي الله وهو حقه أكبر؛ ولكن هذا الذي هو أكبر لا يسوغ له أن يظلمها ويتعدى عليها، بل عليه أن ينصفها، وأن يحسن العشرة، وأن يؤدي حقها، وعليها أن تنصفه وتؤدي حقه، وأن تسمع وتطيع له في المعروف.

ثم قال في آخر خطبته: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ»[1].

هذه نقطة عظيمة، يجب على أهل الإسلام أن يتقوا الله، وأن يعتصموا بكتاب الله جنًّا وإنسًا، ذكورًا وإناثًا، يجب على جميع المسلمين أن يعتصموا بالقرآن، جنًّا وإنسًا، عربًا وعجمًا، حكامًا ومحكومين، ذكورًا وإناثًا، عليهم في جميع الدنيا، في جميع أرجاء الدنيا على جميع المكلفين أن يتقوا الله وأن يدخلوا في الإسلام، وأن يلتزموا بالإسلام، وأن يعتصموا بالقرآن قولًا، وعملًا، وعقيدة، في القرآن الكفاية ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، في آية الأعراف يقول: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

والسُّنَّة من القرآن لأن الله قال: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؛

(١) جزء من حديث جابر أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

يعني: في المعروف أُولي الأمر في المعروف ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

فالواجب على جميع المكلفين طاعة الله ورسوله، وتحكيم القرآن والسُّنَّة، والحذر مما يخالف ذلك، ثم قال: «**وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ**». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، صدقوا رضي الله عنهم، ونحن نشهد بذلك، نشهد أنه قد بلغ وأدى ونصح عليه الصلاة والسلام، وقد بَلَّغ البلاغ المبين فجعل يرفع بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يستشهد ربهم عليهم، ثم أمر بالأذان فأذن بلال للظهر ثم أقام فصلى الظهر ركعتين، ثم أقام فصلى العصر ركعتين، ثم توجه إلى الموقف، ووقف على دابته على ناقته عليه الصلاة والسلام، ورفع يديه يدعو الله، ويذكر الله، ويضرع إليه ملحًّا في الدعاء في هذا اليوم العظيم.

فهكذا الحجاج بعد صلاة الجمع يقف كل إنسان في محله في عرفات، ويضرع إلى الله ويدعو، ويُكثر من ذكر الله من قول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيء قَدِيرٌ**»، ويلح في الدعاء، ويكرر الدعاء يدعو لنفسه ولوالديه المسلمين ولغيرهم من المسلمين، يدعو لولي الأمر بالتوفيق، والهداية وأن الله ينصره بالحق، وأن الله يعينه على كل خير، يدعو لولاة الأمور جميعًا بالتوفيق، يدعو للمسلمين جميعًا في كل مكان أن الله يفقههم في الدين، ويصلح أحوالهم، وأن يولي عليهم خيارهم، وهكذا يتحرى الدعوات الطيبة في هذا الموقف العظيم لنفسه، وللمسلمين، ولوالديه، ولأقاربه، يلح في الدعاء، يسأل الله القبول والمغفرة.

في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ**»[1]؟

يعني: لأهل الموقف «مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ» في الرواية الأخرى يقول: «**أتوني عبادي شعثًا غبرًا من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي أشهدكم أني قد غفرت لهم**»، «**إِنَّ اللهَ ﷻ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ فَيَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا**»[2].

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ**»[3].

وما ذاك إلا لما يرى من الخير العظيم من تنزل المغفرة والرحمة؛ ولما يرى من تجمع المسلمين وضراعتهم إلى الله وإخلاصهم له، هذا يسوؤه؛ لأنه عدو مبين، قد طُرد من الرحمة، وحُكم عليه بالعذاب فهو في حزن عظيم، ويحب أن يكون معه الناس في النار كلهم.

ولله الحكمة في طرده لو شاء لأماته؛ لو شاء لأهلكه؛ لكن الله امتحن به الناس ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] نحن مبتلون بهذا الشيطان وبشياطين الإنس والجن ابتلاء ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ويقول سبحانه:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم (١٣٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (٢/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الإمام مالك من حديث عبيد الله بن كريز (١/ ٤٢٢).

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

نحن مبتلون، لله الحكمة؛ لولا هذا الابتلاء ما تميز الناس، ما عرف هذا من هذا؛ لو كان كل مسلم ما يأتيه بلاء ولا نكبة ولا مرض؛ ولا يُبتلى بشيء لدخل الناس كلهم في دين الله، وما بقي أحد على كفر؛ لكن الله سبق في علمه وقضائه أن الناس قسمان صالح وطالح، مؤمن وكافر، خبيث وطيب؛ ولهذا أسباب؛ ولهذا أسباب، هذا الابتلاء والامتحان، وله الحكمة البالغة، له الحكمة البالغة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣] سبحانه وتعالى، سلعة الله غالية، سلعة الله الجنة؛ لا تنال بالهوينا، تحتاج إلى عمل، يقول جلَّ وعلا في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]؛ ليس الأمر بالهين ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ يعني: بمجرد كلمة أو كلمات وبس ولا فيه ابتلاء ولا امتحان.

قد يسهل الله الجنة لبعض الناس يسلم ثم يموت في الحال ويدخل الجنة بلا محنة مضى ما امتحن به سابقًا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، في الآية الأخرى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، لا بد من الابتلاء والامتحان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فعلينا أن نصبر، وعلينا أن نجاهد هذه النفس، والشيطان، وشياطين الإنس والجن ودعاة الباطل، ودعاة الضلالة، علينا أن نجاهدهم بالصبر والدعوة إلى الله، والحذر من شرهم والرد عليهم إلى غير ذلك من أنواع الجهاد لعلنا نَسْلَم، لعلنا نَسْلَم.

وهذا المقام مقام عظيم يوم عرفة، مقام عظيم، فيه دعوة مستجابة موقف عظيم، يباهي الله بأهله الملائكة وما من يوم أكثر عتيقًا من النار من هذا اليوم، فاحرص لعلك تكون من العتقاء في هذا اليوم بجدك، بأسباب جدك وعملك الصالح، والإكثار من ذكر الله جلَّ وعلا، ترجو رحمته وتخشى عقابه ولا تعجب ولا تمنَّ بعملك، المنة لله، المنة لله سبحانه ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

نسأله والمنة لله سبحانه نسأله والمنة له سبحانه، ونرجوه أن يرحمنا وأن يتقبل منا، وأن يعتق رقابنا من النار، وعلينا الجد والصبر حتى الموت؛ لا بد من الصبر حتى الموت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، ويقول لنبيه أفضل الخلق: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] حتى الموت؛ لا بد من الصبر، والثبات على الحق، قولًا، وعملًا، وعقيدة، حتى الموت، تُصبح تسأل ربك، تُمسي تسأل ربك، تقوم تسأل ربك، تجلس تسأل ربك، أنت على خطر، فأسأل ربك، النفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله، الشياطين من الإنس يدعون إلى الباطل الشياطين من الجن يدعون إلى الباطل، أنت على خطر، فاحرص على أسباب السلامة، واسأل ربك الإعانة على ذلك، واحمد ربك الذي هداك أن تقول في الصلاة في كل ركعة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وكن على حذر في جميع الأحوال كن على حذر، واسأل ربك التوفيق، اسأل الثبات على الحق، أكثر من قولك: اللَّهُمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، هذا من دعاء النبي ﷺ، أكثر دعائه وهو سيد الخلق، أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وكان من أكثر دعائه أيضًا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا

عذاب النار، وأوصى عائشة لما قالت: ماذا أقول في ليلة القدر؟ «**تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١).

وكان يقول بين السجدتين؛ يعني: في سجوده: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**»(٢).

وبين السجدتين يكرر: (ربي اغفر لي، ربي اغفر لي)، (اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني، واهدني، واجبرني، وارزقني، وعافني). وهو سيد الخلق، سيد ولد آدم، يكرر بين السجدتين: ربي اغفر لي، ربي اغفر لي، يطيل، ربي اغفر لي، ربي اغفر لي، في السجود: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ، وكان من دعائه: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٣).

كل هذا من دعائه، وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، فأنت كذلك من باب أولى، أكثر من الدعاء في يوم عرفة، وألح، وكرر، وأكثر من الصلاة على النبي ﷺ مع ذلك، مع حمد الله والثناء عليه، تارة تحمد الله، تارة تصلي على النبي، تارة تدعو، وهكذا ترفع يديك

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٧١، ١٨٣، ٢٠٨، ٢٥٨)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، برقم (٣٨٥٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٣).

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه؛ أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت**»، برقم (٦٣٩٨)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم (٢٧١٩).

تضعهما ترفعهما كلما تعبت تضعهما ثم ترفع، تلح في الدعاء حتى تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس تنصرف إلى مزدلفة بالسكينة، والوقار، والهدوء، والتلبية كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام، انصرف من عرفات لما غابت الشمس وهو يلبي ويقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ**»[(١)]. يدعوهم إلى الهدوء حتى لا يضرَّ بعضهم بعضًا حتى لا تصادم إبلهم، وهكذا وقتنا الآن السيارات، الهدوء، الهدوء حتى لا يضر أحدٌ أحد إلى أن يصلوا مزدلفة، ومن خاف أن يذهب الوقت، وهو لم يصل مزدلفة يصلي في الطريق لا يؤخر الصلاة تأخرت سيارته، أو زحم، أو تعطل يصلي في الطريق قبل نصف الليل المغرب ثلاثًا والعشاء ثنتين بأذان واحد وإقامتين، وإن يسر الله أمره صلاها في مزدلفة من حين يصل مزدلفة قبل حط الرحال سواء وصلها في المغرب أو في العشاء في وقت المغرب أو في وقت العشاء، يؤذن ثم يقيم فيصلي المغرب ثلاثًا، ثم يقيم ويصلي العشاء ركعتين؛ ليس معهما شيء؛ ليس معهما راتبة، ثم يستريح ينام كما فعل النبي ﷺ، يأكل شيئًا يتعشى يتناول شيئًا يقرأ يفعل ما يسر الله له، وإذا استراح كان أفضل حتى ينشط لأعمال يوم النحر، والنبي لما صلى اضطجع كما قال جابر: استراح عليه الصلاة والسلام.

ولا شك أن الوقوف بعرفات بعد صلاة الظهر والعصر إلى الغروب قد يحصل به بعض التعب يحتاج معه إلى الراحة؛ ليس معنى الوقوف أنه واقف، معناها؛ يعني: كونه يجتهد في الدعاء، ويعمل سواء واقف وإلا جالس وإلا مضطجع، يجلس على فراشه، أو على سيارته، أو في أي مكان يدعو ربه، ويذكر الله، قوله الوقوف ليس معناه واقف على

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه في كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط، برقم (١٦٧١)، وأحمد (٥/ ٢٠١ و٢٠٢).

رجليه، الوقوف؛ يعني: أنه موجود في عرفات يدعو على مطيته جالس عليها عليه الصلاة والسلام.

فلما صلى الفجر يوم النحر في مزدلفة أتى المشعر، ورقى عليه وجعل يدعو ربه يرفع يديه ويجتهد في الدعاء ويستغفر ربه جلَّ وعلا ويدعوه حتى أسفر، والناس في أماكنهم كل في مكانه في مزدلفة، قال: «**وَقَفْتُ هَا هُنَا وَجَمْعٌ**»؛ يعني: مزدلفة «**كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»[(١)].

مثل عرفة قال: «**وَقَفْتُ هَا هُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**» كل في مكانه يدعو الله يرفع يديه، ويجتهد في الدعاء في مزدلفة حتى الإسفار حتى يتسع النور، بعد ذلك انصرف إلى منى توجه إلى منى قبل طلوع الشمس، كان المشركون لا ينصرفون حتى تطلع الشمس، «وَيَقُولُونَ أَشْرِقْ ثَبِيرُ»[(٢)]؛ يعني: الجبل الذي حولهم «كَيْمَا نُغِيرُ». فخالفهم النبي ﷺ فأفاض من مزدلفة قبل طلوع الشمس بعدما اتضح النور، بعدما أسفر، وهو يلبي في طريقه إلى منى، ورخص للضعفاء من الرجال والنساء أن يذهبوا بالليل يتوجهوا في النصف الأخير من الليل بعد ما غاب القمر، هذا لا بأس به يستحب للضعفة أن يتوجهوا قبل حَطَمة الناس، قبل المشقة، النساء، والمرضى، وكبار السن، ومن معهم، ومن يصاحبهم، يتوجهون إلى منى قبل حطمة الناس في الليل في أثناء الليل بعد نصف الليل.

وإذا وصلوا إلى منى فهُم بالخيار إن شاءوا جلسوا، وإن شاءوا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عمرو بن ميمون في كتاب الحج، باب متى يدفع من جمع، برقم (١٦٨٤)، والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء أن الإفاضة من جمع قبل طلوع الشمس، برقم (٨٩٦).

رموا الجمرة، وإن شاءوا توجهوا إلى مكة للطواف طواف الإفاضة كل هذا لا حرج فيه، أم سلمة توجهت ورمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت واستمرت إلى مكة وأفاضت فالأمر في هذا واسع والحمد لله، والأفضل أن يرمي بعد طلوع الشمس إذا تيسر ذلك كما رمى النبي ﷺ ضحًى ثم بعد الرمي يحلق أو يقصر، والحلق أفضل، دعا النبي للمحلقين ثلاثًا بالمغفرة والرحمة وللمقصرين واحدة، والأفضل أن يذبح قبل الحلق إذا تيسر، ينحر ثم يحلق إذا تيسر، والأمر واسع في هذا، والآخر الطواف يذهب يطوف، النبي لما نحر هديه وحلق توجه إلى مكة في آخر النهار وطاف في وسط النهار، صلى بمكة الظهر ثم رجع وصلى بالناس الظهر في منى ما صلوا صلى بهم الظهر، صلى بمكة الظهر ثم رجع، وبعض الناس ما صلى من الصحابة ينتظرونه فجاء وصلى بهم الظهر فصارت له نافلة ولهم فريضة، كما كان معاذ يصلي معه العشاء في المدينة فرضه، ثم يصلي بأصحابه وجماعته العشاء نافلة له، فهذا هو السُّنَّة؛ ولكنه ﷺ لما سئل وسع على الناس، قال له بعضهم: يا رسول الله نحرت قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، قَالَ: **«لَا حَرَجَ»**، قَالَ آخَرُ: حَلَقْتُ قَبْلَ أن أذبح، قَالَ: **«لَا حَرَجَ»**، قَالَ آخَرُ: حلقت قبل أن أذبح، قَالَ: **«لَا حَرَجَ»**، قَالَ آخَرُ: أَفَضْتُ؛ يعني: ذهبت إلى مكة أطوف قبل الرمي قَالَ: **«لَا حَرَجَ»**. قَالَ عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس: فَمَا رَأَيْتُهُ سُئِلَ يَوْمَئِذٍ؛ يعني: يوم العيد عَنْ شَيْءٍ قُدِّم ولا أُخر إِلَّا قَالَ: **«افْعَل وَلَا حَرَجَ»**(١).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الْفُتْيَا وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الدَّابَّةِ وَغَيْرِهَا، برقم (٨٣)، وفي كتاب الحج من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، باب الذبح قبل الحلق، برقم (١٧٢١)، ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، برقم (١٣٠٦).

هذا يدخل فيه السعي لو سعى إنسان قبل الطواف أجزأ صح؛ لكن الأفضل أن يكون السعي بعد الطواف، هذا الأفضل، والأفضل أنه يرمي ثم ينحر، ثم يحلق أو يقصر، ثم يطوف هذا الترتيب الأفضل، وإذا قدم بعضها على بعض فلا حرج والحمد لله، وإذا رمى وحلق أو قصر حل التحلل الأول، والرمي يحصل به التحلل الأول عند جمع من أهل العلم؛ لكن الأفضل أن يضيف إليه الحلق أو التقصير خروجًا من الخلاف ثم يلبس ثيابه ويتطيب إذا تيسر له ذلك، ويبقى عليه النساء فإذا طاف وسعى إن كان عليه سعي تم حله، حل له كل شيء حرم عليه بالإحرام حتى النساء، والسعي يلزم المتمتع مرتين المرة الأولى لعمرته والمرة الثانية لحجه، أما القارن والمفرد اللذان لم يحلا، هذان ليس عليهما إلا سعي واحد إن كان فعلاه عند قدومهم مكة مع طواف القدوم أجزأهما، وإن كانا أخراه مع طواف الإفاضة فلا بأس إن سعيا مع طواف القدوم أجزأهما يبقى عليهما طواف الإفاضة، وإن كانا ما سعيا حين قدما مكة سعيا مع طواف الإفاضة.

وإذا كان يوم الحادي عشر ترمى الجمار الثلاث والثاني عشر كذلك كل جمرة بسبع يكبر مع كل حصاة الله أكبر، ويقف عند الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف يقف عندها بعد الرمي يدعو ربه، يطيل الدعاء ويلح كما فعل النبي ﷺ يجعلها عن يساره يستقبل القبلة ويدعو ربه حسب التيسير ثم يذهب للوسطى ويرميها بسبع يكبر مع كل حصاة، وإذا كان وكيلًا لأحد رمى بعد رجمه، رماها لنفسه ثم رماها لموكله كزوجته العاجزة أو أبيه العاجز، أو أمه العاجزة لا بأس ويقف عندها ويدعو ويضرع إلى الله ويلح في الدعاء ويجعلها عن يمينه ويستقبل القبلة، ثم يرمي الثالثة جمرة العقبة التي تلي مكة هي الأخيرة يرميها بسبع ولا يقف عندها في اليوم الأول والثاني، ثم له النفير في اليوم الثاني

عشر، يوم الثلاثاء في هذه السنة له النفير إلى مكة ليطوف الوداع ثم يتوجه إلى أهله.

وإن أحب أن يقيم في مكة أيامًا أقام في مكة أيامًا، فإذا عزم على السفر طاف للوداع طوافًا بدون سعي، ما فيه سعي، والحائض ليس عليها وداع، لو حاضت بعد أيام الحج ليس عليها وداع وهكذا النفساء لو ولدت امرأة بعد أيام الحج فليس عليها وداع، ومن أحب أن يبقى إلى يوم الثالث عشر ولا يتعجل فهو أفضل؛ لأن الله قال: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣] يذكر بحشر يوم القيامة هذا الحشر في أيام منى في الحج يذكر بحشر يوم القيامة بجمع يوم القيامة، فينبغي أن لا ينسى يوم القيامة وجمعه العظيم الذي فيه الجزاء والحساب، ثم الجنة أو النار، لا حول ولا قوة إلا بالله.

فأقام ﷺ حتى رمى الجمار يوم الثالث عشر مثل ما رماها في الحادي عشر والثاني عشر، ثم ركب إلى البيت إلى مكة فنزل بالأبطح وصلى الظهر والعصر في الأبطح يوم الثالث عشر، وصلى بها المغرب والعشاء ثم نزل آخر الليل فطاف طواف الوداع ليلة أربعة عشر، وصلى بالناس الفجر صباح الرابع عشر يوم الأربعاء؛ لأنه دخل ذو الحجة بالخميس فالرابع عشر هو يوم الأربعاء فصلى بالناس صباح الأربعاء الفجر وقرأ فيها بالطور، سورة الطور، فلما صلى ركب وتوجه إلى المدينة عليه الصلاة والسلام صباح يوم أربعة عشر.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يعيننا وإياكم على أداء أنساكنا على الوجه الذي يرضيه، وأن يتقبل منا ومنكم ومن سائر المسلمين، وينبغي للمؤمن إذا حفظ علمًا أن يبلغه غيره كما قال ﷺ:

«فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[1]، لما خطبهم ﷺ: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»، وأنتم كذلك على كل واحد أن يبلغ الغائب الذي لم يحضر يبلغ إخوانه في الشيء الذي يشكل عليه فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ كل واحد منكم يبلغ إذا سمع الفائدة في مسجد في أي مكان في خطبة الجمعة إذا سمع الفائدة يبلغها غيره من إخوانه وجلسائه مثل ما قال جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، والنبي ﷺ قال: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[2].

التواصي بالحق والتناصح فيه الخير العظيم حتى ينتشر العلم تنتشر الفائدة ويعم الخير.

وفَّق الله الجميع، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث نفيع بن الحارث ﷺ رواه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي رب مبلغ أوعى من سامع، برقم (٦٧)، ومسلم في كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم (١٦٧٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٣).

تعليق سماحة الشيخ على خطبة عرفة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فقد سمعنا جميعًا من خطيب مسجد نمرة نائب الإمام هذه الخطبة المباركة الطيبة سمعتم ما فيها من الخير العظيم، والتوجيهات الطيبة، وما بيَّن عن حجته عليه الصلاة والسلام، وسمعتم أيضًا في الدرس صباح اليوم بعد صلاة الفجر، قصة حجه عليه الصلاة والسلام وجميع أعماله عليه الصلاة والسلام في هذا اليوم العظيم وما بعده.

نبينا عليه الصلاة والسلام حج حجة واحدة بعد الهجرة، وهي حجة الوداع في آخر حياته في السنة العاشرة، سُميت حجة الوداع؛ لأنه لم يحج بعدها، ودَّع الناس، وقال: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**»[2].

وعاش بعد ذلك نحو ثلاثة أشهر ثم توفي عليه الصلاة والسلام في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عليه الصلاة والسلام، وقد بلَّغ البلاغ المبين، أدى الرسالة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده عليه الصلاة والسلام، فما من طريق يوصل إلى الله وإلى جنته إلا بيَّنه للأمة،

---

(١) من كلمات سماحة الشيخ في موسم حج ١٤١٦هـ.

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ في كتاب الحج، باب اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا وَبَيَانِ قَوْلِهِ صلى الله تعالى عليه وسلم: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»، برقم (١٢٩٧).

وما من طريق يبعدها عن رحمة الله ويقربها من النار وغضب الله إلا بيَّنه لها، فقد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وبلَّغ قوله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقد استشهد الناس بعدما خطبهم في هذا اليوم في عُرنة قبل أن يصلي بهم الظهر والعصر استشهدهم؛ لما أوصاهم بكتاب الله وقال: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ»**[1].

وأوصاهم بوصايا كثيرة وقال فيها: **«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»**[2].

في الرواية الأخرى: **«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»**، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»**، **«أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ»**[3].

وأوصاهم بالنساء خيرًا، وأوصى النساء بأزواجهن خيرًا وقال: **«من لم يجد إزارًا فليلبس السراويل ومن لم يجد النعلين فليلبس الخفين»**، وقال عليه الصلاة السلام: **«إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فجعل يرفع أصبعه إلى السماء ثم ينكتها إلى الناس ويقول: **اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»**.

يعني: أني قد بلَّغت، وقد بلَّغ، ونحن نشهد له بذلك عليه الصلاة عليه الصلاة والسلام وكل مسلم وكل عالم يشهد له بأنه قد بلغ وأدى

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٩١).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٤٠).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٨٣).

الأمانة ﷺ وجزاه الله عنا خيرًا قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فقد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وعلَّمها دينها، وأرشدها إلى سبيل النجاة كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ يعني: ترشد وتدل على الصراط المستقيم عليه الصلاة والسلام.

فالواجب على جميع الأمة رجالًا ونساءً أن يتقوا الله، وأن يسيروا على نهج رسول الله عليه الصلاة والسلام، في عبادة الله وطاعة أوامره وترك نواهيه بأن الله خلق الخلق ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأرسل الرسل بذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذه العبادة هي دين الإسلام، هي توحيد الله وطاعته، هي التقوى والإيمان، هي البر والهدى، هذه العبادة هي توحيد الله وتخصيصه بالعبادة، من دعاء، وخوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة ورهبة، وصلاة وصوم وزكاة، وغير ذلك، هذه عبادة الله وحده، هذه هي العبادة التي خلقنا لها، وهي توحيد الله وطاعة الله، وهي الإسلام والإيمان والهدى، فعلى جميع المكلفين من الرجال والنساء، من العرب والعجم، من الجن والإنس عليهم توحيد الله وطاعته، واتباع شريعته، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، وتحكيم شريعته فيما شجر بينهم، هذا هو الواجب على الجميع، كما قال الله جل وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؛ يعني: في المعروف ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

فالواجب على جميع الناس أن يخضعوا لحكم الله، وأن يطيعوا الله ورسوله في كل شيء في العبادات، والمعاملات، والحدود، وفي كل أمورهم، وبذلك يكونون ممن دخل في دين الله كله، وأسلم لله واتبع شريعته، وبذلك يستحقون كرامته والفوز بجنته ورضاه، فعلى جميع المسلمين أن يصلوا كما شرع الله، وأن يزكوا كما شرع الله، وأن يصوموا كما شرع الله، وأن يحجوا كما شرع الله، وأن يحذروا المعاصي كما أمر الله، هكذا يجب عليهم طاعة الله ورسوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

فالواجب على جميع الناس طاعة الله ورسوله في كل الأمور، وبذلك يهتدون: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ويقول سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، عليه الصلاة والسلام.

ولما أتى هذا الموقف خطب الناس وذكرهم كما سمعتم ثم صلى الظهر والعصر ركعتين بأذان واحد وإقامتين جمعًا وقصرًا، ثم ذهب إلى الموقف في عرفات ووقف حتى غابت الشمس يدعو الله ويهلِّله ويكبره حتى غابت الشمس، ويرفع يديه في الدعاء وهكذا السُّنَّة ونحن مثله ندعو الله ونستغفره ونهلل ونكبر ونصلي على النبي ﷺ حتى تغيب الشمس، بين الدعاء والذكر، والخوف والرجاء، فإذا غابت الشمس

انطلق الناس إلى مزدلفة بالهدوء وعدم العجلة حتى لا يضر بعضهم بعضًا، كان النبي ﷺ يقول لهم: **«أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»** لما انصرفوا من عرفات إلى مزدلفة حتى لا يضر بعضهم بعضًا، على أهل السيارات وعلى المشاة **السَّكِينَةَ** وعدم العجلة، فإذا وصلوا مزدلفة صلوا المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين قصرًا وجمعًا، المغرب ثلاثًا والعشاء ركعتين سواء، وصلوها في وقت المغرب أو في وقت العشاء، قبل حط الرحال، ومن تعطل في الطريق صلى في الطريق ولا يؤخر الصلاة يصليها قبل نصف الليل، يصلي المغرب والعشاء قبل نصف الليل.

وقد رخص النبي ﷺ للضعفة أن ينصرفوا في آخر الليل من مزدلفة بعد نصف الليل بعدما غاب القمر رخص لهم أن ينصرفوا إلى منى قبل حطمة الناس، وبقي هو ﷺ في مزدلفة حتى صلى بها الفجر ثم لما صلى الفجر دعا الله وكبره وهلّله حتى أسفر وهو يدعو ربه ويهلل ويستغفر ويرفع يديه حتى أسفر، فلما أسفر انصرف بالناس إلى منى قبل طلوع الشمس خالف المشركين، كان المشركون لا ينصرفون حتى تطلع الشمس فخالفهم عليه الصلاة والسلام وانصرف من المشعر قبل طلوع الشمس بعدما أسفر، وهذه هي السُّنَّة الانصراف من مزدلفة بعد صلاة الفجر وبعد الإسفار إلى منى يلبي في الطريق حتى يصل الجمرة، فإذا وصل الجمرة قطع التلبية واشتغل بالتكبير يرمي الجمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، وهي جمرة العقبة التي تلي مكة، فإذا رماها يستحب له نحر الهدي إن كان عنده هدي ينحر إذا تيسر، ثم يحلق أو يقصر، وإن حلق قبل الذبح أو قبل الرمي فلا بأس، سئل رسول الله: يَا رَسُولَ اللهِ نَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. قَالَ: **«ارْمِ وَلَا حَرَجَ»**. قَالَ آخَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ. قَالَ: **«انْحَرْ وَلَا حَرَجَ»**[(١)].

فالأمر في هذا واسع؛ لكن السُّنَّة أن يرمي ثم يذبح إن تيسر، ثم

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٩١).

الحلق أو التقصير والحلق أفضل لأن الرسول دعا للمحلقين ثلاث مرات بالمغفرة والرحمة، ثم بعدها الطواف طواف الإفاضة والسعي إن كان متمتعًا يسعى سعيًا ثانيًا إن كان متمتعًا، وإن كان قارنًا، أو مفردًا كفاه السعي الأول إن كان قد سعى أولًا، وإن كان ما سعى أولًا يسعى لحجه وقرانه بعد نزوله من عرفات يوم العيد أو بعده، ثم يبيت في منى حادي عشر وثاني عشر ويرمي الجمار الحادي عشر والثاني عشر بعد الزوال يرمي الثلاث كل واحدة بسبع حصيات كما تقدم في درس الصبح، وكما سمعتم في الخطبة يرمي الأولى بسبع والثانية والأخيرة بسبع، ويقف عند الأولى يجعلها عن يساره ويدعو ربه ويلح في الدعاء ويرفع يديه وعند الوسطى كذلك يقف عنده بعد الرمي ويجعلها عن يمينه يستقبل القبلة ويدعو طويلًا إذا تيسر له ذلك، أما الثالثة يرميها ولا يقف عندها.

وهكذا في اليوم الثاني عشر سواء، وهكذا في الثالث عشر لمن لم يتعجل، والسقاة والرعاة ومن له شغل مانع، له ترك المبيت؛ كالمريض الذي يشق عليه المبيت وسقاة الحجيج والرعاة إذا كان هناك رعاة لهم الرخصة، رخص لهم النبي ﷺ، ومن غابت عليه الشمس يوم الثاني عشر ليس له أن يتعجل إذا كان في منى يصبر حتى يرمي الجمرة يوم الثالث عشر، ومن انتقل من منى قبل غروب الشمس إلى مكة فلا بأس في اليوم الثاني عشر.

وبعد انتهاء أمور الحج وأعمال الحج إذا أراد السفر إلى بلاده يطوف طواف الوداع سبعة أشواط بالبيت بعدما ينتهي من كل شيء عند السفر يطوف سبعة أشواط سواء سافر بعد الحج قريبًا أو أبطأ في مكة كأن يتأخر لآخر الشهر أو إلى عاشوراء متى عزم على السفر يطوف طواف الوداع سبعة أشواط، والحائض ليس عليها وداع والنفساء ليس عليها وداع.

وفق الله الجميع وتقبل من الجميع ورزقنا وإياكم الاستقامة والثبات على الحق إنه جلَّ وعلا جواد كريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

فتاوى

س: ما مدى صحة حديث هدم الكعبة على أيدي الأحباش؟

ج: الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد[1]:

فحديثُ هدمِ الحبشة للكعبة هذا صحيح؛ لكن في آخر الزمان، من أشراط الساعة، يسلط عليها بعض الحبشة يهدمها وهو من أشراط الساعة، بعد خروج يأجوج ومأجوج، بعد الدجال.

نسأل الله أن يكفينا شرهم وشر غيرهم.

س: سائل يقول: سمعت من بعض العارفين أن الشيخ أحمد الرفاعي قبَّل يد النبي ﷺ، علنًا وعلى مشهد من الناس حيث امتدت اليد الشريفة من القبر فسلَّم عليها وقبَّلها فما حكم من ينكر تلك الكرامات؟

ج: هذه من خرافات الصوفية، هذه الخرافات التي عند الصوفية من أمثالها من الطامات؛ لا أصل لهذا بل هذا باطل؛ ولم يَمُدَّ النَّبِيُّ ﷺ يده لأبي بكر، وعمر فكيف لأحمد الرفاعي؟ قاتل الله من قال هذا، هذه من خرافات الصوفية الخبيثة، المقصود أن هذا باطل؛ ولم يقدم النبي يده لأحد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام؛ ولا يخرج من قبره؛ إلا يوم البعث والنشور، وقول الصوفية أنه يخرج في احتفالاتهم إذا اجتمعوا

---

(١) من فتاوى حج عام ١٤١٦هـ.

ويقومون له، يُحَيُّون النبيَّ إذا جاء، هذا من خرافاتهم، ومن ضعف العقول، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الله يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، يوم القيامة يبعث وليس في الدنيا، ويقول النبي ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»(١).

عليه الصلاة والسلام، فجسده في الأرض، وهو في الجنة في أعلى عليين، عليه الصلاة والسلام، ولا يخرج جسده للناس، ولا يده للناس؛ ولم يحفظ هذا عنه، عليه الصلاة والسلام؛ لا في عهد الصحابة ولا بعده، كل ما ذكر في هذا باطل، في قصة الرفاعي وأتباعه؛ بل هذا من الخرافات التي يزيفها الصوفية؛ ليضلوا بها عامتهم، ويعظمهم عامتهم؛ وليأكلوا بها ما يأكلون نسأل الله السلامة.

س: **إمام مسجدنا يقتني كتابَ الذخائِر المحمدية ويزعم أن كل ما فيه حق قد قامت الأدلة والبراهين على صحته، وأن من خالف لم يأت بحجة قاطعة فما حكم الصلاة خلفه؟**

ج: الذخائر المحمدية هذا كتاب ألفه محمد علوي مالكي، وفيه طامات وبلايا، وكفريات نعوذ بالله من ذلك.

منها أنه يرى أن النبيَّ أوتي علم كل شيء وأنه يعلم الروح، ويعلم الغيب، ويعلم الخمس التي استأثر الله بعلمها، هذا نَصٌّ في كتابه، نعوذ بالله من ذلك.

ومنها أنه يرى أن محمدًا يُدخِل الجنة من يشاء، والله يقول لِلْجَنَّةِ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق برقم (٢٢٧٨).

«أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي»(١).

وهذا جعلها لمحمد عليه الصلاة والسلام.

ومنها أنه ذكر فيه قصائد فيها الاستجارة بالنبي ﷺ، والفزع إليه، وأن نفزع إليه، وأنه يرحم من استجار به، والتجأ إليه، فجعل النجا والمفزع إلى النبي ﷺ، دون الله ﷻ. ومنها أنه يقول فيه إنه ذكر عن أناس أنه يتوضأ ويصلي في قبره عليه الصلاة والسلام، ويصوم، ويحج، خرافات ضالة، أقرها.

المقصود أن في هذا الكتاب من الطامات، والكفريات جملة، فالذي يقول: إنه سليم قد ضل في عقله، ولم يتبصر، أو جاهل أعمى لا يعرف، ولا يُصَلَّى خلفه هذا الذي يعتقد ما في الذخائر من الكبائر؛ لا يُصَلَّى خلفه.

س: **سائل يقول: إذا تقدم لخِطبة أختي رجلٌ يشرب الدخان ووالدي موافق عليه؛ لأنه ثري وذو منصب كبير، فهل يجوز لي أن أسكت على ذلك علمًا أنه صمم على لبس خاتم الذهب في الخطبة؟**

ج: إذا خطب أختك مسلم عنده نقص في دينه تنصح أباك بالكلام

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، برقم (٤٨٥٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٤٦)، وهذا لفظه بتمامه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطٍ قَطٍ قَطٍ. فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

الطيب والأسلوب الحسن أن لا يقبل هذا الرجل، ويأتي بخير منه، فإذا صمم أبوك فليس لك أن تنازع؛ ولكن تكون ناصحًا بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والأدب الصالح مع الوالد، فإن وافق رأيك وانتظر خاطبًا أصلح، فهذا هو الأولى، والأفضل، والأحوط، وإن أجاب وزوج؛ فلا بأس؛ ولا حرج؛ لأن الخاطب اليوم الذي يستكمل الصفات المطلوبة قد يكون عزيزًا ونادرًا، وحبس البنات فيه صعوبة، وفيه خطر، فإذا رضي والدها بتزويجها وقبلت، وهو يدخن، أو قد يتساهل بلبس خاتم الذهب، فإنه ينصح ومثل هذا يعالج؛ ولا يمنع من تزويجه إذا رأى أبوها معها إن وافق على ذلك لا يجبرها؛ ليس له إجبارها مطلقًا؛ لا بد من استئذانها كما في السُّنَّة عن النبي ﷺ، فإذا استأذنها وأخبرها بالحقيقة ووافقت ورأى تزويجها بهذا الشخص خوفًا من تعطلها فلا حرج إن شاء الله في ذلك؛ لأن وجود الزوج المستكمل المطلوب قد يكون عزيزًا وقليلًا في هذا العصر ولا سيما في المدن، وأنت أيها الأخ ليس لك أن تشدد؛ ولكن تنصح وتشير بالأسلوب الحسن وبالأدب الصالح هذا ما ظهر لي والله أعلم.

س: سائل يقول: بعض أدوية الكحة يوجد عليها نسبة قليلة من الكحول فهل يجوز استخدامها؟

ج: الأدوية كلها على العموم، إذا كانت فيها مواد كثيرها مسكر؛ لا تستعمل، أما إذا كان كثيرها لا يسكر فإنها يعفى عنها.

س: سائل يقول: سمعت من سماحتكم أنه لا يجوز بيع دين بدين وذلك بالإجماع، فما معنى ذلك وما هي صورته؟

ج: له صور كثيرة من ذلك كأن تشتري سيارة موصوفة يسلمها لك بعد شهرين أو ثلاثة بعشرين ألف ريال تسلمها له بعد سنة أو سنتين، فهذا دين بدين، أو تشتري منه مثلًا ألف كيلو أرز أو تمر أو حنطة ألف كيلو أو ألفي كيلو يسلمها لك بعد سنة أو بعد خمسة أشهر بثمن معلوم

تسلمه له أنت أيضًا بعد ستة أشهر، أو خمسة أشهر، أو سنة فكلاهما دين، الثمن دين والمبيع دين، هذا بيع الدين بالدين.

س: يخالف السَّلَم سماحة الشيخ؟

ما يكون سَلَم، السلم لأن السلم شرطها يُعَجِّل الثمن ويؤخر المثمن.

س: سائل يقول: ما حكم تجارة العملة وهل تعد من الربا؟

ج: التجارة في العُمَل فيها تفصيل، إذا اتجر فيها على وجه لا ربا فيها فلا حرج في ذلك، وإن اتجر في العمل على وجه فيه الربا حرم عليه ذلك، فإذا باع العُملة بعضها ببعض يدًا بيد فليس في هذا ربا في الصحيح، فإذا باع مثلًا ألف دولار بأربعة آلاف درهم سعودي أو خليجي أو يمني يدًا بيد فلا بأس ما يباع نسا بل يدًا بيد، أو باع ألف دينار أردني أو عراقي بعشرة آلاف ريال عربي سعودي أو غيره يدًا بيد فلا بأس.

أما نسيئة فلا؛ لأنها قد قامت مقام الذهب والفضة وحلت محلها في ثمن المبيعات وقيم المبيعات فلا يجوز فيها النسيئة، أما إذا باع بعضها ببعض في جنس واحد فلا بد من التماثل ولا بد أيضًا من التقابض؛ كأن يبيع ألفًا من فئة العشرة بألف من فئة الخمسة فلا بأس يدًا بيد من الريال السعودي مثلًا ألف بألف؛ لكن هذه فئة عشرة وهذه فئة خمس أو فئة ريال فلا بأس يدًا بيد لأنها متساوية؛ لكن لو باع ألفًا من فئة العشرة بألف ومائة من فئة الخمسة أو من فئة الريال لم يجز لأنها عملة واحدة بمنزلة الذهب والفضة فلا يجوز فيها التفاضل.

س: امرأة في أثناء طواف الإفاضة نزل منها دم حيض يسير وما علمت بها إلا لما عادت لبلدها ثم تزوجت في بلدها فما حكم حجها وما هو الواجب عليها؟ ما حكم عقدها الشرعي؟ بصفة أنها لا زالت محرمة؟

ج: إذا كانت لا تجزم أنها رأت الدم بعدما طافت؛ ولا تجزم أنها وقع في الطواف، فطوافها صحيح، أما إن كانت تجزم أنهُ خرج وهي تطوف، فطوافها غير صحيح، وعليها أن ترجع وتطوف، والنكاح لا يصح حتى ترجع وتطوف ويجدد العقد؛ لقوله ﷺ: «**لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ**»(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتاب النكاح، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته، برقم (١٤٠٩).

الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد الله ﷻ على إتمام هذا الكتاب، وذلك بعد عناء ووقت طويل قضيته في تحويل مسموعه إلى مطبوع، ثم مراجعته وترتيبه، ومقابلته مع المسموع.

وكلِّي أمل فيمن قرأ هذا الكتاب من إخواني المسلمين عامة وطلبة العلم خاصة أن يتحفوني برأيهم السديد، أو ملحوظة مفيدة، أو تصويباتهم ومقترحاتهم للأخذ بها في طبعته القادمة بإذن الله، ولهم الأجر من الله، والشكر والتقدير مني.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا...

قاله الفقير إلى عفو ربه

صَلَاحُ الدِّينِ بْنُ عُثْمَانَ بْنُ أَحْمَدَ

عفا الله عنه

الرياض ٢٥/ ٤/ ١٤٣٥هـ

❁ ❁ ❁

الفهارس العامة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة.

٣ ـ فهرس الآثار والأقوال.

٤ ـ فهرس المراجع.

٥ ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	١٤٤	٩١
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾	١٥٩	١١٩، ٢٥٥، ٣١٤، ٣٥٥
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾	١٨٥	٩٠، ٩٢، ١٣١

سورة النساء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	١	٣٥، ٦٥، ١٠٣
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	١٣	٣٨، ١٧٥
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١٩	٣٨٢
﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾	٢٢	٣٦٤
﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾	٣١	٧٦
﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾	٣٢	٢٦٨، ٢٧٦
﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾	٣٦	١٧٤، ٣٠٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾	٤٠	٩٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾	٤٨	١١٣، ١٣٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	٥٨	١١٦، ٢٩٠، ٢٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾	٥٩	٢٦١، ٣١٤، ٣٨٣، ٣٩٧
﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	٥٩	٤٧، ١٥١، ٢٠٩، ٣٨٤
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾	٦٥	١٩، ٣٨٤، ٣٩٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾	٧١	٥١
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	٨٠	١٧٥، ٢٦١، ٣١٥، ٣٩٨

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة التوبة

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة الانشقاق

سورة الأعلى

فهرس الأحاديث الشريفة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

فهرس الأقوال والآثار

فهرس المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم**.
٢ - **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، بيروت.
٣ - **الدرر السنية** جـ٥، ط ٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٤ - **سبل السلام** للصنعاني جـ٤، دار الريان للتراث، مصر.
٥ - **تهذيب التهذيب**.
٦ - **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية للنشر.
٧ - **صحيح الإمام مسلم**، بيت الأفكار الدولية للنشر.
٨ - **سنن أبي داود**، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
٩ - **سنن الترمذي**، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
١٠ - **سنن النسائي**، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
١١ - **سنن ابن ماجه**، بيت الأفكار الدولية، بيروت.
١٢ - **مسند الإمام أحمد**، بيت الأفكار الدولية، بيروت.
١٣ - **المستدرك** للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٢هـ.
١٤ - **سنن الدارمي**، دار المعرفة، بيروت.
١٥ - **صحيح ابن حبان**، بيت الأفكار الدولية.
١٦ - **المعجم الكبير** للطبراني، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٧ - **الموطأ**، دار ابن رجب، ط ١، ٢٠٠٣م.
١٨ - **سنن البيهقي**، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٩ - **سنن الدارقطني**، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٤هـ.
٢٠ - **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٦م.
٢١ - **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
٢٢ - **المعجم الأوسط** للطبراني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٣ - **السلسلة الصحيحة** للألباني، المكتب الإسلامي.

٢٤ ـ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** لسماحة الشيخ ابن باز، طبع الرئاسة العامة للإفتاء.

٢٥ ـ **مجموعة أشرطة صوتية** لسماحة الشيخ ابن باز من ١ إلى ٢٧.

٢٦ ـ **مشكاة المصابيح** للألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

٢٧ ـ **جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز**، دار ابن خزيمة الرياض، ط ١.

٢٨ ـ **الإنجاز في ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** للشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الرحمة، ط ٢، دار ابن الجوزي، الرياض.

٢٩ ـ **ترجمة الشيخ عبد العزيز بن باز** لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن قاسم، دار الأصالة، ط ١، ٢٠٠٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة